

تي جي نيومان

T. J. NEWMAN



الخيار الصعب

أرواح في مهب الريح

FALLING

رواية



1143

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مكتبة

الخيار الصعب

أرواح في مهب الريح

مكتبة

t.me/soramnqraa

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

FALLING

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

Published by arrangement with the original publisher,
AVID Reader Press, an imprint of Simon & Schuster, Inc.
1230 Avenue of the Americas, New York, New York
10020, U.S.A.

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون

Copyright © 2021 by T. J. Newman

All rights reserved

Arabic Copyright © 2021 by Arab Scientific Publishers

الطبعة الأولى: آذار/مارس 2022 م - 1443 هـ

ردمك 978-614-01-3450-8

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



جميع الحقوق محفوظة للناشر:

التوزيع في المملكة العربية السعودية

إصدار

دار إقراء للنشر

الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر

المنطقة الحرة، الشارقة

الإمارات العربية المتحدة

جوال: +971 585597200 - داخلي: 0585597200

هاتف: 785108 - 785107 (1-961+)

البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

مكتبة
t.me/soramnqraa

15 2023

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون



facebook.com/ASPArabic



twitter.com/ASPArabic



www.aspbooks.com



asparabic

تصميم الغلاف: علي القهوجي

تي جي نيومان

T. J. NEWMAN

الخيار الصعب

أرواح في مهب الريح

FALLING

رواية

مكتبة

t.me/soramnqraa

تعريب

ماجد حامد

مراجعة وتحريـر

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مكتبة

t.me/soramnqraa

عندما هوى الحذاء على حضنها، كانت القدم لا تزال في داخله. قذفته في الهواء وهي تصرخ، تعلقت تلك الكتلة المملطخة بالدماء قليلاً في الهواء قبل أن تطير خارج الطائرة. في تلك الأثناء، زحفت المضيفة بجوارها عبر الممر، وهي تطلب من الركاب أن يضعوا أقنعة الأكسجين الخاصة بهم. في غضون ذلك كان بيل في الجزء الخلفي من الطائرة يراقب كل ما يجري. بدا جلياً أن الراكب الذي كان يتعل ذلك الحذاء الذي هوى لم يستطع سماع ما كانت المضيفة الشابة تقوله، وربما لن يتمكن من سماع أي صوت بعد وقوع الانفجار، بعد أن سالت الدماء من أذنيه.

لقد دفع الانفجار جسد المضيفة في الهواء، وألقى بها أرضاً، حيث اصطدم رأسها ذو الشعر البني المجعد بقوة بالأرض، فاستلقت بلا حراك لثانية قبل الانحدار الحاد للطائرة، ثم انزلقت عبر الممر، قبل أن تتمسك بإحدى الحلقات المعدنية أسفل مقاعد الركاب، فارتجفت ذراعها وهي تحاول سحب نفسها بعكس اتجاه انحدار الطائرة، وعندما انقلبت على ظهرها، ارتفعت قدمها عاليًا، في الوقت الذي كان فيه الحطام يتطاير في شتى أرجاء الطائرة: الأوراق، الملابس، الحواسيب المحمولة، علبة صودا ويطانية طفل. ما يجري كان أشبه بإعصار يضرب داخل الطائرة.

تبع بيل نظراتها إلى خارج الطائرة.

فرأى السماء، التي انتشر ضوء الشمس فيها، ثم تسلل عبر الفتحة الواسعة التي كانت مخرج الطوارئ العلوي قبل ثلاثين ثانية، حيث توقفت المضيفة الأخرى لجمع القمامة.

شاهد بيل مضيئة الطيران الصهباء الأكبر سنًا وهي تبتسم حاملةً الكوب الفارغ في يدها المقفزة لترميه في الكيس البلاستيكي، ولحظة وقوع الانفجار، اختفت، واختفى معها الصف الأمامي كله، بالإضافة إلى جانب الطائرة. باعد بيل بين ساقيه عندما انحرفت الطائرة من اليسار إلى اليمين، وبدا أنها غير قادرة على الالتزام بمسارها المستقيم. بالطبع، ظن أن الدفة تضررت، ولكن، ربما تضرر الذيل كله.

إذ حدث شرخ كبير فوق رأس مضيئة الطيران السمراء، أدى إلى انفتاح العديد من الصناديق العلوية، وتساقط الأمتعة، وتطايرها في أرجاء المقصورة، كما اندفعت حقيبة وردية كبيرة ذات عجلات إلى الأمام نحو الفتحة، واصطدمت بجدار الطائرة قبل أن تهوي ويتحطم قسم آخر منها، حيث تكاثفت السحب خلف الأسلاك التي انبعثت منها شرارات برتقالية وصفراء متوهجة. أغمض بيل عينيه وهو يحدّق إلى الشمس.

وعندما استقرت حركة الطائرة بما يكفي لتمكّن المضيئة من النهوض، راقبها بيل وهي تكافح للوقوف، ولكن جسدها لم يستجب لها. أخيرًا، عندما تمكّنت من سحب ساقها إلى الأمام، أدركت أن هناك عظمة تبرز من فخذها، وبعد أن تفحصت جرحها النازف عدة مرات، واصلت الزحف.

صرخت قائلة: "الأقنعة!"، وهي لا تزال تزحف في الممر في اتجاه مؤخرة الطائرة، وبالكاد كان صوتها مسموعًا في ظل هدير الرياح الذي يصمّ الأذان. نظرت إلى رجل، وهو يحاول أن يصل إلى أقنعة الأكسجين، وما إن أمسك بأحدها، وحاول أن يضعه على وجهه، حتى انتزعته الرياح العاصفة من بين أصابعه.

غطى الضباب الرمادي المقصورة، وكوّن سديمًا وسط الحطام والفوضى، فتطايرت قارورة ماء معدنية في الهواء، واصطدمت بوجه مضيئة الطيران الزاحفة، ما أدى إلى تدفق الدم من أنفها.

"زوجي مصاب! ساعدوني!"

نظر بيل إلى امرأة تضغط بقبضتيها على صدر زوجها الذي بدا أنه فارق الحياة، وقد ارتسمت دائرتان صغيرتان باللون الأحمر على وجهه، إحداهما أعلى عينه والأخرى أسفل وجنته. أبعدت المضيفة خصلات شعرها المجمعّد عن وجهها، وهي تجرّ نفسها ممسكةً بمساند الذراعين لإلقاء نظرة فاحصة. لم تكن إصابته ناجمة عن طلقات نارية، بل عن البراغي التي انتزعت من أثاث الطائرة.

اهتزّت الطائرة بعنف، وترنحت الأرضية، فشعر بيل أن كل شيء يهتزّ تحته، وتساءل إن كان هيكل الطائرة سيصمد، وكم من الوقت لا يزال لديهم. واصلت المضيفة عملها، فوضعت يدها على بقعة داكنة على السجادة في اللحظة نفسها التي شمّ فيها بيل رائحة البول، فنظرت إلى الرجل الجالس على كرسي، وهو يحدّق مصدومًا، وقد تجمّعت بركة تحت قدميه. ثم صرخ أحدهم قائلاً: "ثلج".

التفتت المضيفة في الحال إلى مصدر الصوت، ورأى بيل الراكبة الجالسة في الجانب الآخر من الممر، وهي تمدّ يدها، وقد أمسكت بقطعة من اللحم، فتراجعت المضيفة مذعورة، حين نظرت إلى الأعلى، ورأت ذقن تلك الراكبة ورقبتها ملطخين باللون القرمزي.

أما الفتاة التي كانت تكرّر: "ثلج، ثلج"، وتتدفّق الدماء من فمها، فقد تبين أن ما كانت تحمله هو لسانها.

ألقي بيل نظرة خاطفة فوق كتفه نحو الحائط الخلفي، وهو يراقب سلك الهاتف الداخلي يتطاير في مهب الريح، وبينما كانت المضيفة تزحف نحوه، نظر إلى الجانب الآخر حيث المطبخ، فرأى مضيفة ثالثة منهارة، وقد تكوّمت على الأرض، وقد سقطت إلى جانبها عبوات العصير، وحين أدار رأسه إلى الجانب الآخر، شاهد قشور البرتقال الممزوجة ببركة من اللون الأحمر تجمّعت حول جسدها.

أخيراً، سحبت المضيئة السمراء نفسها حتى نهاية الممر، وقد غطى السكر وبودرة القشدة ملابسها، وعندما مدت يدها إلى الأمام، سحبتها بسرعة إلى الخلف.

سدّ زوج من الأحذية السوداء طريقها.

عندما نظرت إلى الأعلى، وجدت نفسها أسفل قدمي بيل، كانت جريحة ومضرجة بالدماء، وفاغرة فمها، ولكنها لم تنفوه بكلمة، وتطايرت ربطة عنق بيل في مهب الريح، بينما صمّ هدير المحركين آذانهما منذراً بحدوث أمر خطير.

تلعثت المضيئة وهي تنظر إلى بيل الذي بدا العجز على ملامحه قائلةً: "ولكن... إذا كنت..."، ثم أكملت كلامها سائلةً: "من الذي يسيطر على الطائرة، كاتبن هوفمان؟".

تنفس بعمق، وبدا أنه يؤدّ التعليق على كلامها، ولكنه لم يستطع أن ينطق بكلمة.

نظر إلى أسفل الطائرة في اتجاه باب غرفة القيادة المغلق.

كان يُفترض به أن يكون على الجانب الآخر.

قفز فوق المضيئة، وانطلق عبر الممر باتجاه مقدمة الطائرة، ومع أنه أطلق العنان لساقيه، إلا أن الباب بدا وكأنه يتراجع بعيداً عنه كلما أسرع في الركض أكثر، وكان الناس يصرخون من حوله متوسلين إليه أن يمدّ إليهم يد المساعدة، ولكنه استمرّ بالجري، كما استمرّ الباب بالتراجع أكثر فأكثر، وهنا أغمض عينيه.

ارتطم جسده بالباب من دون سابق إنذار، فاحتلّ توازنه، وارتطم رأسه بالسطح الذي لا يمكن اختراقه، فاحتضنت يده رأسه، وهو يهوي إلى الخلف، فشعر بالدوار، وحاول جاهداً التفكير في وسيلة لاختراق غرفة القيادة المغلقة، ولكن لم تخطر في باله أي فكرة، فدقّ على الباب حتى تخدّرت قبضته، ثم تراجع إلى الخلف، وهو يلهث ليركله بقوة.

فجأة سمع صوت طقطقة، ثم فُتح الباب، فاندفع على الفور إلى الداخل.

أومضت الأزوار باللون الأحمر، وظهرت التحذيرات التي انتشرت على سطح العدادات كلها تقريباً باللون الأرجواني. لم تتوقف أصوات أجهزة الإنذار، وارتفعت أصوات الضوضاء الصارخة في هذه المساحة الضيقة، فجلس على مقعد القبطان الواقع يسار غرفة القيادة.

كافح ليركز على الشاشة أمامه، وقد توهج الضوء الأحمر أينما نظر، في كل زر، وكل مقبض، وكل شاشة.

عندما نظر عبر النافذة، أيقن أنه يقترب من الأرض أكثر فأكثر.

حث بيل نفسه على العمل، ولكنه تجمّد في مكانه.

اللعنة، أنت القبطان، عليك أن تتخذ القرار المناسب، فالوقت يكاد ينفد منك.

ارتفعت أصوات أجهزة الإنذار، ثم أمره صوت آلي مراراً وتكراراً برفع

الطائرة.

"ماذا عن الدفع غير المتكافي؟".

التفت بيل إلى مصدر الصوت، وهو مقعد مساعد الطيار، فهزّ ابنه سكوت البالغ من العمر عشر سنوات كتفيه؛ كان يرتدي بيجاما رُسم عليها النظام الشمسي، من دون أن تلمس قدماه الأرض.

وأضاف سكوت قائلاً: "يمكنك تجربة ذلك".

نظر بيل إلى يديه اللتين تجمّدت أصابعهما، وأبتا الاستجابة له.

"حسناً، يمكنك أن تلجأ إلى الطريقة الصعبة، لذا باشر باستخدام السرعة للحفاظ على خط مستقيم".

التفت مرة أخرى إلى الخلف، فرأى زوجته متكئة على الكرسي، وقد شبكت ذراعيها، وارتسمت تلك الابتسامة المتكلفة التي كانت تظهر على وجهها عندما تكون على حق. يا الله، كم بدت تلك الابتسامة رائعة!

كان العرق يتصبّب من رقبته، وهو يكافح للتحرك واتخاذ الإجراءات اللازمة، ولكنه ظل مشلولاً ومرعوباً من أن يتخذ قراراً خاطئاً.

أبعدت كاري خصلات شعرها إلى خلف أذنيها، وانحنى نحوه، وقالت له
واضعةً يدها على ركبته: "بيل، حان الوقت".

استيقظ مذعورًا، وهو يعاني من صعوبة في التنفس، بعد أن استقام جسده، وقد
تسلل ضوء القمر من خلال شق الستائر، وانتشر على السرير ذي الحجم الكبير،
بحث في الغرفة عن الأضواء المتوهجة التي كانت توجه إليه التحذيرات، محاولاً
الاستماع إلى تلك الإنذارات، ولكنه لم يسمع سوى نباح كلب جاره في الخارج.
وضع بيل رأسه بين يديه، وتنهد بعمق.
سألته كاري وهي تجلس على الطرف الآخر من السرير: "أهو الحلم نفسه؟".
أوماً بيل إليها برأسه وسط الظلام.

الفصل الأول

بعد أن نفضت كاري اللحاف، مسدت الطيات بيديها. ثم قادت رائحة العشب المجزوز حديثاً إلى النافذة المفتوحة، حيث كان الجار في الجهة المقابلة من الشارع يمسح وجهه بأسفل كم قميصه، قبل أن يغلق سلة المهملات المليئة بقصاصات العشب، التي جرّها إلى الفناء الخلفي، ثم لوح لسيارة عابرة، تلاشت مع ابتعادها أصوات الموسيقى الصاخبة المنبعثة منها.

عندما تلاشى صوت المياه من الحمام الواقع خلفها، غادرت الغرفة. وقف سكوت أسفل الدرج ممسكاً بسيارة يتم التحكم بها عن بعد، وسأل أمه: "هل يمكنني الخروج؟".

سألته كاري، وهي تنزل الدرجات: "إلى أين...؟".

دبذبت الطفلة أليز على أرض الغرفة، وهي تنفخ جبات التوت، وعندما وصلت إلى قدمي شقيقها، أمسكت ببنطاله القصير، وحاولت الوقوف على قدميها بينما كان جسدها الصغير يتمايل بشدة وهي تحاول التوازن.

سألته كاري: "حسناً، هل وضعت أطباقك في حوض غسل الأطباق؟". أجابها سكوت: "نعم".

فقالت: "حسناً، يمكنك الذهاب الآن، ولكن عليك أن تعود في غضون عشر دقائق قبل أن يغادر والدك. أتوافق على ذلك؟".

أوما الصبي إليها برأسه، ثم مضى في طريقه صوب الباب.

خاطبته كاري، وهي تضع أليز على وركها: "لا..."، ثم أكملت كلامها قائلة: "...تنسّ انتعال حذائك".

في البداية، بدا أن إنجاب طفل آخر بعد مضي عشر سنوات على ولادة الطفل الأول مغامرة غير محسوبة العواقب، ولكن مع الوقت، تعلّمت الأسرة المكونة من ثلاثة أفراد التأقلم مع وجود فرد رابع. لقد أدرك بيل وكاري أن الفجوة العمرية تعني أن الأخ الأكبر يمكنه القيام بأمور صغيرة مثل مراقبة الأخت الصغرى بينما ترتدي الأم ثيابها أو ترتب السرير، وهكذا أصبحت إدارة شؤون الحياة اليومية أكثر مرونة. كانت كاري تسمح بقايا البطاطا الحلوة والأفوكادو عن الكرسي المرتفع عندما سمعت صرير الباب الأمامي وهو يفتح.

صرخ سكوت: "أمي..."، بصوت يُنذر بوقوع خطب ما.

أقبلت كاري بسرعة، لتجد سكوت يحدّق إلى رجل غريب يقف عند الشرفة الأمامية، وهو ينظر إلى الطفل بذهول، وقد تجمّدت يده التي أوشك أن يمدّها ليرن جرس الباب.

قالت له كاري: "مرحبًا"، وهي تنقل الطفلة من جهة إلى أخرى، ثم تقدّمت بسرعة، ووقفت بين ابنها والرجل الغريب، وأكملت كلامها سائلة: "كيف يمكنني مساعدتك؟".

أجابها الرجل الغريب: "أنا من شركة الكوم، ألم تتّصلي بشأن تعطل الإنترنت في منزلك؟".

صرخت محرّجة وهي تفتح الباب على مصراعيه: "أوه!"، ثم أكملت كلامها: "بالطبع، تفضّل". شعرت كاري بالخجل من ردّ فعلها الأول، وأملت ألا يكون الرجل قد لاحظ ذلك، ثم أردفت: "أسفة، فلم يسبق أن حضر أي فني في الوقت المحدد، ناهيك عن أن يأتي مبكرًا"، ثم نادى: "سكوت".

ردّ سكوت: "سأعود في غضون عشر دقائق"، ثم غادر بأقصى سرعة.

قالت كاري للرجل الغريب وهي تغلق الباب خلفه: "أدعى كاري".

وضع الفني حقيبة معداته أمام باب المدخل، بينما كانت تراقبه وهو يدخل غرفة المعيشة. ما إن دخل المنزل حتى بدأ يتأمل الأسقف العالية، والدرج الذي يقود إلى

الطابق الثاني، والأثاث الأنيق، والزهور النضرة التي تزيّن طاولة القهوة. بالإضافة إلى الرفوف التي توزّعت عليها صور عائلية التقطت على مر السنوات، وأحدثها التقطت على الشاطئ عند غروب الشمس، فبدا فيها سكوت نسخة مصغرة عن كاري، بشعره البني المتطاير مع نسيم البحر، وعينيه الخضراوين اللامعتين وابتسامته المشرقة. أما بيل الذي انتصب بقامته التي تفوق قامته كاري بقدم تقريبًا، فكان يحمل بين يديه أليز؛ حديثة الولادة، وقد عكست بشرتها البيضاء الناعمة سمرة جنوب كاليفورنيا التي يتمتع بها بيل. التفت الفني إليها مبتسمًا ابتسامة خفيفة وقال: "سام".

بادلته الابتسامة وقالت: "سام، هل أحضر لك ما تشربه قبل أن تبدأ العمل؟ فقد كنت على وشك إعداد كوب من الشاي لي".
"في الواقع، سيكون الشاي رائعًا، شكرًا".

اصطحبته إلى المطبخ، الذي ينيره الضوء الطبيعي الساطع.

قالت له، وهي تُجلس الطفلة على كرسي الطعام المخصّص لها: "شكرًا لأنك أتيت لتصلح العطل في يوم عطلتك". ضحكت أليز، وهي تضرب بقبضتها على الطاولة، بينما أكملت كاري كلامها قائلة: "إذ كان الموعد الوحيد الذي أمكنتني الحصول عليه، وإلا كان سيتوجّب عليّ انتظار أسابيع طويلة لإصلاح العطل".
قال سام: "نعم، نحن منهمكون بإصلاح أعطال كثيرة طرأت فجأة، ولكن متى انقطعت شبكة الإنترنت".

"أول من أمس"، ثم ملأت غلاية الشاي بالماء، وسألته: "أتودّ احتساء شاي أسود أم أخضر؟".

"شاي أسود، من فضلك".

سألته: "هل يعدّ ذلك طبيعيًا...؟"، وهي تراقب حرارة الغلاية، ثم أكملت: "أن تتعطل شبكة الإنترنت في منزلنا وحده، من دون أن يواجه المشتركون الآخرون أية مشاكل؟ لأنني سألت بعض الجيران المشتركين في كالكوم، فتبين أنهم لا يعانون من أي مشاكل".

هزّ كتفيه وقال: "هذا عادي، فقد يكون جهاز التوجيه الخاص بمنزلكم معطلاً، أو ربما الأسلاك، لذا سأفحصها في الحال".

سمع وقع خطوات ثقيلة تنزل الدرج، فميّزت كاري مصدر الأصوات التالية جيداً: حقيبة سفر وحقيبة يد وُضعتا بجانب الباب، تلاها صوت حذاء ذي نعل صلب يعبر الردهة، وبعد أن خطا صاحبه بضع خطوات، وصل إلى المطبخ، إنه ينتعل حذاء أسود لامعاً، ويرتدي بنطالاً مكويًا بإتقان، وسترة، ويضع ربطة عنق، وقد أظهرت الأجنحة فوق جيب صدره شارة الخطوط الجوية كوستال، ونُقش اسم بيل هوفمان بوضوح تام أذناها، كما زين زوج متطابق مقدمة القبعة المزركشة باللون الذهبي التي وضعها بهدوء على المنضدة. بدا دخوله مثيراً بشكل مهيب، وقد لاحظت كاري مدى التناقض الذي أحدثته هالة سلطته في أفراد المنزل، على الرغم من أنها لم تلاحظ ذلك من قبل، إذ لم يبدُ الأمر بالنسبة إليها، وكأنه ضيف حضر لتناول العشاء مرتدياً زيه الرسمي، وربما اعترأها ذلك الشعور بسبب وجود شخص غريب في الغرفة، شخص لا تعرفه عائلتها، ولكن مهما يكن السبب، فقد بدا ذلك واضحاً اليوم.

وضع بيل يديه في جيبيه، وأوماً بتهذيب إلى الفني قبل أن يلتفت إلى كاري. أطبق شفتيه، وشبك ذراعيه. قالت وهي تنظر إليه: "سام، هل تمانع...؟". قال سام لكاري، قبل أن يترك الزوجين وحدهما، في الوقت الذي كانت الساعة المعلقة على الحائط تدق: "نعم، سأبأشر العمل".

عندما صفقت الطفلة أليز حلقة التسنين المغطاة باللعباب على الصينية قبل أن تنزلق من بين أصابعها، وتسقط على الأرض، انحنى بيل على الفور والتقطها، ثم غسلها في الحوض، وجفّفها بمنشفة الأطباق، وأعادها إلى يديّ ابنته المتلهفة لالتقاطها، كانت غلاية الشاي تصفر خلفه.

قال بيل: "سأصل بك عبر تطبيق فيس تايم ما إن أصل إلى الفندق لإبلاغى بمجرى سير المباراة".

قاطعت كلامه وسألته: "إلى نيويورك، أليس كذلك؟".

أوما برأسه وأجابها: "ستتجه إلى نيويورك الليلة، وبورتلاند غدًا".

قالت كاري: "ستقام حفلة بيتزا جماعية بعد المباراة، وبالمقارنة مع فارق التوقيت الذي يبلغ ثلاث ساعات، لا بد أن تكون غارقًا في النوم قبل أن نعود إلى المنزل".
قال لها: "حسنًا، أو لا...".

قاطعت كلامه قائلة: "سنجتمع بأختي وأولادها صباح الغد"، ثم هزّت كتفيها وأردفت ببرود: "لذا، سنرى، إن توفّر الوقت لذلك".
تنفّس بيل بعمق، فارتفعت الخطوط الذهبية الأربعة مع ارتفاع كتفيه، وقال:
"تدركين تمامًا أن لا خيار آخر أمامي، إن طلب شخص آخر مني ذلك، فما كنت لأوافق".

غضّت كاري طرفها، ثم أوقفت عمل الغلاية.
تلاشت الضوضاء تدريجيًا، ولم يعد مسموعًا سوى صوت دقات الساعة.
عندها تفحص بيل ساعته، وتمتم بالشتائم التي طفح بها قلبه.
قال وهو يقبل رأس ابنته: "سأتأخر عن موعد الإقلاع".
ردّت كاري بجفاء: "لم تتأخر يومًا عن إقلاع طائرتك".
اعتمر قبعته وقال لها: "سأهاتفك فور وصولي. أين سكوت؟".

"إنه يلعب في الخارج، وسيعود في أي لحظة ليودّعك". لقد كان ذلك مجرد اختبار له، على الرغم من أنها تدرك أن بيل كان يعرف ذلك تمامًا.
حدّثت كاري إلى تعابير وجهه، وهو يقول لها قبل أن يغادر المطبخ:
"ستحدّث قبل أن تقلع الطائرة".

راقبته وهو يغادر، ثم انفتح الباب الأمامي الذي ما لبث أن انغلق بعد لحظات، ليسود بعد ذلك الصمت المطبق في المنزل. عند اقترابها من حوض الغسيل، شاهدت أوراق شجرة البلوط في الفناء الخلفي تتراقص مع النسيم، في الوقت الذي انطلقت فيه سيارة بيل وابتعدت.

سمعت صوت وقع أقدام خلفها، فاستدارت وهي تمسح وجهها على عجل، وقالت لسام محرجة: "أسفة لاضطرارك أن تشهد ما جرى. طلبت شايًا أسود". فتحت كيس الشاي، ووضعت في الكوب، فتساعد البخار من الغلاية، وهي تصبّ الماء الساخن، وقالت: "هل أضيف إليه حليبًا أم سكرًا؟".

عندما لم يردّ عليها، التفتت إلى الوراء، فبدا متفاجئًا من ردّ فعلها. ربما كان يتخيل أنها ستصرخ، أو ترمي الكوب على الأرض، أو أن تجهش بالبكاء. من يدري أي نوع من الدراما كان يتوقع؟ ولكنه بالتأكيد توقع أن يكون المشهد دراميًا، لأنه عندما تلتفت المرأة في منزلها، وبالتحديد في مطبخها إلى الخلف، وتجد رجلًا لم تتعرّف إليه إلا منذ بضع دقائق فقط، وهو يصوّب سلاحه نحوها، فإن ردّ الفعل الصاحب سيبدو منطقيًا أكثر.

شعرت أن عينيها تتسعان بشكل تلقائي، وأنها بحاجة إلى استجماع أفكارها لاستيعاب ذلك المشهد المرعب، والتأكد من أن ما تراه كان يحدث بالفعل، ولكن عندما ضاقت عيناه، وكأنه يقول لها: "أحقًا؟"، بدأت دقات قلبها تتسارع، وانسابت مادة مخدرة من أعلى عمودها الفقري إلى مؤخرة ركبتيها، وهذا ما أشعرها أن جسدها كله، بل وجودها كله، قد تسمّر في مكانه، ومع ذلك لم تظهر أي ملامح تدلّ على الخوف، بعد أن تجاهلت السلاح المصوّب نحوها، وركّزت على حامله كي لا تمنحه الشعور بلذّة الانتصار.

أما الطفلة أليز فكانت تلهو وتلعب، وعندما ألقت حلقة التسنين على الأرض مجددًا، أصدرت صريرًا مزعجًا، ما جعل سام يخطو خطوة باتجاهها، فشعرت كاري بالذعر واتّسعت فتحتا أنفها بشكل لا إرادي.

قالت كاري بلهجة هادئة وضعيفة: "سام، أنا لا أعرف ما الذي تريده منا، ولكنني سأفعل كل ما تطلبه. من فضلك..."، اختنق صوتها وهي تتابع كلامها قائلة: "... لا تؤذِ طفلي".

فُتح الباب الأمامي ثم انغلق بقوة، فاستولى الذعر عليها مجددًا، وكانت على وشك أن تصرخ، إلا أن سام حرّك سلاحه مهددًا إياها.

سألها سكوت من الغرفة الأخرى: "أمي، هل رحل أبي؟ إن سيارته ليست في الخارج، هل يمكنني الاستمرار باللعب في الخارج؟".
قال سام: "اطلبي منه أن يحضر في الحال".

عندما كرّر سكوت سؤاله بنفاد صبر طفولي: "أمي، هل رحل أبي؟".
أجابته كاري وهي تعضّ على شفّتها السفلية: "إننا في المطبخ"، ثم أغمضت عينيها وهي تقول له: "تعال بسرعة، سكوت".

اندفع سكوت إلى المطبخ وهو يقول: "أمي، هل يمكنني البقاء في الخارج؟ قلت إنه يمكنني الذهاب...".

ثم تجمّد في مكانه عندما رأى السلاح مصوبًا نحو أمه، فحدّق مصدومًا إلى والدته ثم إلى السلاح.

قالت كاري: "سكوت"، إلا أن الصبي لم يشح بنظره عن السلاح وهو يدخل إلى المطبخ، فما كان من كاري إلا أن دفعته خلف ظهرها.

قال سام: "قد أترك طفليك من دون أن ألحق بهما أي أذى، وربما لن أفعل ذلك، فلست من سيقرّر ذلك".

فسألته بهلع: "من الذي سيقرّر؟".
ابتسم سام ابتسامة ماكرة من دون أن ينبس ببنت شفة.

شعر بيل بأن الناس جميعهم يراقبونه.
كان ذلك بسبب زيه الرسمي الذي يعكس هذا التأثير المهيّب، ويجعله يقف بشموخ أكبر.

على الرغم من أن بيل كان يتمتّع بالعديد من الصفات، ولكن الجميع أجمعوا على كونه لطيفًا، فجميع المعلمين والمدربين، والفتيات اللواتي واعدهن في

الماضي، وحتى أهالي أصدقائه، ينظرون إليه على أنه الرجل اللطيف، ولم يزعجه ذلك، ومع أنه كان لطيفاً في أغلب الأوقات، إلا أنه عندما كان يرتدي الزي الرسمي، يطرأ تغيير على سلوكه، ولكن ذلك لا يعني أن يتحوّل اللطف إلى وصف افتراضي، بل يظلّ صفة ثابتة من صفاته الحميدة، إلا أنها لا تعود الصفة الوحيدة التي يتّسم بها.

راقبته رؤوس الركاب، وهو يتخطّى الخط اللانهائي أمام مركز أمن مطار لوس أنجلوس الدولي، ولكن الأمر استغرق نظرة خاطفة على تلك القبعة التي يعتمرها، وربطة العنق التي يضعها حول رقبته ليتحوّل السخبط إلى فضول. لم يعد الناس يرتدون مثل هذا الزي في الوقت الحالي، والذي يعود إلى زمن كانت فيه الرحلات الجوية امتيازاً نادراً، وحدثاً كبيراً، إلا أن الشركة تقصّدت عدم تغييره وذلك للحفاظ على جزء من غموض الماضي، بعد أن فرض الاحترام، والثقة، والالتزام بالواجب.

اقرب بيل من وكالة إدارة أمن المواصلات التي كانت جالسة على منصة صغيرة موضوعة بشكل خفي إلى جانب أمن الركاب، وما إن مُسح الرقم التسلسلي الظاهر على وجه شارته الخلفي، حتى أطلقت الآلة صفيراً، وبدأ الحاسوب بالعمل.

قال بيل وهو يعطي الموظفة جواز سفره: "صباح الخير".

قالت: "ألا نزال في الصباح؟"، وهي تدقّق في المعلومات المطبوعة بجانب صورته، ثم قارنتها بالمعلومات الواردة من شارته، وأخيراً مرّرت جواز السفر تحت الضوء الأزرق، فظهرت الصور المجسمة والطباعة المخفية في المساحة الفارغة بالمستند، ومن خلال إلقائها نظرة خاطفة، تحقّقت من أن الوجه الذي أمامها يتطابق مع الوجه الذي يظهر في جواز السفر.

قال بيل: "لقد تجاوز الوقت فترة الصباح بالفعل، ولكنه لا يزال كذلك بالنسبة إليّ".

قالت: "حسنًا، إنه يوم الجمعة، لذلك أريد أن يمرّ بسرعة".

ظهرت صورة شارة بيل والمعلومات على شاشة الحاسوب، وبعد التدقيق ثلاث مرات في جميع أشكال التعريف الثلاثة، أعادت إليه جواز سفره، وقالت له: "رحلة آمنة، سيد هوفمان".

غادر حاجز الطاقم الأمني، ومشى أمام الركاب الذين يعيدون السوائل والحواسيب المحمولة إلى حقائبهم. في رحلته الأخيرة انضمت إلى طاقمه مضييفة طيران متقدمة في السن رفضت التقاعد، لأنها لم ترد التخلي عن التصريح الأمني وذلك لتجنب الأضرار النفسية التي يلحقها السفر بباقي البشر؛ من الانتظار في الطابور، والقيود الموضوعية على السوائل، إلى السماح لها بحقيبتين فقط... وتفتيشها في كل مرة، لا في بعض الأحيان فحسب، وعلى نحو عشوائي. اعترف بيل أنها كانت محقة، وهو يراقب رجالاً يتمّ تفتيش جوربيه.

وقف بيل أمام بوابة فارغة لشدة خصوصية المكالمات الهاتفية التي سيجريها، واتّصل بالمنزل كما وعد كاري، وبينما كان يشاهد شاشة تموين متوقفة عند مدرج الإقلاع، وعمالاً يرتدون سترات عاكسة يحملون الحقائب وينزلونها من منطقة الشحن، سمع الهاتف يرن مرارًا وتكرارًا، وشاهد طائرة تحط على المدرج، وأخرى تقلع من دون أن يتوقف صوت الرنين.

لم يكن هو وكاري يتشاجران كثيرًا، وهذا هو السبب في أنهما كانا سيئين للغاية في التعامل مع الخلافات التي تقع بينهما. أدرك بيل أنه يحقّ لها أن تنزعج، لأن اليوم يصادف موعد المباراة الافتتاحية لموسم الدوري للصغار، وقد وعدا بأنه سيكون متفرغًا، بعد أن تأكد من خلو برنامجه من أي رحلة في اليوم المحدد للمباراة أو حتى في اليومين السابقين واللاحقين لها، ولكن عندما يتّصل بك كبير الطيارين، ويطلب منك القيام برحلة، فلا يمكنك رفض طلبه نهائيًا. كان بيل ثالث أكثر الطيارين المخضرمين خبرة في الشركة، وعندما كان موظفًا جديدًا، لم يكن أحد يتوقّع أن تحقّق الشركة التي عمل فيها نجاحًا كبيرًا، إذ إن شركات الطيران

الناشئة معرضة للفشل وعدم الاستمرار على الإطلاق، ولكنه تمسك بها، وبعد مرور ما يقارب خمسة وعشرين عامًا على تأسيسها، حققت شركة الطيران نجاحًا باهرًا بفضل ثقة الركاب والمساهمين فيها. كانت شركة كوستال بمثابة طفلة، وعندما يبلغك رئيسك في العمل بأن الشركة بحاجة إليك، فلا يمكنك إلا أن تلبية طلبه برضى تام، ولا يمكن للرفض أن يكون خيارًا متاحًا.

لقد أخبر كاري بذلك، ولكنه لم يخبرها بأن مباراة سكوت غابت عن باله عندما سأله أومالي إن كان متفرغًا في هذه الليلة، ولكنه حتى وإن تذكّر ذلك، ما كان ذلك ليحدث أي فرق.

ظلّ الهاتف يرنّ إلى أن تلقى الردّ الآلي: "مرحبًا، أنا كاري، لا أستطيع...". ما إن أنهى المكالمة، حتى ظهرت الصورة العائلية على الشاشة الرئيسية للهاتف قبل أن يضعه في جيبه، ثم ألقى نظرة على انعكاس صورته في النافذة، وهو يسرح شعره الأسود الداكن وقد بدأ الشيب يغزو سالفه، وقد نبضت عيناه بالحياة، تانك العينان الزرقاوان والعميقتان، فتذكر.

بعد أن رنّ الجرس، أجاب: "العيون، جذبتها عيناى".
"هل هذا جوابك النهائي؟ الإجابة الصحيحة تخولك الفوز".
"لطالما قالت لي إنهما مثل البحر الذي يمكنها أن تسبح فيه ليلاً، عندما لا تستطيع رؤية القاع، لذلك هما مشيرتان. لذا نعم، الإجابة هي عيناى، إنه جوابى النهائي".

عندما ارتسمت الدهشة على وجه كاري، انحنى بيل إلى الأمام، وهو يسترجع تلك اللحظات التي أمكنه خلالها أن يشم رائحة الجعة المنبعثة من أنفاسه، وقال لها: "سمعتك تقولين ذلك لإحدى صديقاتك عبر الهاتف ذات مرة، لم يسبق لي أن أخبرتك بذلك. كما أودّ أن أقول لك إنني أحبك يا حبيبتى". ثم طبع قبلة على خدّها.

ارتفعت هتافات الزوجات، بينما قال مضيف الحفلة: "حسنًا يا كاري، الإجابة كانت عينيه، هل كانت تلك هي إجابتك؟ ما الذي جذبك إلى زوجك؟"، احمرّت وجنتاها، وهي ترفع الورقة ضاحكة، بعد أن تبين أن إجابتها كانت "مؤخرته".

ضحّ الأستديو بالضحكات، وبدوره قهقهه بيل.

عدّل ربطة عنقه، وقال لنفسه: "أنا رجل صالح"، ردّد تلك العبارة من دون تردد، ثم ومضت في عقله صورة كاري، وهي تنظر إليه نظرات تدلّ على خيبة أملها وهو يغادر المطبخ، فرمشت عيناه. ثم تأمل طائرة أخرى تستعدّ للإقلاع.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الفصل الثاني

عندما نزل بيل درج جسر الطائرة وداس على الإسفلت، أغمض عينيه محاولاً حجب الشمس بيده، في الوقت الذي كانت فيه أوراق الخريف المتناثرة والصباحات المعتدلة تخيم على معظم البلاد. أما في لوس أنجلوس فيخيم الصيف الحار اللامتناهي.

إنّ التجول للقيام بالفحص القياسي للطائرة يُجرى قبل كل رحلة طيران للتحقق من سلامة هيكل الطائرة من الأعلى إلى الأسفل، وخلّوها من أي أعطال، أو أي إشارات تنذر باحتمال تعرّضها للخطر، أو مواجهة أي مشاكل ميكانيكية أخرى. كان ذلك الإجراء بالنسبة إلى معظم الطيارين مجرد التزام بقواعد الطيران الفدرالية، ولكن بالنسبة إلى بيل، كان بمثابة تعاليم الكنيسة المقدسة. وضع يده على غطاء المحرك، وأغمض عينيه، وبعد شهيق وزفير بطيئين، اتّحد انعكاس المعدن مع لون بشرته، فبدا ملمسهما دافئاً.

قبل شهر من بلوغ بيل عامه الثامن عشر، علم أنه سيؤدّي طقوس العبور الأكثر أهمية في مدرسة الطيران، حينها سأله مدرّبه: "عندما نسجّل خطة الرحلة، هل تعرف لماذا نكتب كلمة «أرواح على متن الطائرة» بدلاً من «أشخاص على متن الطائرة»؟".

هزّ بيل برأسه نافيّاً.

فأوضح المدرّب له قائلاً: "نشير إلى الركاب بكلمة أرواح، لأنه إذا تحطّمت الطائرة، فإن فريق البحث لن يواجه أي مشكلة في معرفة عدد الجثث التي سيبحث عنها، ولتجنب الخلط بين الأسماء المختلفة التي تعود إلى تصنيف الركاب وأفراد

الطاقم والرضع، وهكذا يكون عدد الجثث، يا بني، كل ما يحتاج فريق الإنقاذ إلى معرفته. وأحيانًا تنقل تلك الجثث إلى منطقة الشحن، لذا يكون فريق الإنقاذ بحاجة إلى تسهيل الأمر عليه بدل الانهماك بإحصاء عدد الجثث، والآن بعد أن تسجل عدد الأرواح...".

تلك الليلة، لم يستطع بيل النوم، فاستلقى على ظهره وهو يراقب مروحة السقف وهي تدور، ويستمع إلى غطيط شقيقه الأصغر. تمايلت ستائر النافذة المفتوحة ذات اللون القشدي مع نسيم صيف إلينوي الدافئ، ما جعل الظلال المتماوجة تتراقص على الحائط.

لا يزال الظلام حالكًا في الغرفة، فارتدى بيل ملابسه وتسلل خارج المنزل، وركب دراجته، وشق طريقه بين حقول الذرة في اتجاه مطار المدينة الصغير. لمح طائرتين صغيرتين تحطان على مدرج المطار، وكان برج مراقبة الحركة الجوية الفارغ والهادئ، يلوح في الأفق. كانت تلك الطائرات الصغيرة ذات المحرك الواحد هي التي يتدرب عليها، ولكنه كان واثقًا من أنه سيتجاوز تلك المرحلة عندما يقود طائرات أضخم وذات محركات أكبر، وتتسع لحمولات أكثر. لقد مضى وقت طويل على بيل متكئًا على السياج، تساءل وهو يحدق إلى تينك الطائرتين، أترأه هو من يقيّمهما أم هما من تقيّمانه؟ وما إن تلاشت النجوم، وانبلج الفجر ناشرًا ألوانه الوردية والبرتقالية، بدا الأمر كما لو أن الاستجواب قد بدأ بالفعل بعد أن تزاхمت الأسئلة في رأسه، هل يستطيع تحمل عبء ذلك الالتزام؟ هل يمكن أن يكون الرجل المناسب لتلك الوظيفة؟

بدا كل شيء على ما يرام، الإطارات سليمة، والتروس مشحمة، وأجهزة الاستشعار متموضعة في مكانها، ولا كسور أو شقوق في هيكل الطائرة. ثم لاحظ بطف عينه تحرك خيال ما، فخطأ بضع خطوات في اتجاه مقدمة الطائرة أسفل غرفة القيادة تمامًا، فما كان من مساعده، بن ميرو، إلا أن انحنى نحوه، ولوّح له كي يُعلمه

بأنه قد وصل، فتلاشت ابتسامة بيل عندما لمح قبعة اليانكيز التي كان يحملها وهزّ رأسه باستياء، بينما ظلّت الابتسامة مرتسمة على وجه بن وهو يلوّح للقبطان بإصبعه الوسطى.

ما إن انتهت الجولة الاستكشافية، حتى صعد بيل الدرج في اتجاه الجسر النفث، ثم ألقى نظرة أخيرة على طائرته، ذات ذيل إيرباص آي 320 الذي يحمل شعار شركة كوستال للخطوط الجوية باللونين الأحمر والأبيض، والذي يمنحه الشعور بالفخر... ثم تذكّر كاري، فتفقد هاتفه وهو يدخل رمز أمان الباب الرئيسي. لم ترده أي رسائل أو مكالمات فائتة.

وبينما كانت عيناه تتكيفان مع إضاءة الفلورسنت، كان الباب ينغلق خلفه، وحين تعرّس بيل بحقيبة أحد الركاب، اعتذر إليه بابتسامة خفيفة، بينما تجهّم وجه ذلك الراكب، فبدأ ذلك مثيرًا للاستغراب نظرًا إلى قامته ذلك الطيار الذي كان يبلغ طوله ست أقدام وأربعة إنشات. نظر الرجل إلى الزي الرسمي من الأعلى إلى الأسفل، وبينما كان القبطان يمرّ بجانبه، بادله الابتسامة الباهتة.

مشى في طابور الركاب على الجسر في اتجاه الطائرة متجاوزًا الحقائق وعربات الأطفال. أخيرًا، صعد إلى الطائرة وهو يلقي نظرة خاطفة على الجزء الخلفي منها من خلال الإضاءة ذات اللونين الوردي والأرجواني اللذين يرمزان إلى الأجواء الاعتيادية لشركة الطيران العصرية.

قال لمضيفه الطيران التي تقف على أطراف أصابعها للوصول إلى إحدى الناقلات في مطبخها: "علينا أن نقلع الآن". استدارت جو، ولمعت عينها ببريق الدهشة، وعندما انحنى ليعانقها، دغدغت خصلات شعرها الداكنة والرقيقة خده، وعندما فاحت رائحة الفانيليا المألوفة من بشرتها ذات اللون البني قالت له:

"إنها رائحتي المألوفة، كما كانت تلك الرائحة تخصّ والدتي وجدتي من قبلي. أتعرف؟ عندما تبلغ فتاة من واتكينز الثالثة عشرة من عمرها، تجتمع جميع نساء العائلة للاحتفال بها، من دون أن يسمح للرجال بالحضور، بل السيدات فقط،

فنجتمع في المطبخ، ونروي الأخبار المتنوعة، ونحن نطبخ أنواعًا مختلفة من الأطعمة، وحدنا فقط... نحتفل بأجيال الإناث الصاعدة".

كانت اللهجة التي تحدّثت بها أشبه بلحن موسيقي عذب، وقد بدا بيل مسرورًا بكل حرف نطقته به، وبكل حدث لا يمكن التنبؤ به، وهما يحتسيان المشروب في أحد الملاهي، بعد أن كان يتساءل دائمًا عن طفولتها، لأنه كان يعشق سماع لكنة شرق تكساس التي ازدادت قوة تأثيرها عندما روت له تلك الأحداث التي تتعلّق بماضيها، في ذلك اليوم الذي دعاها فيه لتناول المشروب، وما إن أنهى بيل البيرة، أشار إلى النادل إلى أنه يرغب في احتساء المزيد.

أما جو فقالت بعد أن استرجعت إحدى ذكريات طفولتها وهي ترسم ابتسامة على وجهها، وتتأقّل كأس النبيذ، كما لو أنها تشاهد تلك الذكرى تتأرجح أمامها: "لن أنسى أبدًا جدتي وهي تتناول زجاجة دكتور بيبر من يدي وتضعها على منضدة المطبخ، يا إلهي! يدا تلك المرأة، على الرغم من أن جسمها لم يكن ضخمًا، إلا أن يديها..."، لم تكمل جو جملتها، ثم استأنفت كلامها قائلة: "لقد أعطتني ذلك الصندوق الذهبي اللامع المزين بربطة زرقاء، ومع أنني كنت أعرف ما كان يحتويه، بل كنا جميعًا نعرف، إلا أنني أتذكر أن أصابعي بدأت ترتعش، وهي تفكّ الربطة بحذر شديد، وما إن فتحت الصندوق، حتى لمحت زجاجة عطر شاليمار التي لم تعد تفارقني منذ ذلك الحين، لأن رائحتها كانت تذكّرني بأمي وجدتي، ولأنها كانت ترمز إلى ماضيّ ومستقبليّ".

•••

قالت جو: "لم أكن أعرف أنك ستكون قبطان هذه الرحلة".

قال بيل: "أبلغني أومالي بالمهمة الليلة الماضية بعد أن تعذّر العثور على أي من الطيارين الاحتياطيين، لذا طلب مني المساعدة".

قالت راسمة الابتسامة على شفيتها وهي تنظر إلى الركاب على متن الطائرة: "إن كان من أبلغك بالمهمة عبر اتصال مباشر كان كبير الطيارين، فلا بد أن تلبّي طلبه".

قال بيل: "بما أنك تدركين تمامًا ما يعنيه ذلك، فهل يمكنك أن تشرحي المسألة لكاري من فضلك؟".

رفعت جو أحد حاجبيها وقالت: "حسنًا، هذا يعتمد على الحدث الذي فوتته مقابل تسلّم قيادة هذه الرحلة؟".

أجاب بيل: "إنها المباراة الافتتاحية لموسم دوري الصغار التي سيشارك فيها سكوت، وقد وعدته بأنني سأحضرها".
أجفلت جو بعد سماع كلامه.

قال بيل: "أعلم أن ما تخلفت عن حضوره كان حدثًا مهمًا، ولكن ماذا كان يجدر بي أن أفعل؟ لا يعني ذلك أنني أب لا يهتمّ بطفليه، لأنني عندما أعود إلى المنزل، أهتمّ بهما جيدًا، ولكن صادف أن مهنتي تعني أنني عندما أكون في العمل، يتحمّ عليّ أن أكون بعيدًا عن عائلتي، وسأعوضها عن هذا الغياب عندما أعود إلى المنزل".

لقد انتظر نوعًا من المواساة، ولكن جو استمرّت بسكب مشروباتها قبل مغادرة كابينة الدرجة الأولى، ثم نظرت بعد لحظات وجيزة إلى بيل، قائلة له: "أوه، أنا آسفة، هل كنت تتحدّث إليّ؟ ظننت أنك تشرح ذلك لزوجتك أو لابنك أو... لنفسك".
ثم التقطت صينية المشروبات، وأكملت كلامها قائلة: "أنت لست مخطئًا يا عزيزي، لكنك تحاول أن تحلّ المشكلة مع الشخص الخطأ".

كانت جو محققة في كلامها، كما اعتادت دائمًا أن تكون على حق.
سألته وهي تشقّ طريقها بين مقاعد الركاب من أجل تقديم المشروبات إليهم: "هل تريد احتساء القهوة؟".

قال لها: "أنتِ تعلمين الإجابة سلفًا على ذلك السؤال". ثم دخل إلى غرفة القيادة.

قال له بن: "ها قد حضرت أيها الزعيم!"، وبعد أن تصافح الرجلان جلس بيل على المقعد الأيسر، وقد غطّت الأزرار والمقابض السوداء والرمادية كل سطح

تلك المساحة الضيقة تقريبًا، وكان يظهر من حين إلى آخر وميض أحمر أو أصفر، فكانت تلك الأضرار التي تومض بمثابة تحذير من ارتكاب خطأ ما، فبدت وكأنها ومضات متطفلة على الرحلات الهادئة.

قال بن: "أسف، لقد تأخرت بسبب ازدحام الطرقات في لوس أنجلوس الذي يستمر حتى يوم السبت".

قال بيل: "هذا يحدث غالبًا"، ثم أكمل كلامه بعد أن مدّ يده والتقط الميكروفون الموجود إلى يسار مقعده: "مساء الخير، سيداتي وسادتي، مرحبًا بكم على متن رحلات خطوط كوستال الجوية رقم 4-1-6 التي تقدّم إليكم الخدمة على مدار الساعة، وستكون وجهتنا مطار جون كينيدي الدولي في نيويورك. أدعى بيل هوفمان، وقد حزت امتياز أن أكون الطيار الذي سيقود رحلة اليوم، ويشاركني في غرفة القيادة الطيار المساعد بن، كما أن فريقًا رائعًا على متن الطائرة سيكون متوفرًا لخدمتكم، والحفاظ على سلامتكم في المقام الأول. ستكون جو في المقدمة، ومايكل وكيلي في الخلف. وستستغرق الرحلة خمس ساعات وأربعًا وعشرين دقيقة، ويبدو أنها ستكون رحلة ممتعة، وإذا كان لديكم أي طلبات يمكننا تلبيتها لجعل هذه الرحلة أكثر متعة، فلا تتردّدوا في إخبارنا بها. في الوقت الحالي، استرخوا واستمتعوا بنظام الترفيه المتوفّر على المقعد الخاص بكم، وكالعادة، شكرًا لكم على اختياركم السفر على متن خطوط كوستال الجوية".

سأله بن: "هل رأيت كيللي، المضيفة الاحتياطية الجديدة التي تهتمّ بخدمة الركاب في الخلف؟".

أجابه بيل: "لا، لماذا؟".

توقّف بن عن إدخال الإحداثيات في حاسوب توجيه إدارة الرحلة ليقوم ببعض الإيماءات البديئة، بينما هزّ بيل رأسه تعبيرًا عن استيائه. إن تلك الأيام التي سبقت ارتباطه بكاري، وهو لا يزال مساعدًا أول، ويطارد النساء، بدت وكأنها مرحلة طواها النسيان.

صمت بن فجأة عندما دخلت جو غرفة القيادة، وهي تحمل كوبًا ساخنًا من القهوة، ثم سألته وهي تقدّم ليليل القهوة الداكنة كما يفضل أن يحتسيها: "هل تريد احتساء القهوة يا عزيزي؟". إذ كانت تعرف تمامًا القهوة التي يفضل بيل أن يحتسيها من دون أن تسأله.

أجابها بن: "لا يا سيدتي، أنوي أن أتناول مشروبًا مميزًا فور وصولنا إلى الحانة في نيويورك".

أومأت له وقالت: "حسنًا، سنكون جاهزين للإقلاع، بعد وصول آخر راكبين، هل تمانعان استقبال زائرين في المقصورة في تلك الأثناء؟". ما إن التفت بيل إلى الخلف حتى رأى صبيًا صغيرًا يقف خلف جو وينظر إليه.

قال لها: "بالتأكيد، تعال".

ما إن خرجت جو من المقصورة، حتى نهض بيل عن مقعده ليحثّ الصبي على التقدّم، بينما كان يهمس والده الواقف خلفه في أذنه مشجعًا إياه، ثم قال لبيل: "إنه خجول بعض الشيء، ولكنه يحبّ الطائرات. إننا نركن سيارتنا بجوار المطار لنراقبها وهي تقلع أو تهبط طوال الوقت".

قال بيل: "أتركنها في الموقف الذي يقع بالقرب من مطعم البرغر قبالة المدرج الشمالي؟ كنت أفعل ذلك مرارًا برفقة ابني عندما كان في سن طفلك، وما زلنا نقوم بذلك من وقت إلى آخر". وجه بيل تلك الملاحظة إلى نفسه ليتذكّر بأن عليه اصطحاب سكوت بعد العودة من هذه الرحلة. سأل بيل الصبي قبل بدء الجولة: "هل ترغب في معرفة وظيفة بعض الأزرار؟".

بعد بضع دقائق، أطلّ رأس جو عبر باب غرفة القيادة، بعد أن صعد آخر راكبين خلفها، وقالت: "كل شيء بات جاهزًا يا بيل"، ثم سلّمت قائمة الأسماء النهائية. مكتبة

قال لها: "حسنًا، لنبدأ العمل"، ثم وجه كلامه إلى الأب وابنه قائلاً: "شكرًا على حضوركما، هل ترغب أيها الصبي الصغير في الحصول على زوج من

الأجنحة؟"، ثم مدّ يده إلى حقيبتها التي كانت إلى يسار مقعده، وأخرج منها زوجًا من الأجنحة البلاستيكية الصغيرة، وأصقهما على قميص الصبي، فنظر الصبي إلى الجناحين اللامعين، ثم ما لبث أن رفع رأسه، وهو يقهقه قبل أن يدفن وجهه بين ساقى والده، فابتسم بيل ابتسامة رقيقة بعد أن انتابته مشاعر الحنين، وهو يفكر في سكوت عندما كان صغيرًا، وقد بدا له أن ذلك حصل منذ زمن بعيد، ثم عاد الاثنان إلى مقعديهما بعد أن شكر الأب بيل.

الأرواح على متن الطائرة، ذكر بيل نفسه بهذا القول، وهو يتفحص الأعداد الموجودة على تلك القائمة، ثم وقّعها، وأعادها إلى جو، التي سلّمتها إلى وكيل البوابة المنتظر أمام بوابة الطائرة، وبعد لحظة، أُغلق بوابة الطائرة بقوة، وبعد أن أنهى الركاب المكالمات الهاتفية، استقروا في أماكنهم.

قال بن: " (قبل البدء) قائمة التحقق من المسار يا بيل".

عندما أومض هاتف بيل، توقع وصول رسالة نصية من كاري، ولكن ما وصله بدلًا من تلك الرسالة كان بريدًا إلكترونيًا ترويجيًا لصالة الألعاب الرياضية التي يرتادها، الأمر الذي أثار استياءه.

وعندما سحبت جو مزلاج باب غرفة القيادة المغناطيسي سألتها: "أجاهزان للإقلاع؟".

التفت بيل إليها، ورفع إبهامه، فأغلقت الباب تاركة الرجلين بمفردهما في غرفة القيادة، فحوّل بيل هاتفه إلى وضع الطيران بعد أن تخلّى عن فكرة وصول رسالة من كاري، مع أنها كانت تدرك تمامًا أن وقته المتاح لمكالمتها كان محدودًا، وأنه بمجرد أن يقلع لن يكون قادرًا على التحدث إليها، وخاصة أن بن هو الذي يجلس إلى جانبه. ومع أن انزعاجه بدا طفوليًا، إلا أنه كان مستاءً من عدم اتصالها به، فإن أرادت الحصول على اعتذار، كان عليها أن تتصل به وإن لمرة واحدة قبل أن تقلع الطائرة، فقد أرسل إليها رسالة نصية قبل انطلاق الرحلة، وهذا أقصى ما يستطيع أن يقدمه لها حتى موعد هبوط الطائرة في نيويورك.

قال بيل: "حسنًا، (قبل البدء) قائمة التحقق من المسار من فضلك".
سحب بن القائمة المرجعية، وقال له: "سجل، حرر، رقم الذيل...".

رفع بيل علامة وضع أحزمة الأمان بعد أن استقرت حركة الطائرة، وهي تحلق باتجاه الشرق، بدت وكأنها كتلة بشرية معلقة في طي النسيان.

انتشر صرير مراقب الحركة الجوية في جميع أنحاء غرفة القيادة: "كوستال 4-6-1، اتصل بمركز لوس أنجلوس 1-2-9.50". ردّ بيل: "كوستال 4-1-6، لوس أنجلوس 1-2-9.50، طاب يومكم جميعًا".

دفع بيل المقبض في لوحة التحكم السفلية الواقع إلى يساره، وأداره عكس اتجاه عقارب الساعة، فانخفضت الأرقام الصفراء نحو التردد الجديد، بينما كان المراقب ينتظر في الطرف الآخر من الخط أن يوجه الطائرة إلى المسار الصحيح قبل تسليمها إلى متحكم القطاع التالي، وذلك يعني أنه سيستمر التواصل طوال الرحلة إلى أي بلد تتجه إليه من بلاد العالم.

انتظر بيل حتى توقف بن عند الرقم 129.50، ثم ضغط على زر النقل. قال عبر الميكروفون: "مساء الخير، مركز لوس أنجلوس"، وهو يقوم بتفحص اللوحة التي تشير إلى الارتفاع والاتجاه والسرعة، ثم أكمل قائلاً: "كوستال 4-1-6 تسجيل وصول مستوى الرحلة إلى 3-5-0".

قال المراقب: "مساء الخير، كوستال، ينبغي عليك الحفاظ على مستوى 3-0-5". ثبت بيل الميكروفون، ونقر زرًا على وحدة التحكم أمامه، فأضاء الضوء الأخضر الواقع فوق الملتصق "أي بي 1"، ما يؤكد أن الطيار الآلي قد شغل، ثم فكّ أحزمة الكتف الخاصة بحزامه، واستعد لقيادة الرحلة.

قالت جو: "سيدي المحترم، سيدي المحترم".

حدّق الرجل إلى الشاشة، فظهر المقعد أمامه، وعندما لوّحت له بأصابعها أمام الشاشة، نزع سماعتي رأسه، وتناول كأس النبيذ التي كانت تحملها. قال لها: "آسف"، ثم عاود النظر إلى الشاشة بعد أن اعتذر منها. سألته جو: "أهي مباراة مهمة؟"، وهي تقدّم مشروبًا غازيًا من دون ثلج تناولته من صينيّتها إلى الفتاة الشابة الجالسة على مقعد الدرجة الأولى المجاور له. قال بلهجة نيويورك الثقيلة: "أتمرحين؟ إنها المباراة السابعة من بطولة العالم، بالطبع تعدّ مباراة مهمة".

قالت جو: "أفترض أنك من مشجعي اليانكيز".

أجاب مؤكّدًا: "منذ اليوم الذي ولدت فيه"، ثم وضع سماعتي رأسه مرة أخرى لسماع التغطية التي تسبق المباراة.

أما الفتاة الجالسة إلى جانبه، فكانت ترسل رسالة نصية إلى صديقها، كتبت فيها: "سنبط في تمام الساعة 10:30، هل يمكنك اصطحابي؟"، ثم انتظرت بلهفة وهو يكتب الرد، وابتسمت فور وصول نص رسالته.

اصطفت أربعة صفوف في المقصورة الرئيسية، ضمّت رجلًا طوى صفحة كتابه، بعد أن أثار شعاع الضوء العلوي الذي لا يزال يُشعله غضب الرجل الجالس على المقعد الأوسط المجاور له، والذي كان يحاول أن ينام. عندما ضغطت امرأة جلست في الممر، على زر "إرسال" على لوحة حاسوبها المحمول الخاص بها، وصل البريد الإلكتروني بعد ثوانٍ وجيزة إلى بريد رئيسها في لوس أنجلوس، أما الرجل الجالس بجوار النافذة فكان يتلوّى في مقعده متسائلًا عن مقدار الوقت الذي سيضطرّ إلى أن يتظره قبل يتمكّن من أن يطلب من الذين يجلسون في الصف الأمامي النهوض من أماكنهم حتى يتمكّن من الذهاب إلى الحمام، وقد ارتفع خلفه غطيظ صاحب انبعث من الراكب البدين الذي طلب من مضيفات الطيران موسعًا لحزام الأمان في أثناء الصعود إلى الطائرة، وقد انحنت رقبتة، وفغر فمه، بينما كان طفل صغير يتجوّل في الممر أمام الجميع قبل أن تمسك والدته بيديه المرفوعتين، لثبته على مقعده.

على الجانب الآخر من باب غرفة القيادة، تحدّث الطياران مع مراقب الحركة الجوية، ليضبطا ارتفاع الطائرة وسرعتها في أثناء توجيهها، ثم تفحصا تقارير الطقس للحصول على التحديثات، ومسح الامتداد المفتوح أمامهما، من الصحارى اللانهائية، وقمم الجبال المغطاة بالثلوج، والمناظر الطبيعية الخلابة في غرب الولايات المتحدة، ولكن في أثناء تحليق الطائرة بثبات، قضيا أغلب الوقت مثل ركاب الطائرة، فقرأ ابن كتابًا عبر جهازه اللوحي، وأحيانًا كان يرسل بعض الرسائل النصية، بينما مضغ بيل قطعة من الغرانولا، وهو يعمل على حاسوبه على الجزء المعتمد للتدريب المتكرر النصف سنوي الذي كان عليه تحضيره خلال أسابيع قليلة.

تلقى بيل عبر حاسوبه المحمول بريدًا إلكترونيًا جديدًا، كان مرسلًا من كاري، ولكنه لم يحتوِ على أي موضوع أو نص، بل كان مرفقًا بصورة فقط، بداله الأمر غريبًا قبل أن ينقر على المرفق، على الرغم من أنه لم يكن من غير المعتاد أن ترسل كاري صورًا للطفلين أو لنشاط قد فوّته في المنزل، ولكن بعد الخلاف الذي وقع بينهما، بدت تلك البادرة غير متوقعة.

رمش بيل عدة مرات، وهو يشاهد الصورة، وبدا مرتبكا، فقد تعرف إلى الأريكة والتلفاز في الخلف، كما بدت الكتب وأطر الصور مألوفة، وقد رأى زجاجة البيرة حيث تركها في الليلة السابقة بعد أن أنهى هو وسكوت مشاهدة مباراة فريق دودجرز الذي خسر المباراة السادسة، كما تمكّن من تخيل شجرة البلوط الطويلة في الفناء الخلفي التي تركت ظلًا داكنًا على أرضية الغرفة التي تيرها أشعة الشمس. كانت كل تلك العناصر طبيعية بالنسبة إليه، ولكن الشخصين اللذين وقفا في وسط الغرفة لم يبدوا كذلك، فقد كانا حافبي القدمين، وسيقانها عارية، وأذرعهما ممدودة على شكل صليب، فبدوا وكأنهما يبسطان أيديهما بتضرّع نحو السماء كتعبير صامت عن العجز، وقد تعرّف إليهما من دون رؤية وجهيهما اللذين أخفتهما القلنسوتان السوداوان اللتان غطتا رأسيهما.

لم يكن بحاجة إلى إلقاء نظرة خاطفة على طلاء أظافر زوجته الوردية ليعرف أن أحد الشخصين كان كاري، كما لم يكن بحاجة إلى تأكيد أن الساقين النحيفتين كانتا ساقِي ابنه.

انحنى بيل إلى الأمام، محاولاً اكتشاف ما كانت ترتديه كاري، فتيّن أنها سترة غريبة تحيط بجذعها بالكامل، وهي مكونة من جيوب تلتفّ من الأمام وصولاً إلى الخلف، وكانت الأسلاك زاهية الألوان بارزة منها، لقد رأى مثل تلك السترات في نشرات الأخبار في لقطات فيديو مشوشة لمفجرين انتحاريين يتلون أقوالهم الاستشهادية الأخيرة، ولكن في الوقت الحالي، لم يستطع عقله استيعاب هذا المشهد، وهو إحاطة هذا الشيء الغريب بجسد زوجته.

شعر بجفاف فمه، وأسند يده إلى الطاولة للحفاظ على توازنه، وشعر بالدوار، ثم أغمض عينيه لبضع ثوانٍ، أملاً في أنه عندما يفتحهما مجدداً، سيختفي ذلك المشهد، أو أنه سيستيقظ ليجد أن كل ما رآه كان مجرد كابوس، وبطريقة ما، ربما، يمكنه البدء من جديد، أو حتى الاختفاء عن الوجود.

فتح عينيه، وهو يظنّ أنه قد أصابه المرض، ولكن صورة زوجته التي ترتدي السترة الناسفة، وهي بجانب ابنهما في غرفة المعيشة، لا تزال ماثلة أمامه.

وصله بريد إلكتروني آخر، يدعو فيه صاحبه إلى وضع سماعتي الرأس الخاصتين به، في الوقت الذي ظهرت فيه مكالمة واردة عبر تطبيق فيس تايم على الشاشة.

الفصل الثالث

بحث بيل في حقيقة ظهره عن سماعتي الرأس. وضع بارتباك الطرف المعدني في الفتحة الصغيرة في مقدمة الحاسوب، تطلب منه الأمر أن يحاول مرتين قبل أن يتمكن من وضع إحدى السماعتين في أذنه اليسرى؛ وهي الأذن التي لا يستطيع بن رؤيتها. كافحت أصابعه المرتعشة للإجابة عن المكالمة، بإصبع مرتجف، تمكن من الضغط على الأيقونة الخضراء، وشاهد في الزاوية اليسرى السفلية للشاشة صورة لوجهه مع بدء المكالمة.

بدا الرجل الذي ظهر على الشاشة هزياً وذا شعر بني كثيف وحاجبين كثين، كانت بشرته سمراء فاتحة وشفته مضموطتين في خط رفيع. خمن بيل أن الرجل في أواسط العقد الثالث من العمر، وبدا مألوف الوجه، ولكن بيل لم يستطع معرفة السبب، عندما ابتسم الرجل بدت أسنانه المترابطة بشكل مثالي ناصعة البياض، وكان هو الآخر يرتدي سترة ناسفة.

قال الرجل: "مساء الخير، كابتن هوفمان". ظل بيل صامتاً.

أصدرت المراقبة الجوية توجيهًا، فأجاب بن: "كوستال 4-1-6، علم، مركز دنفر"، وانحنى إلى الأمام لتغيير ارتفاع الطائرة وقال: "الصعود إلى 3-7-0". ثم لف مقبضاً على لوحة القيادة المركزية حتى وصلت الأرقام الموجودة على مقياس الارتفاع إلى 37000، عندها شد المقبض ليؤكد الأمر، استجابت الطائرة للأمر الذي أصدره لها، وارتفعت ببطء. نظر إلى الأفق، وكبح ثأؤباً، وعاد إلى هاتفه. ابتسم الدخيل ابتسامة عريضة عبر الشاشة وسمع بيل في الخلفية صوت أليز وهي تصرخ.

"أنت لست وحدك بالطبع. فما رأيك بما ترى؟ عندما يكون لديك ما تقوله، أرسل بريدًا إلكترونيًا، أنا في انتظارك، يوجد في مقدمة حقيبتك، واق للخصوصية لحاسوبك، اجلبه منها".

الحقيقية.

الحقيقية التي وضعها بجانب معدات العامل الذي التقى به قبل أن يغادر، إنه

هو.

فتش بيل حقيبته. لقد تنكر الرجل بزي عامل من شركة كالكوم، وبذلك تمكن من دس ذلك الشيء ليعثر بيل عليه وهو في الطائرة، لقد غادر المطبخ عندما دخله بيل، وعندها استغل الفرصة، ودس الجهاز في الحقيبة. ما كان اسم العامل؟ لقد ذكرته كاري، ولكن بيل لم يتمكن من حسم إن كان الرجل قد قدم نفسه أم لا.

عثر على ورقة رقيقة وشفافة، وضعها بيل على مقدمة الشاشة وشرع يكتب وهو يشعر بالدوار ولم يستطع حتى اللحظة حسم الأمر إن كان يعرفه أم لا. وسمع صوت بريد إلكتروني عند الطرف المقابل. تبع بيل عيني الرجل وهو يقرأ بريده الإلكتروني:

أين عائلتي؟

ردّ الرجل: "الجميع بخير، الآن...".

تجاهله بيل، وكتب بأسرع ما يمكن.

من فضلك أريد رؤيتهم.

ردّ الرجل: "من فضلك، أنت محترم جدًا. لكن لا، دعنا نتحدث من رجل إلى

رجل لدقيقة".

قبل أن أرى عائلتي، ليس لدينا ما نتحدث بشأنه.

قرأ الرجل البريد الإلكتروني بحذر: وقال: "عنادك مزعج".

أشار إلى المطبخ. رأى بيل في يد الرجل ما كان يبدو أنه مفجر لاسلكي، مع

غطاء بلاستيكي مثبت على الزر الأحمر في الأعلى، إنه جهاز بدائي يدوي الصنع.

ظهرت كاري والولدان على الشاشة، وكاد بيل يختنق. لقد أزيل القناع الأسود، لكن فم زوجته وابنه لا يزالان مكممين، وأيديهما مقيدة. توقفت أليز عن البكاء، وواجهت كاري صعوبة في حمل الطفلة على وركها حيث كانت مُرتبكة بسبب الأربطة والسترة الناسفة. أحضر الرجل كرسيًا من المكتب ووضعها بجانب طاولة المطبخ، وأمر كاري أن تجلس وطفلتها، ثم جلس إلى جانبها بينما وقف سكوت إلى الجانب الآخر.

قال الرجل وهو يضع مرفقيه على الطاولة ويقترب من الكاميرا: "الآن، أنت رجل ذكي، كابتن هوفمان، أو هل يمكنني مناداتك بيل؟".

حدق بيل إلى الشاشة.

ابتسم الرجل وقال: "كما ترى يا بيل، ربما أصبحت لديك صورة واضحة عن الوضع، وإليك المطلوب منك؛ يجب أن تحطم الطائرة، وإلا سأفجر عائلتك، وليكن بمعلوماتك، إذا أخبرت أحدًا أو أرسلت أحدًا إلى المنزل، فسأفجر الحزام وأقتل عائلتك".

عندها نقل المفجّر من يد إلى أخرى وتابع: "الأمر بسيط والقرار بيدك وحدك؛ حطم الطائرة، وإلا سيموت أفراد عائلتك".

شعر بيل بألم حاد أسفل عموده الفقري، وتمنى أن يطلب منه الرجل فدية، ولكنه علم أن الأمر ليس كذلك، في اللحظة التي رأى فيها الصورة، علم أن هناك خرقًا في مكان ما، وأدرك أن الخطر يحدق بالطائرة. لم يستطع الشعور بيديه عندما تحركتا فوق لوحة المفاتيح.

لن أحطم الطائرة ولن تقتل عائلتي.

قال الرجل بعد قراءة البريد الإلكتروني: "خطأ، لا بد لأحد الأمرين أن يحصل".
اسمح لي أن أكرر يا بني: لن أحطم الطائرة ولن تقتل عائلتي، انتهى الحديث.

شعر الرجل الذي يظهر على الشاشة بعدم الاحترام المقصود. اسمي سامان خاني، نادني سام. كنت قد عرفت بنفسني هذا الصباح، لكنك لم تهتم بعامل فني".

"من مركز شيكاغو إلى كوستال 4-1-6، تقارير عن اضطراب خفيف إلى معتدل من دلتا 2-4-4 حتى الثلاثين ميلاً القادمة، اتجه إلى شمال غرب طريقك مباشرة".
قفز بيل عند سماع صوت مراقب الحركة الجوية، متفاجئاً من أن بقية العالم ما زال مستمراً".

قال بن: "نائم هناك، أيها الرجل العجوز؟". ضحك بن وهو يبذل صفحات شاشته، حتى أظهر الرادار الخاص بالطقس. قال عبر الميكروفون: "كوستال 4-1-6، علم، مركز شيكاغو. نحن مستقرون الآن، لكننا سنتبع ما نُصحنا به، سنخبركم إذا كنا بحاجة إلى إيجاد مسار أكثر سلاسة".

قال بيل ذلك محاولاً إعادة الحياة إلى طبيعتها: "أنا، آه...، أعتقد أنه من المفترض أن تضعف الوحدة في هذا الوقت تقريباً. من المفترض أن يتغير الاتجاه شمالاً...".

مكتبة

t.me/soramnqraa

قال بن: "نعم"، بينما عاد بيل إلى هاتفه.
سأله بن: "بيل، هل تمانع إذا أخذت استراحة؟".
سأله بيل: "لماذا؟".

رد بن: "لأتبول؟ بالله عليك، هل أنت بخير؟".

أجابه بيل وهو ينظر إلى هاتفه: "بالتأكيد، أنا بخير. في الواقع، هل يمكنك الانتظار لدقيقة؟ أنا أعمل على شيء ما".

قال بن: "بالتأكيد، سأستخدم زجاجة إذا تأزم الأمر".

ملأت ضحكة سام سماعة أذن بيل، وقال: "إنه يوم غريب لتحضر فيه عائلتك إلى العمل". أجفلت كاري وهو يضع يده على كتفها. في تلك اللحظة وصلت رسالة ففتحها سام، وقرأ بصوت عالٍ: "أعتقد أن مساعدي الأول سيسبب مشكلة عندما أحطم الطائرة...".

"نعم، أعتقد أنه سيفعل، لذلك ستضطر إلى قتله أولاً".

بدا بيل وكأنه تلقى ضربة قوية.

لم يسبق له أن تشارك وبن رحلات كثيرة، ولكنه يحبه، فهو طيار جيد وذكي ويجيد التصرف في الأوقات الحرجة. ثقته بنفسه كبيرة جدًا تكاد تصل إلى حدّ الغرور، ولكن هذا النوع من الثقة مهم وضروري في غرفة القيادة. سبق لهما أن تناقشا بشأن الفرق الرياضية، واندesh بيل عندما تبين له أن هذا الشاب نباتي، وهو أعزب، ولم يكن يعرف شيئًا عن أصدقائه وعائلته أو إن كان لديه حبيبة. ربما كان يواعد إحدى المضيفات، وها هو يؤمر بقتله.

اقتله أولاً. تخلص منه، حتى تتمكن من قتل جميع من على الطائرة.

شعر بيل بالغثيان.

قال سام متجاهلاً ما كتبه بيل: "أنا متأكد من أنك تفكر في الطريقة التي ستقتله بها؟".

توقفت أصابع بيل عن الكتابة.

أكمل سام: "أعني، في النهاية، كما تقتل أي شخص آخر، أنت ستحطم الطائرة، وبما أنه قد يحاول إيقافك، فقد فكرت بالنيابة عنك، وضعت في أسفل الجيب الكبير من حقبتك قارورة فيها مسحوق أبيض، فعندما يتوجه إلى الحمام، ضع في قهوته، أو أيًا كان ما يشربه، قليلاً من المسحوق، وما إن يرتشف عدة رشقات، فستتابع قيادة الرحلة بمفردك".

ما هو المسحوق الأبيض؟

قرأ سام الرسالة متجاهلاً السؤال عمدًا.

قال: "أوه!"، ورفع إصبعه، ثم أكمل: "وستجد في الجيب الآخر أسطوانة معدنية. فبعد أن يموت مساعدك، وقبل أن تحطم الطائرة..." - ابتسم - "رج الأسطوانة، ومد يدك خلفك، وافتح باب غرفة القيادة. افتح الأسطوانة وارمها، ثم أغلق الباب، عندها ستكون المهمة قد أنجزت وانتهت حياة الجميع".

رمش بيل بخدر وهو ينظر إلى الشاشة، ثم كتب:

ماذا تحتوي الأسطوانة؟

ضحك سام وقال: "أنت تطرح كثيرًا من الأسئلة غير المهمة، لن أخبرك عن ماهية المسحوق الأبيض، ولن أخبرك عما تحتويه الأسطوانة. أرايت؟ لم نصل إلى الجزء الجيد بعد، لأنك لم تطرح سؤالًا مثيرًا للاهتمام. على سبيل المثال، يمكنك أن تسألني: ما الذي تريدني أن أصدم الطائرة به".

لن أسأل، لأنني لن أحطم الطائرة.

قال سام وهو يرفع المفجّر: "أوه! هذا هو اختيارك؟ اخترت الطائرة؟".

تشبثت كاري بأليز بقوة. وسرت القشعريرة في بدن بيل.

لم أختّر شيئًا.

همهم سام، وهو يقرأ البريد الإلكتروني، وقال: "حسنًا، في هذا السيناريو، إذا لم تختّر، فهذا يعني أن الأمور ستسير وفقًا لما هو مخطط لها، يعني ستهبط الطائرة في مطار جون كينيدي. وهذا يُعتبر اختياريًا. لذا...". عدّل السترة، وأمسك المفجّر بيده الأخرى وأكمل: "إذا كان هذا هو خيارك...".

شرح بيل يكتب بسرعة.

حسنًا، بماذا تريد مني أن أصدم الطائرة؟

قرأ سام البريد الإلكتروني، وأشرق وجهه. عقد ذراعيه على المنضدة، وانحنى صوب الكاميرا ثم قال: "لن أخبرك".

عندما شاهد بيل ذاك الرجل يقهقه، شعر أن أظافره تخترق راحة يده التي أحكم قبضتها.

قال سام: "يا إلهي، هذا ممتع. انظر، في الوقت الحالي، استمر في التحليق في مسار رحلتك الأصلي. لا نريد إثارة الشكوك، هل تذكر؟ لا أحد غيرنا يعرف ما يحدث. سأقدم لك مزيدًا من التفاصيل عندما تحتاج إليها. في الوقت الحالي، لا تقلق بشأن الهدف. فقط اعرف أن الطائرة ستتحرف عن مسارها في وقت ما".

كتب بيل بأسرع ما يمكن.

الطيران لا يشبه قيادة السيارة، لا يمكنني تغيير المسار من دون خلق مشاكل أخرى، خاصة إذا كنت تريد الحفاظ على سرية ما يحدث، ليس لدي الوقت لشرح تفاصيل الملاحة الجوية، ثق بي. أريد أن أعرف إلى أين نحن ذاهبون.

شاهد بيل الرجل وهو يقرأ البريد الإلكتروني، وكان يصلي ألا يكون طيارًا أيضًا. ما كتبه لم يكن خاطئًا بالكامل، لكنه لم يكن صحيحًا أيضًا، إذا كان هذا الرجل طيارًا، فسيصف ذلك بالهراء.

رمش سام عدة مرات، وتجدد جبينه ثم نظر إلى الكاميرا. وأخيرًا قال بعد المماثلة: "لن أعطيك الهدف، لكنني سأعطيك المنطقة".

شاهد بيل سام وهو ينظر إلى مجموعة الأزرار والمقابض التي تملأ غرفة القيادة من حوله. لقد أجرى ما يكفي من جولات ما قبل الرحلة للركاب الذين لم يعرفوا شيئًا عن الطيران. لذا، أدرك مدى ارتباك الرجل.

تنهد سام وقال: "العاصمة".

أطرق بيل رأسه، بالطبع، هذا منطقي. كانت واشنطن العاصمة قريبة بما يكفي من نيويورك بحيث يكون من شبه المستحيل التصدي لأي انحراف في اللحظة الأخيرة. لم يكن بحاجة لأن يُقال له هدف محدد، ربما كان البيت الأبيض، وربما مبنى الكونغرس.

قال سام: "لن أخبرك بموقع محدد الآن، ولن أخبرك ما هو المسحوق الغامض أيضًا، لكنني سأعطيك تلميحة. أعني، أنا أحتاج إليك حيًا. لذا عندما تفتح الأسطوانة قبل رميها في المقصورة، احرص على وضع قناع الأوكسجين الخاص بك".

من المؤكد أنه غاز سام. نظر بيل عبر النافذة إلى طبقات السحب الرقيقة المتغيرة التي تحلق الطائرة فوقها. لقد تصور ملء المقصورة بسحابة مماثلة من... ماذا؟ لقد طُلب منه - لا، لقد أمر - أن يسمم طائرته وركابه.

وإذا رفضت رمي الأسطوانة؟

قرأ سام الرسالة الإلكترونية، ونظر جانباً وهو يفكر. نظر إلى عائلة بيل وقال: "حسناً، دعنا نرَ أريدهم أحياء حتى نهاية الرحلة. ولكن..."

أمسك سام بخصلة من الشعر كانت على وجه كاري، ودفع بها خلف أذنها، وقال: "ربما لست بحاجة إليهم جميعاً أحياء؟ أو سليمين؟"

ايضت براجم أصابع بيل وهو يضغط على الطاولة. كثيرة هي الأشياء التي لم يكن يعرفها أو يفهمها، أراد أن يوقف كل شيء، أراد أن يصرخ. كان يشعر بالدم يتدفق إلى وجهه. غطى خط من العرق شفته العليا، فمسحه بظهر يده.

بدا جلياً أن سام مستمتع بتوتر بيل عندما قال ساخراً: "بيل، استرخ، إنك تعمل بجهد كبير لإيجاد حل، ولكن في الواقع لا يوجد حل. لذا، فقط تخلّ عن فكرة أن تكون بطلاً. ففي النهاية ستختار بين عائلتك والطائرة، وإذا قررت أن تضحي بالطائرة، فإن إلقاء الأسطوانة جزء من الصفقة، انتهى". انحنى سام، ووضع يديه على الطاولة وقبض على المفجّر وقال: "بيل، ليكن بعلمك، أنا لست أحمق، هناك بالتأكيد خطة احتياطية على متن الطائرة. سوف تختار بطريقة أو بأخرى".

شعر بيل أن وجهه أصبح شاحباً.

هناك خطة احتياطية على متن الطائرة.

الأرواح البريئة على متنها.

أي منها لم تكن بريئة؟

من الذي راقبه هو وبقية الطاقم وأخبر هذا المجنون؟ هل كان لديهم أسلحة؟ هناك علبة مليئة بالسم بالفعل؟ هل سيستخدمونها؟ هل سيقتلون الطاقم؟ ثم يسرعون إلى غرفة القيادة - ويقتلون بن بأنفسهم - ويجبرون بيل على اتخاذ قراره؟ لم يستطع بيل مواكبة أفكاره وهو يتنقل من سيناريو بشع إلى آخر.

ما هي مطالبك؟

قرأ سام البريد الإلكتروني وفتح يديه قائلاً: "ماذا تقصد؟ لقد أخبرتك للتو".

قلت لي الشروط، ولكن ماذا تريد؟

ضحك سام، وقال: "بيل، ما الذي لا تفهمه؟ لا أريد شيئًا، لا أريد المال، لا أريد تبادل الأسرى، لا أريد نفوذًا سياسيًا. نحن لسنا في عام 1968 يا رجل، هذا ليس (خطف طائرات إلى كوبا)، وليس (مؤامرة كيو أنون)⁽¹⁾ التي تبحث عن أطفال في مطعم بيتزا أو أي هراء آخر يؤمن به البيض أمثالك، ولسنا مجاهدين عذارى مجانيين بعمر الاثني والسبعين عامًا. لا علاقة لنا بذلك". دنا من الشاشة وأكمل: "كل ما أريده هو أن أرى ما قد يفعله رجل صالح - رجل أميركي صالح - عندما يكون في وضع لا مجال للربح فيه. ماذا يفعل الرجل مثلك عندما يتعين عليه الاختيار. طائرة مليئة بالغرباء أم عائلتك؟ انظر يا بيل، الأمر يتعلق حقًا بالاختيار. أنت، ستختار من سينجو، هذا ما أريده".

لم يتحرك بيل، فضحك سام.

وقال: "يعجبني الخوف الذي أراه في عينيك، وأنت تعلم أنه لا يمكن شرائي، أو التفاوض معي. يربك أن تعرف أنني لا أريد شيئًا سوى ما يحدث بالضبط".
حدّق كل منهما إلى الآخر، ثم رفع بيل يديه المرتجفتين لكتابة سؤال.
لماذا؟ لماذا تفعل هذا؟

ضغط بيل على زر الحذف حتى يمحو ما كتب. إن أراد الرجل أن يجيب عن هذا السؤال، علم بيل أنه سيجيب بشروطه الخاصة. لذا كتب سؤالًا آخر، لكنه حذفه أيضًا. حرّك أصابعه بتردد، أراد أن يفهم من كان يتعامل معه حتى يتمكن من معرفة كيفية إصلاح الوضع.

أنت أليز، فنظر إلى ابنته.

عرف بيل أنه لن يصل إلى شيء إذا استمر بتضييع الوقت، لذا كان عليه أن يتصرف.

كتب هذه المرة ونقر على (إرسال).

(1) كيو أنون هي نظرية مؤامرة ابتدعها اليمن الأميركي المتطرف، وهي تتناول بالتفصيل خطة سرية لما يسمى بالدولة العميقة. (المترجم)

كيف عرفت أنني سأتولى قيادة هذه الرحلة؟

أجابه سام: "تقصد كيف تأكدت من أنك ستعمل في هذه الرحلة؟ اتضح أن كبير الطيارين والت أومالي هو المنحرف الصغير. لم يكن لديه أي مشكلة في ضمان أنك ستعمل على الرحلة طالما لن تُنشر صور الأولاد الصغار الموجودة على قرصه الصلب".

شعر بيل بقلبه ينفطر عندما علم بالخيانة؛ إنه رئيسه، وزميله، وصديقه. إنهما يعملان معًا منذ ثلاثة وعشرين عامًا. ملأ الفساد هذا النظام حتى وصلت الخيانة إلى كبير الطيارين.

فقد السيطرة على أفكاره، ولم يكن هناك شيء ليتشبث به، ولا يمكنه فعل شيء لإيقافهم. إنه في غرفة القيادة، ويشعر بالعجز، إنه يعجز عن حماية طائرته، ويعجز أيضًا عن حماية أسرته، فالتهديدات تحيط به من كل جهة، كان خائفًا من الطرق الأخرى التي قد يكون خُدع بها. أغمض عينيه، وشعر بالتوعك، وتنفس بعمق، ومدّ ذراعيه ثم شد قبضتيه مكرّرًا تلك الحركة بينما ضاقت عيناه وتشوش عقله وتباطأ نبضه.

لماذا اخترتني؟

صمت سام قليلاً بعد قراءة البريد الإلكتروني، ونظر إلى الكاميرا وقال: "أيها المغرور المتكبر. هل تعتقد أن هناك أمرًا شخصيًا؟ أنت مجرد وسيلة".

ستشعر بعلاقة شخصية مع الأرواح البريئة الـ 149 التي ستريد قتلها على متن هذه الطائرة.

"حسنًا، بالطبع ستفعل، طالما كان الموت أمرًا شخصيًا، يجعلك تشعر بأنه شخصي للغاية. لكن أتعلم ما هو الأمر غير المنطقي المتعلق بالموت؟ إنه ليس شخصيًا. فالجميع سيموتون، لن ينجو أحد من الموت، إنه الشيء الوحيد العادل في العالم. أحيانًا تكون شابًا، وأحيانًا تكون طاعنًا في السن، وأحيانًا تستحق الموت، وأحيانًا لا تستحقه. لكن ما هذا بحق الجحيم، لا يموت الأشرار فقط فالموت لا يميز بين الصالح والطالح".

هز رأسه متممًا في سره: "الأرواح البريئة اللعينة...".

نظر إلى سكوت وقال: "انظر إلى ابنك يا بيل".

رفض بيل.

بعد بضع ثوانٍ.

ضرب سام الطاولة بقبضتيه، فأمسكت كاري بأليز وهي تبكي. قال سام: "انظر

إلى ابنك".

حدق سكوت إلى الكاميرا، وانهمرت الدموع المكبوتة على وجنتيه، لقد بذل

قصارى جهده ليبدو شجاعًا. ظهرت شخصية سكوت في هذه اللحظات. الأب

والابن، الرجل والآخر الذي في طريقه ليصبح رجلاً، تبادلوا النظرات من خلال

عدسة صغيرة.

سأله سام بهدوء: "كابتن هوفمان، هل ابنك صالح؟ هل يستحق هذا؟". هز

سام رأسه بحزن وأكمل: "أنت تتحدث عن البراءة كما لو كانت تعني شيئًا للعالم،

لكننا جميعًا مجرد وسيلة لتحقيق غاية شخص آخر".

أسند سام ظهره إلى الخلف، وعقد ذراعيه فوق السترة الناسفة وقال: "الخيار

لك، أنا اخترت".

فكّر في جو وبقية الطاقم وهم يقومون بعملهم، وفكّر في الركاب الذين كانوا

يحاولون الوصول إلى حيث يريدون الذهاب، وفكّر في الناس في العاصمة، وأعضاء

مجلس الشيوخ، وأعضاء الكونغرس الذين يناقشون التشريعات بينما يقوم

مساعدهم بتمرير الأوراق، وحراس الأمن يتسمون لطلاب المدارس الذين

يزورون الكونغرس زيارة ميدانية، والعائلات التي يقرأ أفرادها اللافتات أمام

التمثيل واللوحات؛ إنهم أشخاص عاديون يعيشون حياة مسالمة. لقد فكّر في ابنته

أليز التي لم تخطُ خطواتها الأولى بعد، وابنه سكوت الذي أراد اللعب فقط، وللمرة

الأولى سمح لنفسه بالنظر إلى كاري.

قالت كاري: "ظننت أنك تكره القلط".

قال بيل: "هذا صحيح".

ابتسمت كاري وهي تراقبه يداعب قطتها، ريغلي. مدت عيدان تناول الطعام المليئة بالطعام التايلاندي، وانحنى بيل على الأريكة لتناولها، فسقط قليل من الدجاج على ساقها العاريتين الممدودتين في حضنه. ظهر همفري بوغارت باللونين الأسود والأبيض على التلفاز، وأكل بيل الدجاج.

عند الباب، كانت شارة شركته ملقاة على الأرض بجوار حقيبته المغلقة، وقد تكدست الأحذية والجوارب بالإضافة إلى البنطال والحزام بالقرب من الجدار مع سراويل حمراء مزركشة في الأعلى. تناثرت المقالات غير المصنفة على الأرض، وقد غطتها سترته غير الرسمية.

لاح برج ويليس في الأفق عبر النافذة، وكأنه يغمز موافقًا، اختار بيل كل رحلة من أوهرير يمكن أن يجدها. لقد أصبحت شيكاغو محطة التوقف المفضلة لديه.

سألته كاري وهي تشاهد الفيلم: "هل تؤمن بالحب من النظرة الأولى؟".
أجاب بسرعة: "نعم". فتلون وجهها باللون الوردى. احتست أودري هيبورن قهوة الإسبريسو وهي تتحدث عن أمطار باريس. قالت كاري: "أوه!". وتناولت لقمة أخرى ثم سألته: "كيف ذلك؟".

استدار مرتبكا وقال: "أنت".

توقفت عن المضغ وسألته: "ماذا؟".

ردّ بيل: "عندما رأيتك للمرة الأولى في حفل الشواء، لحظة دخولك إلى الفناء. نعم".

سألته: "ماذا؟". كان الحب موضوعًا لم يسبق لهما أن ناقشاه.

قال: "نعم، كنت أعرف أنني أريد معاشرتك".

لكمت ذراعه.

قال بيل: "لا"، وهو يتحرك على الأريكة ليقابل وجهها. جلس بوغارت وهيبورن جنبًا إلى جنب، يقودان سيارتهما على الطريق. قال: "أعني، نعم، ولكن..."

رفعت كاري أحد حاجبيها.

قال: "انظري، في المرة الأولى التي رأيتك فيها، علمت أنني أرغب فيك، لم أرغب فيك فقط، بل أردت امتلاكك. كان شيئًا غريبًا".
قالت: "أكمل".

تنهد وقال: "حسنًا، هناك شيء واحد يربط البشر، أليس كذلك؟ النجاة. إنها محرّكنا الأساسي. وعلى مستوى اللاوعي والغريزة، نحن منجذبون ونرغب في الأشياء التي يمكنها أن تخدم بقائنا على أكمل وجه. لذلك عندما رأيتك للمرة الأولى، أقول إن جسدي على المستوى الخلوي صرخ بنعم. ها هو، الحب من نظرة أولى. أنا لا أقول إنني كنت مجرد رجل يتطلع إلى ممارسة الجنس فقط. أنا أقول..."

نظر إلى الشاشة محاولاً معرفة كيفية التعبير عن فكرته: "يا إلهي، كاري. أنا هنا أداعب القوط، وأذهب إلى رحلات شيكاغو السخيفة، وسأفكر في الانتقال إلى هنا إذا كنت تريد ذلك مني. لكن الجزء الغريب هو أنني أريد أن أفعل كل ذلك. كاري، أفتقدك في اللحظة التي تخرجين فيها من هذا الباب. أطيّر بأسرع ما يمكنني حتى أتمكن من الوصول إلى الفندق وأتصل بك. أعني، يجب على الشركة تفقد كمية المحروقات التي أهدرها. أنا أحب ذلك النمش الصغير أسفل عينك اليسرى، ويعجبني أنك تقولين إنه لديك مشكلة تعاطي المخدرات مع زبدة الفول السوداني. أحب معرفة - والله يعرف السبب - أنك تعتقدين أن باز ألدرين كان ينبغي أن يكون أول رجل يطأ سطح القمر، لكن نيل أرمسترونغ دفعه بعيدًا عن الطريق في اللحظة الأخيرة. وحقيقة أنكِ تتعرقين بغزارة عندما تكونين متوترة، ولكنك لا تتعرقين على الإطلاق في الجو الحار. أحب ذلك. هذا غريب. لكنني أحبه".

ضحكت وقد سألت دمة من عينيها، فمسحها ولحق إصبعه ثم قال: "كاري، لقد عرف جسدي أنك أنت التي كنت أبحث عنها. لذا نعم، أنا أو من بالحب من النظرة الأولى".

ارتجف ذقنها، وضحكت وهي تمسح وجهها بكميها: "أستخدم وسادتك بعد أن تغادر. فأنا أنام على الوسادة التي تستخدمها، إنها رقيقة للغاية لدرجة أنها تؤدي رقبتي. لكن رائحتها تشبه رائحتك".

أخذ الطبق من يدها ووضعها على طاولة القهوة، ثم استلقى إلى جانبها مطوقاً خصرها بذراعه، واستنشق رائحة شامبو جوز الهند المنبعثة من شعرها. إنهما لا يرتديان سوى ملابسهما الداخلية، ظلا صامتين وهما يستمعان إلى الفيلم الذي يعرض على الشاشة خلفهما.

سألته: "بيل؟".

قال: "أمم؟".

"ظننت أنك تكره المداعبة".

نظرت كاري إلى بيل من خلال عدسة الكاميرا، وقد سألت دمة على خديها. لن تقتل عائلتي، ولن أحطم الطائرة.

ضغط على (إرسال) البريد الإلكتروني، وأنزل الشاشة قليلاً.

قال بيل لمساعدته: "حسناً، سأخرج أيضاً، هل تمانع إذا ذهبت أولاً؟".

قال بن: "الكبار أولاً". ضغط بيل على زر، فسمع رنين منخفض على الجانب الآخر من الباب.

صاح صوت جو من خلال مكبر الصوت في غرفة القيادة: "لقد سبقتي، كنت على وشك الاتصال. أهو وقت الاستراحة؟".

قال بيل وهو يعدل مقعده إلى الوراء: "نعم سيدتي".

قالت جو: "حسناً، مستعدة عندما ترغبان بذلك". انتهى الاتصال.

سأله بيل: "هل تستطيع استلام السيطرة؟".

أجاب بن: "نعم".

ارتجفت يدا بيل قليلاً عندما فك حزامه ووقف. شعر أن مغادرة غرفة القيادة نوع آخر من التخلي. لقد حاول - وفشل - إزالة صورة عائلته التي رآها على الشاشة من ذاكرته، إنهم مقيدون، مكعمون، وعاجزون، ينتظرون منه أن يفعل شيئاً. عدّل زيه، وأغمض إحدى عينيه، ونظر من العين السحرية إلى الباب ليتأكد من أن جو كانت هناك؛ كانت تقف بثبات شابكة ذراعيها. إذا حاول أي شخص أن يهرع إلى غرفة القيادة بينما كان الطياران يدخلان ويخرجان من أجل استراحة الحمام، فسيتعين عليه تجاوزها أولاً. بطول خمس أقدام، وعمر ستة وأربعين عامًا. بعد هجمات 11 أيلول، نفذت معظم المضيفات الإجراءات الأمنية ولم تتهاون به؛ إذا أراد أحد الإرهابيين حقًا اختراق الباب المفتوح، فلن تستطيع مضيعة طيران صغيرة منعه، لكن جو أخذت الأمر على محمل الجد.

منذ سنوات، وصفها أحد مساعدي الطيارين الذي كان يسافر معه مماًزحاً: "مطب الإرهابيين البالغ وزنه مئة رطل". بعد وقتٍ طويل، اكتشف أنه كان على خطأ. وأدركت جو أنها عندما وضعت نفسها أمام ذلك الباب، كانت تقول علناً: على جثتي.

وعرف بيل أنها تعني ذلك.

بعد أن أغلق الباب خلفها، استدارت مبتسمةً حالما رأت وجهه، وعندما لم يتكلم سألته: "ما الأمر؟".

ردّ: "ماذا؟".

وقفت وقد شبكت ذراعيها.

كرر: "ماذا؟"، نظر إلى المقصورة من فوق كتفها.

وتذكر قول سام: "إذا أخبرت أي شخص، فستموت عائلتك. إذا أرسلت أي

شخص إلى المنزل، فستموت عائلتك".

لا يمكنه المخاطرة بذلك، لم يستطع إخبار جو. لكن عليه استدعاء شخص ما إلى عائلته، كان عليه استدعاء شخص ما إلى المنزل. لم يستطع تنظيم ذلك من غرفة القيادة، حيث كان مراقبًا كل ثانية. وكان هناك تهديد غير معروف هنا في المقصورة مع جو والطاقم. وكيف له ألا يحذرهم؟ والغاز أيضًا؟ يجب أن تكون المقصورة جاهزة للهجوم إذا وصل الأمر إلى هذا الحدّ.

يعلم بيل أنه لن يصدّم الطائرة، لكنه قد يحتاج إلى التظاهر بذلك. كان إلقاء الأسطوانة جزءًا من ذلك. وإذا رفض إلقاءها، فسيفترض سام أن خياره هو إنقاذ الطائرة، وسيقتل عائلته. تسرب الخوف من قلبه وسيطر على جسده. ما لم يتمكن شخص ما على الأرض من الوصول إلى عائلته، فسيتعين عليه إلقاء الأسطوانة. وهذا يعني أن الطاقم بحاجة إلى الاستعداد، يجب حماية الركاب... منه.

سألته جو: "بيل؟" بدا صوتها بعيدًا.

إذا أخبرت أحدًا، فستموت عائلتك.

جال بيل بعينيه في أرجاء المقصورة، نظر إلى الغرباء الجالسين على مقاعد الركاب. مئة وأربعة وأربعون تهديدًا محتملاً. ملأ الغضب والخوف جسده، ما الذي يخفى عليه أيضًا؟

رفضت عينا جو المغممتان بالقلق النظر بعيدًا، فسألته مجددًا بصوت أقوى:

"بيل، ما الأمر؟".

إذا أخبرت أحدًا، فستموت عائلتك. فكيف يمكنه العودة إلى غرفة القيادة

وترك طاقمه معرضًا للخطر؟

وضعت جو يدها بلطف على ساعده وضغطتها. كان بحاجة إلى المساعدة،

عائلته بحاجة إلى المساعدة. لم يستطع فعل هذا بمفرده فهمس: "جو، لدينا

مشكلة".

الفصل الرابع

أسندت جو نفسها إلى طاولة المطبخ. حاول بيل جعل الأمر يبدو وكأنه محادثة عادية أثناء استراحة الحمام، وهو الذي اعتاد أن يسير برفقتها إلى المطبخ. وما إن أصبحا بمفردهما، أخبرها بكل شيء.

حدقت جو إلى وجهه وفغرت فمها. كانت تهزّ رأسها ببطء ليس إنكارًا، إنما محاولة منها لإدراك أنه من الآن فصاعدًا، لن تعود الأمور إلى سابق عهدها على الإطلاق.

طلبت منه جو قائلة: "كرر كل ما قلته للتو".

قال بيل: "ليس لدينا وقت. انظري، غرفة القيادة وكل اتصالاتي مراقبة عبر مكالمة فيس تايم، أنا أضع سماعتي رأس حتى لا يسمع بن، ولكن متى...؟".

تلاشى صوت القبطان، كانت كل كلمة تبدو أضعف وأبعد. حدقت جو إلى فنجان القهوة الذي سكبته للسيدة المسنة في المقعد (سي 2)، والذي برد على طاولة المطبخ. لقد سكبت القهوة قبل أن تشعر أن الحياة أصبحت مختلفة الآن.

تصاعد البخار على شكل دوامات، بينما ارتفعت الفقاعات الصغيرة إلى سطح القهوة الداكن، الذي عكس التوهج الأرجواني للضوء العلوي. لقد لاحظت كل هذا بشكل تجريدي: البخار اللطيف، وصوت الموسيقى البعيدة، وانعكاس الضوء والظل. بدا الأمر وكأنه حلم، ولأن جو لم تكن تمشي أثناء النوم، تساءلت إن كان هذا ما يراه الذين يسرون وهم نيام.

قال بيل: "كان عليّ أن أخاطر، قال إنه سيقتلهم إذا أخبرت أحدًا، ولكن عليك أنتِ والطاقم...".

كان بيل يتحدث عن شيء ما؛ عائلة؟ أي عائلة؟ عائلتها؟ لا، كان مايكل والأولاد في المنزل آمنين. نظرت إلى الفقاعات الصغيرة، وتصورت نفسها داخل إحداها. من دون أن يلاحظها أحد أفراد الطاقم، أو الركاب الآخرين، شعرت أن الفقاعة أحكمت الطوق حولها. لن يأتي شيء، ولن يغادر شيء. كانت ستجلس وركبتها وصدورها متلاصقان مراقبةً الجميع وهم يمضون قدمًا من دونها. شعرت بصمت الفقاعة وخفة جسدها وهي تتمايل على سطح القهوة. ربما يمكن أن تسكب في بالوعة، بدت صغيرة ومخفية، وهي تنزلق بعيدًا إلى مخبئها السري، ستكون معهم، لكنها لن تستطيع التوجيه ولا تريد ذلك. ابتسمت في وقت غير ملائم، لكنها لم تستطع منع نفسها. شعرت بكثير من الراحة لأن حجمها صغير جدًا. فجأة، سألت بيل: "ماذا قلت للتو؟". بدا مرتبكًا وكأنه نسي ما قاله للتو. أجابها: "قلت إنني لا أعرف كيف أجعل أحدًا يذهب إلى منزلي، لا أستطيع الاتصال بمكتب التحقيقات الفدرالي". قالت جو: "لكنني أستطيع".

ألقي العميل في مكتب التحقيقات الفدرالي ثيو بالدوين، بالنبته المصفرة في سلة المهملات تحت مكتبه، وتساءل منذ متى وهي على هذا النحو. قال العميل جنكينز وهو في طريقه إلى غرفة الاستراحة: "تحتاج النباتات إلى الماء يا ثيو". أجابه ثيو: "علم". وفتح أول ملف فوق كومة الملفات المقدسة. قرّب كرسيه في الوقت الذي أضاءت شاشة هاتفه بورود رسالة. تحقق من المرسل، ثم ضغط على الزر الموجود على جانب الهاتف، فأصبحت الشاشة مظلمة. كانت رئيسته الجديدة تمشي خلف مكتبها وتحدث عبر هاتفها. أغلقت الباب، كان ثيو يعرف من دون أن يسمع، أن الشخص الذي يتحدث إليه لم يكن مستمتعًا بحديثها. أشاح بنظره عندما ضبطته ينظر إليها.

لقد أحب الذهاب إلى المكتب يوم السبت، حيث يخيم الهدوء الذي يتيح له إنجاز الأعمال الورقية المملة بسرعة حتى يتمكن من التركيز على الحالات الأكثر إثارة للاهتمام. بعد أن قرأ الصفحة الأولى، انتقل إلى الثانية، لكنه سرعان ما عاد إلى البداية، بعد أن أدرك أنه لم يستوعب كلمة واحدة.

فرك عينيه وألقى قلمه على كدسة الملفات ذات الحالات التافهة.

من كان يخدع؟ لم تكن لديه حالات أكثر إثارة. كان التواجد في المكتب يوم السبت محاولة مبطنة لكسب تقدير الآخرين. لا، ولا حتى ذلك. كانت محاولة مشيرة للشفقة.

إنه يعمل في المكتب منذ ثلاث سنوات، لكن هذه الأقدمية المتواضعة لم تعد مهمة. قبل ستة أشهر، عادت عقارب الساعة إلى الوراء، بدا كما لو أنه في يوم عمله الأول.

ما كان يفترض بالأمر أن يكون مهمًا، لقد كانت مدهمة مخدرات عادية جدًا، وكانت استخباراتهم قوية جدًا: كانوا يعرفون بالضبط من كان في المنزل، ومكان وجودهم، وماذا فعلوا، وما سيتم اتهامهم به. لقد انتهت المدهمة عمليًا قبل أن تبدأ.

لكن بحلول نهاية الليلة، غطت ثقوب الرصاص جدران المنزل المتداعي، وفي الوقت نفسه تأذت صورة نجم المكتب الصاعد. حاول ولمرة واحدة تبرير خرقه للبروتوكول، وبعد ذلك، أبقى فمه مغلقًا بحكمة وخضوع. كان التصرف وفقًا لحدسه سيحظى بالتقدير نفسه الذي سيحظى به قوله إن جنية خضراء همست في أذنه. خمسة اجتماعات تأديبية، وإجازة من العمل من دون راتب لأسبوعين، وتوقعات مهنية مشكوك فيها تعني أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يفعله ثيو هو الالتزام على مدار الساعة، وتطبيق القواعد، على أمل أن يُصفح عنه في الوقت المناسب.

ارتشف القهوة، وضاعف جهده لإنهاء الأعمال الورقية.

سأله جنكينز وهو يخرج من غرفة الاستراحة حاملاً كيسًا من رقائق البطاطا: "هل يجب أن نشعر بالقلق لأننا المتسكعان الوحيدان اللذان ليس لديهما ما يفعلانه يوم السبت؟".

أضاء هاتف ثيو مرة أخرى، لكنه لم يلحظه. أجابه وهو يسند ساعده على الكرسي: "أعتقد أننا الوحيدان اللذان يكرسان جهودهما لوظيفتهما".

قال جنكينز وبدا كلامه غير مفهوم لأن فمه مليء بالطعام: "وأنا أعتقد أنه يجدر بنا أن نستمتع، لنذهب ونحتسب الشراب، ونخبر الفتيات المثيرات أننا عميلان لمكتب التحقيقات الفدرالي".

أضاء هاتف ثيو مرة أخرى، فالتقطه، ورأى سبعة نصوص غير مقروءة من حالته جو. شعر بالخوف والتوتر، وفكّر على الفور بالأسوأ. ربما حصل شيء لوالدته أو لأبناء حالته الذين هم بمنزلة إخوة له.

قال جنكينز: "حسنًا، هل سنذهب؟".

حدق ثيو إلى هاتفه ولم يصدق ما رآه. لذا، أعاد قرأته. كانت ستراو ده الشكوك، إن كان المرسل شخصًا آخر. لكن ثيو كان يعرف حالته جيدًا.

أمسك شارته، ودفع كرسيه إلى الخلف، ولم ينتبه إلى مجموعة الملفات التي سقطت، والأعمال الورقية غير المكتملة التي تطايرت على الأرض.

أغلق بيل الباب بهدوء وأقفله، ثم وقف جامدًا للحظة وكأنه نسي ما أتى لأجله. صدر صرير من الباب البلاستيكي الهش عندما ضغط عليه بجبينه.

لم يكن هذا السيناريو الذي توقعه على الإطلاق، لم يكن هذا تهديدًا فكّر فيه وناقشه مع زملائه، لم تكن هناك صفحة في الدليل للرجوع إليها، ولا بروتوكول لوضعه، ولا قائمة مرجعية للتصرف على أساسها. بدا كل تدريبه ساذجًا بشكل

مخرج الآن. تم وضع تدابير احترازية وسيناريوهات أكثر مما ينبغي بشأن هجوم على سطح الطائرة.

نظر بيل إلى المرأة، ف شعر وكأنه رجل في زي الطيار، لم يعد الزي يليق به. نظر إلى الجانحين الذهبيين على قميصه، وتساءل عن شيء لم يسبق له أن فكّر فيه: هل يستحق أن يرتدي هذا الزي؟ تبوّل وضغط على الزر، وأجفل من الصوت العالي للمرحاض، لم يكن الوضع على المغسلة أفضل حيث هاجمت المياه الجليدية يديه المرتجفتين، بينما كان يحدد خياراته.

لن يكون بعد الآن بمفرده، عليه أن يتخذ قراره الآن، واكتشاف الطريقة التي يفترض بها حلّ الأمر، قرّب وجهه من المرأة كما لو كان يبحث عن الإجابة في انعكاس صورته.

لم يجد شيئاً.

أمسك ببعض المناديل الورقية، وراودته فكرة مزعجة: الجرأة في الحاجة إلى التبوّل، ألا يمكن لهذا الجسد أن يضع بعض الاستثناءات الآن؟ ألا يعلم أنه ليس لدينا وقت لنضيعه على ما هو غير ضروري؟

تسرب الماء من الصنبور، وسقطت قطرات من الماء في الحوض قطرة تلو الأخرى، بشكل منتظم، قطرة تلو الأخرى، ثم توقف الماء قليلاً، ثم سقطت قطرة، وتلتها أخرى، لا يبدو أن هناك نمطاً للتدفق.

شاهد بيل الماء وهو يتساقط، وبؤبؤا عينيه يتسعان محاولاً أن يستوعب ما يجري، توقفت يده عن الارتجاف، وتباطأت أنفاسه. وقف منتصباً.

كانت فكرة يائسة، لكنها فكرة في النهاية.

فتح القفل، وعاد إلى العمل.

حدقت رئيسة ثيو في الهاتف لفترة طويلة قبل أن تلقي به على مكتبها. انتهى به المطاف بجانب لوحة اسمها، (مساعدة المدير ميشيل ليو)، لمع انعكاس اسمها

على ضوء الشاشة. مررت يديها على رأسها وربطت شعرها الأسود الكثيف بتسريحة ذيل حصان أنيقة. شدت شعرها بقوة، وشبكت ذراعيها على جسدها، ثم سألته: "هل أنت جاد؟".

أوما برأسه: "نعم، للأسف".

بدأت تمشي بخطوات سريعة خلف مكتبها. منذ ثلاثة أشهر، انتقلت ليو إلى المكتب الميداني في لوس أنجلوس، ولكنها كانت ثلاثة أشهر هادئة نسبيًا، ولم تتح لثيو فرصة حقيقية لرؤية عملها في الحالات الجادة.

يعلم أنها تعمل في المكتب منذ اثني عشر عامًا، وقد سبقتها سمعة مزاجها الحاد. لكنه لم يعرف سبب غضبها مما أخبرها إياه، ربما هي غاضبة منه، وليس مما أخبرها إياه، ولكنه لا يزال يجهل السبب.

قالت: "أنت تعلم أن هذا من اختصاص الأمن الوطني، ووزارة الدفاع، وشرطة العاصمة، وإدارة المواصلات، وإدارة الطيران الفدرالية، وقيادة الدفاع الجوي لأميركا الشمالية، والبيت الأبيض". توقفت قليلاً ثم أكملت: "ثيو، إذا تدخلنا فسيكون الرئيس في غرفة العمليات".

قال وهو يشعر بالخوف والتوتر: "برأيي يجب أن نتدخل".

سخرت قائلة: "أنت تريد مني إطلاق إنذار الخطر بشأن هجوم إرهابي وشيك على واشنطن العاصمة، وتريد مني أن أرسل فريق إنقاذ الرهائن إلى أحد أحياء لوس أنجلوس في وضوح النهار. وكل هذا، بناءً على المعلومات التي تلقيتها أنت وحدك عبر رسالة نصية من خالتك؟".

لم يرد ثيو، لكنه ظل ينظر إليها. احمر وجهه بينما كان يشاهد ليو تعض باطن خدها، كان يعلم أنه تحت الفحص والمراقبة.

كانت نتائج اختباراته فوق المعدل وطموحه لا مثيل له، لكن ما من شك في أن ليو أخبرته بالتفاصيل الكاملة لليلة المدهامة. إن العميل ذا أسلوب (الحدس أولاً، والذكاء ثانياً) يعد خصمًا، وليس مساعدًا. هذا ما سمعها تقوله لعميل آخر، وعلى

الرغم من أنه لم يكن متأكدًا، فقد أقسم إنها أَلقت نظرة سريعة عليه بعد أن قالت ذلك. يبدو أن إبقاءه مدفونًا بالأعمال الورقية حتى تتمكن من الحصول على دليل أفضل ضده، كان تكتيكها حتى الآن. لكن حدث هذا الآن، ربما لهذا السبب بدت غاضبة جدًا.

قال: "انظري، أنا أعلم أن الوضع غير عادي، أتمنى أن تثقي بي أولاً، وأن تتحقي منه ثانيًا. أعلم أنني أطلب الكثير، لكنني أعرف خالتي. صدّقها".
قالت: "أصدّقها؟ أنا لا أعرفها".

قال: "أنتِ محقة. لكن ليس لديها سبب لاختلاق الأمر، بل على العكس، لديها كل شيء لتخسره: وظيفتها وسمعتها. ليو، هذا حقيقي".
سألته: "وإن لم يكن كذلك؟".

أجابها: "وماذا إن كان كذلك؟". وأردف بسرعة: "سيدتي، إنها مخاطرة في كلتا الحالتين، لكن خيارًا واحدًا فقط ينتهي بموت الناس".

واصلت المشي، بينما ثبو نظر إلى ساعة الحائط وقال: "سيدتي، مع كل الاحترام، الطائرة في الجو، والوقت ينفد من الطيار والمسافرين، ومن العائلة كذلك".

أغمضت ليو عينيها، وتنفست بعمق، وشمتمت وهي تزفر.

قالت: "حسنًا، فلنبدأ المهمة، ولتتحرك فرقة الأسلحة والتكتيكات الخاصة بمكتب التحقيقات الفدرالي على الفور، سوف نتواصل مع فريق إنقاذ الرهائن في الطريق. ثبو بلّغ الجميع" نادته وهو يغادر المكتب وقالت: "لا تنسَ، لديك إنذاران بالفعل".

تحققت جو من قائمة المسافرين، وتفحصت صور كل شخص على متن الطائرة. كانت تنظر إلى الصفحة الأخيرة عندما خرج بيل من الحمام، وسألها: "هل حدث أي تطور؟".

التقطت هاتفها، وتحققت لمعرفة إن كان ثيو قد ردّ على رسائلها وقالت: "ليس بعد، ولا يوجد أي مسافر من موظفي كوستال". فتحت الدرج الموجود تحت إبريق القهوة، وضعت القائمة فوق أحمر شفاهها وكتابها، وأغلقتة. طلب منها بيل أن تتحقق إن كان هناك شخص ما على متن الطائرة يسافر بامتيازات الشركة، ربما كان لديهم دخيل آخر على متن الطائرة، وربما كانت هذه هي الخطة الاحتياطية، ولكنه كان طريفاً مسدوداً.

كانت جو تعرف أن الافتراضات خطيرة في مثل هذا الموقف.

حدق بيل إلى المقصورة المعتمدة، ونظر بتمعن إلى المطبخ الخلفي.

سألها: "هل تثقين بالمضيفين الآخرين؟".

ردّت: "بالطبع. حسناً، أعني، ثالثنا، كيلبي، جديدة هنا. لقد التقينا للتو، كُلفت

بالرحلة كمضيفة احتياطية. لكن حدسي يقول إنها جديرة بالثقة".

أوماً بيل برأسه: "حسناً، سأثق بحدسك".

سألته: "هل تثق بين؟".

أجابها: "بالتأكيد. لكنها ثقة تستند إلى الحدس أيضاً".

أومات برأسها وقالت: "سثق بحدسك".

قال: "أخبري المضيفين بعد الاستراحة، ولا تقولي شيئاً لبين عندما يخرج".

سألته: "ظننتك تثق به؟".

قال: "نعم، ولكن كيف يمكنه مساعدتي؟".

قالت جو: "أضف إلى ذلك، نحن لا نعرف كيف سيشعر تجاهك".

قال: "بالضبط، إذا كان يعتقد أنني سأقتله...". تراجع بيل قليلاً ثم أكمل:

"انظري، لا أستطيع أن أخاطر بإعلامه، أخشى أن يتصرف بنفسه. لا يمكنني

المخاطرة بأسرتي بهذا الشكل". نظر إلى باب غرفة القيادة وقال: "اللعنة، يجب أن

أعود".

قالت جو: "حسناً، لكن انتظر. ماذا عن المسافرين؟".

نظر بيل وجو إلى الخارج، وهما يتفحصان الرؤوس في المقصورة. كان منهم من يطالعون، وآخرون يشاهدون التلفاز، وآخرون كانوا نائمين، ما من شيء فيهم غريب أو مريب، لم يكن أي من المسافرين يراقبهما أو يهتم بما يفعلانه. قال بيل: "يجب ألا يعرف المسافرون شيئًا يا جو. لا يمكننا إبلاغ كل الذين على متن الطائرة حتى أتأكد من أنني قمت بالاختيار، أعني أنهم سيعرفون أن هناك شيئًا ما سيحدث، لأنكم ستضطرون إلى إيجاد طريقة لحمايتهم. لكن، ليس عليهم معرفة الوضع برمته. ولا يمكنهم معرفة معلومات عن عائلتي. لا يمكنهم أن يعرفوا عن الاختيار. سيفترضون أنني سأختار عائلتي، وحينها لن يثقوا بي".

اكتفت جو بالصمت.

خاطبها: "أنت تعلمين أنني لن أحطم الطائرة، أليس كذلك؟".

منذ عشرين عامًا، كانت أولى المحطات التي توقفا فيها معًا في سياتل، وكان الطاقم بأكمله متجهًا إلى الفندق بعد أن أمضوا ساعة يمرحون في وسط المدينة عندما تمتم شخص ثمل بشتيمة عنصرية. وبصفتها العضو الأسود الوحيد في الطاقم، عرفت جو أنها المعنية، لكنها لم تقل شيئًا، لكن بيل لم يسكت عن ذلك. في اليوم التالي، تولى الطيار المساعد مجمل الأعمال، لأن أصابع بيل المكسورة منعت من الإمساك بمقبض التحكم.

في الحادي عشر من أيلول، كانت واحدة من أوائل الأشخاص الذين اطمأن بيل عليهم، وعندما مات والده، أرسلت الأزهار، كما أنها تواظب كل عام على إرسال بطاقات المعايدة لعائلته.

بعد أكثر من عقدين من الطيران، لم يكن بيل زميل عمل وحسب، إنما كان صديقًا، وفردًا من العائلة، وكانت تثق به.

أجابته: "نعم، أعلم أنك لن تحطم هذه الطائرة".

لكنها كانت قلقة. اهتز هاتفها على سطح المنضدة المعدني، وسرعان ما قرأت الرسالة مبتسمة وقالت: "مكتب التحقيقات الفدرالي في الطريق إلى منزلك". ربت

بيل على كتفيها، فترقرت الدموع في عينيه. أمسك بالهاتف ليتصل بغرفة القيادة، لكنه توقف قبل أن يضغط على الزر وقال: "مكتب التحقيقات الفدرالي سيعتني بأسرتي، وسنعتني نحن بالطائرة. سأحاول التواصل معكم، لكن لا توجد ضمانات لهذا. قد تكونون لوحدكم هنا يا رفاق. ابقوا أعينكم مفتوحة، لست وحدك".
أومأت جو برأسها.

قال بيل: "سأفعل كل ما بوسعي حتى لا أرمي تلك الأسطوانة، لكن قد لا يكون لدي خيار. توقعوا أن تتعرضوا لهجوم بالغاز من غرفة القيادة، إلا إذا قام مكتب التحقيقات الفدرالي بإنقاذ عائلتي أولاً. سيقتلهم إذا اعتقد أنني اخترت حماية الطائرة".

مكتبة

t.me/soramnqraa

قالت جو: "حسنًا".

قال: "يجب أن تكون المقصورة جاهزة، حسنًا؟".

قالت: "حاضر أيها القبطان".

قال: "جو، اللعنة. قد أكون القبطان، ولكن بمجرد إغلاق هذا الباب، ستكونين وحدك. هل تفهمين؟ ستكونين المسؤولة الوحيدة عن هذه المقصورة؛ قال هذا وهو ينظر إليها بتوسل. بعد أن سمعت كلامه شعرت بالثقة. "أعدكم أنني لن أحطم هذه الطائرة، لكنني حتى الآن لا أعرف كيف. أيًا يكن الأمر، سأترك لكم حرية التصرف لتجهيز المقصورة للهجوم. هل تفهمين؟".

أومأت جو برأسها بصمت، عندما رنَّ بيل جرس غرفة القيادة لإعطاء إشارة ليفتح الباب ويأخذ مكانه، وعادت إلى مكانها. وقف الطيار ومضيفة الطيران ظهرًا لظهر؛ أحدهما ينظر إلى غرفة القيادة، والآخر ينظر بعيدًا.

قال بيل: "أنا أثق بك يا جو. نحن نسيطر على هذه الطائرة".

فتح الباب ودخل، وأصبحت جو وحدها في المقصورة.

الفصل الخامس

سأل بيل: "هل حدثت أي تغييرات؟".

أجاب بن: "لا تغييرات".

قال بيل: "لديّ السيطرة".

قال بن: "لديك السيطرة".

فك بن حزام الأمان، وأرجع مقعده إلى الخلف، وتوقف عند وحدة التحكم المركزية. رفع بنطاله، وأدخل قميصه أسفله، وأغمض إحدى عينيه ليرى عبر العين السحرية لباب غرفة القيادة ويتأكد من أن جو لا تزال هناك. أعاد بيل ضبط مقعده وربط حزامه، وبدّل السيطرة على الطائرة من الطيار المساعد إلى القبطان.

عرف بيل أن لديه أقل من خمس ثوانٍ؛ خمس ثوانٍ لتكون فيها شاشة الحاسوب إلى الأسفل، بحيث لا يستطيع سام رؤيته؛ خمس ثوانٍ يكون فيها بن مشغولاً، بحيث لا يسأله عما يفعله؛ خمس ثوانٍ للضغط على مقابض الاستقبال الصحيحة؛ خمس ثوانٍ لتمكين التردد الاحتياطي اللاسلكي؛ خمس ثوانٍ لإيقاف الصوت في سماعتي رأس بن حتى لا يسمع القناة الثانوية. اصطف خط من المقابض الرمادية إلى جانب خطوط بيضاء على وحدة التحكم المركزية بجانب ركبته.

قال بن: "سأفتح الباب". فُتح الباب، وأغلق بعنف.

أنهى كل شيء، لم يحتاج حتى إلى خمس ثوانٍ، ولكن خطته يجب أن تنتظر.

فتح بيل حاسوبه.

كانت كاري تهز أليز بهدوء، وضعت خدها بلطف على رأس الطفلة النائمة. وقف سكوت إلى جانبها، لقد توقف الآن عن البكاء، ولم ينظر أحد منهم إلى الكاميرا. استقبل سام بيل قائلاً: "مرحبًا بك مجددًا، ها أنت ذا". وصل بريد إلكتروني إلى بيل.

قالت جو بابتسامة مقنعة: "مرحبًا". والتفتت إلى باب غرفة القيادة وهو يُفتح ويُغلق، وسألته: "كيف الحال عندك؟". قال بن وهو يدخل إلى الحمام: "القرف نفسه". سألته قبل أن يُغلق الباب: "أتريد أن تأكل أو تشرب شيئًا؟". أجابها: "قهوة فقط، شكرًا". سألته: "كيف تفضل قهوتك؟". أجابها: "ملعقتا قشدة، وملعقة سكر". ما إن أُغلق باب الحمام، حتى أمسكت جو بآلة تحضير القهوة الطازجة، وأفرغتها بهدوء في سلة المهملات، ووضعت كيس قهوة جديدًا، لن تضغط على الزر، قبل أن تسمع تدفق الماء في المرحاض، لقد أرادت أن تكسب أكبر قدر ممكن من الوقت من أجل بيل.

...

سأل بيل: "ما هذا؟"، وهو يقرأ البريد الإلكتروني. كان بمفرده في غرفة القيادة، لذا تحدث بصوت مرتفع، فلم يلتزم بوضع سماعتي الرأس وكتابة رسائل البريد الإلكتروني، تحدث بسرعة لأنه يعرف أنه لا يملك كثيرًا من الوقت لوحده. ردّ سام: "إنه بيان ستقوم بتسجيله وحفظه وأنت تتلوه". أكمل بيل القراءة هازًا رأسه. سأله بيل: "ولكن ماذا ستفعل به؟".

أجابه سام: "سأرسله إلى الشبكات الإخبارية في وقتٍ لاحق بعد الحادث".
ذات مرة، عرض مدرّس التاريخ في المدرسة الثانوية أفلامًا بالأبيض والأسود
لأسرى حرب أميركيين في فيتنام يتلون فيها اعترافات قسرية بعد تعرضهم للضرب
والتعذيب على أيدي أسريهم. في وقت لاحق من تلك الليلة، أيقظه أخوه الأصغر
ليجد نفسه وقد بلل سريره بعد أن تبعته نظرات الأسرى الفارغة إلى أحلامه.
قال بيل: "لن أتلوّ البيان هذا".

نظر سام إلى الكاميرا وقال وهو ينظر إلى كوبه: "كاري، لقد برد الشاي، هل
يمكنك أن تعدي لي كوبًا آخر؟".

نظرت كاري بالتناوب إلى سام والكاميرا محاولة أن تعرف إن كان في طلبه هذا أمر
غير عادي. أعادت كرسيها إلى الخلف، وقالت شيئًا ما لسكوت، لم يكن كلامها
واضحًا لأن فهمها كان مكتمًا. بدا أن سكوت فهم كلامها، وأخذ أخته النائمة بين ذراعيه
بحذر شديد. تحرك ووالدته ببطء، بسبب السترة المفخخة التي ترتديها. توجهت إلى
المطبخ الذي كان خارج نطاق رؤية بيل الذي شعر بالخوف عندما رأى ولديه بمفردهما
مع الخاطف، أراد أن يطلب من سكوت أن يهرب برفقة أخته إلى بيت الجيران، ويطلب
النجدة، كان على وشك أن يقول ذلك عندما سحب سام سلاحه من تحت سترته،
ووجهه صوب الولدين بدم بارد؛ عندها قام سكوت باحتضان أخته بإحكام.
طرح سام السؤال التالي على بيل: "هل سمعت قصة الأسد والغراب؟".

•••

خلف ستارة المطبخ، حدقت جو إلى شاشة هاتفها الساطعة، وهي ترسل
رسائل سريعة إلى ابن أختها من دون تدقيق.
لا، الطيار المساعد لا يعرف، ولن نخبر المسافرين.
لا يعرف سائر أفراد الطاقم شيئًا، سنخبرهم بعد الاستراحة.
ليس لدينا أدنى فكرة عما يجب فعله بشأن الغاز؛ سنجد حلًا ما.
لا أعرف ما هو، أعتقد أنه خطير جدًا.

اجعل فريق المواد الخطرة ينتظر الطائرة في مطار جون كينيدي.
ضغظ بن للتو على زر المرحاض، عندها ضغطت جو على زر تشغيل آلة صنع
القهوة. عرفت أن هذا سيكسبها أربيع دقائق على الأقل، لكنها ستطيل ذلك أكثر.
سأرسل إليك رسالة عندما أستطيع، ولكنني سأكون مشغولة، وأنت
كذلك.

أحبك ثيو.

قال سام: "سؤالي سهل، هل سمعت قصة...".

قاطعته بيل مجيباً: "لا".

ابتسم سام، وانحنى صوب الشاشة وقال: "ذات مرة كان هناك أسد، وكان
ملكاً للغابة. وذات يوم، حلّق غراب في السماء، ثم حطّ على غصن شجرة وقال:
أيها الأسد، من فضلك أرنى ما الذي تراه عينك الملكيتان. دفع الأسد الطائر بعيداً،
وكاد مخلبه القوي أن يقتلع جناح الطائر. قال الأسد: ارحل. فأنا ملك الغابة، وأنت
أدنى مكانة من أن تعرف ما الذي أراه. لذلك طار الغراب بعيداً وهو يشعر بالحزن.
في اليوم التالي، حلّق الغراب مرة أخرى في سماء المنطقة وقال: "من فضلك أيها
الأسد. لا بد من أنك ترى أشياء مدهشة. من فضلك، قل لي ما الذي تراه عينك
الملكيتان. لكن الأسد ضحك، ونفخ صدره العريض أمام الطائر الصغير المسكين
وسأله: لماذا تريد أن ترى ما تراه عينا الملك؟ فأنت صغير جداً. اذهب".

قال بيل بغضب: "اللعنة، نحن نضيع...". توقف فجأة وتنفس بعمق، ثم قال
بنبرة أكثر هدوءاً: "انظر، دعنا نتحدث لثانية فقط...".

تابع سام: "في اليوم التالي، استلقى الأسد مسترخياً على غصن شجرة. فجأة،
انكسر الغصن، وألقى بملك الغابة في النهر الهائج تحته، فسحبه التيار. فجأة، ظهر
الغراب فوقه، فما كان من الأسد إلا أن استنجد بالغراب قائلاً: "النجدة، ساعدني".
نظر الغراب إلى الأسد الذي يكافح في الماء قائلاً: كيف لي أن أساعد ملك الغابة؟
أنا غبي جداً وصغير جداً. لكن بعد ذلك...".

توقف سام عندما ظهرت كاري حاملة كوبًا ساخنًا تدلى من جانبه خيط كيس الشاي الذي كان يتمايل مع حركتها. وضعت الكوب على الطاولة أمام سام، وعاودت الجلوس مكانها.

أعاد سام السلاح إلى مكانه، وتابع قصة الأسد والغراب مبتسمًا: "انقض الغراب إلى الأسفل، وانتزع عيني الأسد من جمجمته. كان ملك الغابة أعزل عندما جاءت المياه فوق رأسه الجبار. قال الغراب وهو يطير بعيدًا: "والآن، سأرى ما يراه ملك الغابة".

ساد الصمت في الغرفة، وفي غرفة القيادة.

قال بيل: "إذا كنت تعتقد...".

أمسك سام بذراع كاري بقوة وثبتها، وعندما نهض ارتطم كرسيه بالأرض، فاستيقظت أليز باكية.

قال سام: "لقد فوت العبرة من القصة يا بيل". هنا، ارتعبت كاري. رأى بيل أظافر سام وهي تحفر في جلدها. أردف سام: "العبرة أنني سأحصل على ما أريد، وستختار ما يتم التضحية به. صور الفيديو".

أمسك سام كوب الشاي وأفرغه على جلد ذراع كاري الناعم، فصرخت صرخة مكتومة اختلطت مع بكاء ابتها.

تحولت الشاشة إلى اللون الأسود عندما أنهى سام المكالمة.

أمسك بيل بجانب الحاسوب، ثم لهث محدقًا إلى الشاشة فارغة. لم يعرف كم مضى عليه من الوقت وهو على هذه الحال محدقًا إلى العدم. صوت فتح باب الحمام وإغلاقه في المقصورة أعاد إليه انتباهه.

سيعود بن قريبًا.

•••

كانت جو تسكب الحليب عندما خرج بن من الحمام، وكانت أصابعها السمراء مرقطعة برذاذ ناعم من الحليب، وهو أمر لا مفر منه في مقصورة الطائرة محكمة الضغط،

مسحت أصابعها بمنديل، ثم حرّكت الحليب والسكر قبل أن تضعهما في الآلة.

قالت جو: "كانت القهوة باردة. لذا، حضّرت لك أخرى طازجة، وقد أوشكتُ على الانتهاء". ألقى مساعد الطيار نظرة خاطفة على باب غرفة القيادة. حسب إدارة الطيران الفدرالية، وبيروتوكول الشركة، لا يفترض بالطيار ومساعدته البقاء طويلاً خارج غرفة القيادة، لكن لم يكن لدى إدارة الطيران الفدرالية عيون على متن الطائرة اليوم. لقد راهنت جو في مماطلتها على غرور الطيار الشاب الذي يجعله متمرّدًا على قواعد البيروتوكول، فاتكأ على طاولة المطبخ وانتظرها.

سألها: "هل ستنزلين الليلة؟".

أجابته: "كلا، غدًا في بورتلاند بالتأكيد. لكن في الليلة الأولى، سأذهب مباشرة لأنام. هل تعلم أنني مع زوجي منذ تسعة عشر عامًا؟ أتظن أنني أستطيع النوم مع صوت غطيّطه".

قال بن: "هذا سبب آخر لأبقى أعزب".

قالت: "آه، هذا هو السبب". راقبته وهو يبحث عن المضيفة الأصغر سنًا في الخلف.

سألته: "هل منزلك بعيد؟".

أجابها: "لا، أنا أعيش في لونغ بيتش".

قالت: "أوه، لقد عشت هناك عندما أتيت للمرة الأولى إلى لوس أنجلوس. أين كنت قبل كوستال؟".

قال بن: "سأكمل سنتي الثالثة في كانون الثاني، كنت في منطقة إقليمية خارج بوفالو".

نظر إلى زر التحضير المتوهج على آلة القهوة.

غمزته قائلة: "أوشكت على الانتهاء"، ووضعت إحدى يديها على خصرها والأخرى على آلة تحضير القهوة، قالت: "أخبرني...".

سمعت جو هاتفها بهتز على الطاولة خلفها.

اهتزت قدم بيل بحركة لاإرادية، عندما كان ينظر عبر النافذة إلى حقول الذرة أدناه، لم يرمش بعينه لمدة دقيقة تقريبًا. تردد صدى صرخة كاري في رأسه، وراودته أفكار أكثر سوداوية حول ما يمكن أن يحدث للطفلين.

تمتم: "اللعة"، وأعاد فتح آخر بريد إلكتروني لسام. أمسك الهاتف ثم وضعه بجانب الحاسوب حتى يتمكن من قراءة النص المكتوب له. اهتزت صورة وجهه على الشاشة، تنفس بعمق لتثبيت يده، وضغط على زر التسجيل الأحمر.

سكبت جو القهوة، وراقبتها وهي تمتزج مع الحليب، امتزج سواد القهوة مع بياض الحليب لينتج عن امتزاجهما لون بني فاتح، وبما أنها كانت منهمكة في أداء مهمتها، لم تنتبه إلى أن بن اتجه صوب الهاتف الداخلي ليتصل ببيل ويطلب الإذن بالدخول إلى غرفة القيادة. تصرّفت جو قبل أن تفكر وتألّمت عندما انزلق الكوب من بين أصابعها وانكسر على سطح الطاولة حتى غطت القهوة كل شيء فقفزت إلى الخلف كي لا تتلطح.

سألها بن وهو يعيد الهاتف إلى مكانه: "يا إلهي! هل أنت بخير؟".

ضحكت جو بتجهم: "أظن ذلك، ولكنني محرّجة".

نفضت يدها وتفحصتها تحت الضوء ثم قالت: "حسنًا، قهوتك ساخنة وطازجة، هذا أمرٌ مؤكد. عزيزي، أحضر لي بعض المناديل الورقية".

عندما كان بن في الحمام، ألقت نظرة سريعة على هاتفها. كانت الرسالة من ثيو: نكاد أن نصل إلى منزل العائلة. وضعت الهاتف في جيبها وعضت شفتها مبتسمة.

قالت وهي تأخذ المناديل الورقية: "شكرًا لك. اسمح لي فقط أن أتخلص من هذا بسرعة".

شاهد بيل علامة الثواني تظهر على تسجيل الفيديو وبدأ بالكلام: "أنا القبطان بيل هوفمان، وأنا أشعر بالذنب. أنا أشعر بالذنب، بل أشعر بالعار لأننا قمعنا مجتمعًا بأكمله

لم يرغب بشيء سوى السيادة والكرامة. أنا أشعر بالذنب لأننا غادرنا وتركنا حليفًا وثق بنا، وضحي بأحد عشر ألفًا من جنوده ليساعدنا على هزيمة داعش، ولم يرفض لنا طلبًا. أنا أشعر بالذنب لأننا لم نهتم بأمر شعب بريء قصف بالأسلحة الكيميائية".

سالت قطرة عرق على وجهه، فمسحها، ثم أكمل: "إن تحطم الطائرة التي تقوم بالرحلة 4-1-6، وما ستخلفه من فوضى وموت سيكون تذكيرًا بسيطًا بالألم والمعاناة التي تحملها الشعب الكردي بشكل غير منصف، لأننا تجاهلناه. اليوم، ستسرب السموم إلى رئات الركاب الأميركيين، وسيشعرون بالرعب، وسيلهثون سعيًا وراء راحة لن يجدوها. أيها الأميركيون، عندما تتحطم هذه الطائرة، ستعرفون أنكم لستم مميزين، وأنكم يمكن أن تموتوا بالمواد الكيميائية، وستذكرون في لحظاتكم الأخيرة المفعمة بالرعب، أن الآلاف من الرجال والنساء والأطفال الأكراد الأبرياء لقوا حتفهم قبلكم، وعانوا من عذاب الموت نفسه بسببكم، بسبب تجاهلكم، ولا مبالاةكم، وعدم اكتراثكم. لذا سأدفع أنا وإياكم الثمن. هذا التعويض المثير للشفقة لا يمكن أن يقترب من العدالة التي يستحقها الأكراد، لكنه أفضل ما يمكنني فعله بالنيابة...".

بدأ صوته يرتجف، ثم أكمل: "بالنيابة عن أميركا... وعن عائلتي.. سأذهب قبلكم بيدين ملطختين بدماء الأكراد، وأطلب من الشعب الكردي المغفرة من خلال تضحياتي وتضحيتي بالرحلة 4-1-6".

انتشر صوت في غرفة القيادة عندما ضغط بيل على الزر الأحمر لإيقاف التسجيل. حذق إلى وجهه المتجمد على الشاشة أمامه، وضغط زرًا في اللوحة الوسطية.

قال بصوت خشن: "نعم". مكتبة .. سر من قرأ
صدح صوت المساعد الأول قائلًا: "بن هنا، جاهز للدخول".
قال بيل: "انتظر، إنني أتحدث إلى مراقب الحركة الجوية".

فتح بريده الإلكتروني، وأرفق الفيديو بملف جديد، أدخل عنوان البريد الإلكتروني الخاص بكارني، ثم ضغط (إرسال). وضع الهاتف بجوار حاسوبه، وأخفض شاشة الحاسوب ليتيح لبين الدخول، لكنه توقف قليلًا.

فكّر في الأمر مرة أخرى ثم فتح الحاسوب متفقدًا بريده الإلكتروني. نقر على (الرسائل الصادرة) ليتأكد من وصول البريد الإلكتروني. بدلًا من ذلك، وجد أن آخر رسالة مُرسلة كانت منذ نحو عشرين دقيقة؛ قبل استراحة الحمام. لم يُرسل البريد الإلكتروني مع الفيديو.

همس: "اللعنة"، وعمل على تحديث المتصفح.
لا شيء.

نقرت جو بأصابعها على معصمها وحدثت إلى المقصورة؛ لقد أدركت أن بيل كان يماطل.

عبرت كيللي المطبخ، فقالت جو: "أعتقد أنها عزباء هي الأخرى".

كان بن مشغولًا بالرسائل النصية، فنظر إلى الأعلى، وبدا جليًا أنه لا يعرف ما الذي تتحدث عنه، لذلك سألها: "ماذا؟".

أشارت جو برأسها إلى الخلف.

سألها بن: "حقًا؟".

أجابته: "نعم، سأناديها إن كان وقتك يسمح؟".

عرف بيل أن بن يقف على الجهة الأخرى من الباب منتظرًا، وعرف أيضًا أن جو في مكانها. لقد كانت استراحة طويلة بالفعل - فقد افترض أن جو ماطلت قدر المستطاع - وإذا لم يفتح الباب قريبًا، فسيثير شكوك بن، وشكوك أي شخص يراقبه.

حدّث المتصفح مرة أخرى، فظل مجلد الرسائل الصادرة على حاله. شاهدت جو كيللي وهي تحرك شعرها إلى الجانب ضاحكة. التقطت الشابة مجلة، ومضت بها إلى المضيئة الأخرى، كانت منحنيات جسدها التي يبرزها لباسها الضيق مثيرة حتى من مسافة بعيدة.

نظر بن إلى باب غرفة القيادة، ثم عاود النظر إلى الشقراء المثيرة وقال: "لا أعرف، لقد مر وقت طويل بالفعل... أوه! مرحبًا بيل، نعم أنا جاهز".
أغلق الهاتف ونظر مرة أخرى إلى كيلبي في نهاية الممر، في الوقت الذي ابتعدت فيه عن الأنظار وقال: "في الاستراحة التالية، بالتأكيد، يا وسيطة العلاقات".
غمز جو، وفتح الباب ثم دخل غرفة القيادة.

سأله بيل: "أين كنت؟".

قال بن: "لا تكفّ جو عن الثرثرة يا رجل".

فتح بيل حاسوبه؛ في الجزء العلوي من مجلد الرسائل الصادرة وجد البريد الإلكتروني مع الفيديو.

سمعت جو الباب يُغلق ثم يقفل، فاستدارت وزفرت بعمق، ثم التقطت الهاتف بسرعة، ونظرت عبر الطائرة إلى المطبخ الخلفي.

كان الجميع في مقاعدهم باستثناء شابة كانت تسير في الممر بعد أن غادرت الحمام. تتمايل قمم الرؤوس أحيانًا بانسجام مع حركة الطائرة مثل الأغنام المكدسة بإحكام في الشاحنة. نظرت جو إلى هؤلاء الغرباء، وتساءلت عن مشيئة القدر التي جعلتهم يستقلون هذه الرحلة: "لِمَ يدفع الناس لمغادرة منطقة الراحة الخاصة بهم من دون داع؟". كل شخص على متن الطائرة لديه سبب لوجوده هنا. حاولت أن تعرف من سافر لأنه تلقى دعوة لزيارة أصدقاء، ومن كان ذاهبًا إلى حفل زفاف، أو جنازة، أو رحلة عمل، أو إجازة، أو حتى عائداً إلى منزله.
اختطاف طائرة.

لكن مع وجود 144 راكبًا على متنها، كانت متأكد أن معظمهم لا يشكّلون تهديدًا، بعد أن أطلعها بيل على الوضع، هل كان من المنصف ألا تخبر الأبرياء

بالخطر الذي يحيق بهم؟ ولكنها إن أقدمت على ذلك، فستجعل الخطر يحيق بعائلة بيل. ولكن ألا تستحق عائلات الركاب أن تؤخذ في الحسبان؟
سمعت صوتاً داخلياً يخاطبها للمرة الثانية، وبعد أن تجاهلته في المرة الأولى، أصبح الآن أكثر ارتفاعاً، ولا يمكن تجاهله.

تعرف جو أن بيل لن يحطّم الطائرة، وهي تثق به ثقة عمياء، ولكن المشكلة تمكن في أنها تخشى ألا يثق هو بها، فقد كان من المؤكد أن الإرهابي سيقتل عائلته إن أخبر الركاب بذلك.

لكن كيف لها بصفتها مضيفة ألا تخبرهم؟ ألا يفترض بها أن تمنحهم كل فرصة ممكنة ليحموا أنفسهم من المخاطر التي قد يتعرضون لها؟ لم يكن من المنصف إخفاء الحقيقة عنهم، واتخاذ القرار بالنيابة عنهم.
توقف.

أمسكت بالهاتف الداخلي، وفكرت أن الأمر سيُحل، وسيُحمى الركاب، ولن تخبرهم بالوضع، فهي لا تستطيع خيانة بيل.

شاهدت المضيفات والمضيفين في المطبخ الخلفي. كانت كيللي تحمل صينية مشروبات ضاحكة على فكاهاة أطلقتها مضيفة أخرى قبل أن تخرج لتوصيل المشروبات، فحسدتهم جو على جهلهم.

عندما ضغطت على الزر، أضاء ضوء أخضر في الخلف، شاهدت جو زميلها وهو يعبر المطبخ ويلتقط الهاتف.

قال داداي: "خدمة التنظيف".

قالت جو: "مرحباً داداي، انظر، نحن...".

كبحت نفسها؛ لا يجدر بها قول شيء عبر الهاتف. كانت بحاجة إلى إخبارهما شخصياً، وأكملت: "استدع كيللي وتعالإ إلى هنا، يجب أن نتكلم".

الفصل السادس

قربت كاري ذراعها من وجهها بحذر خاشيةً أن تنفجر السترة الناسفة.
كان الجلد رطبًا لكنه سليم.

كان كيس الشاي القديم، الخاص بكوب سام الأول، على سطح الطاولة محاطًا بالسائل، وقد بلبل ما تبقى من الشاي القديم المثلج الجزء الأمامي من قميص كاري وبنطالها. تردد صدى صرخة الرعب في رأسها، وشعرت بالذنب لأنه ما كان يجدر بها أن تصرخ.

عندما أمسك سام بذراعها، كانت يداها دافئتين من الكوب الساخن الذي أعطته إياه للتو. كانت تعرف كم كان الماء ساخنًا، وتوقعت ألمًا رهيبًا. لذا، عندما انسكب السائل على جلدها، أصبحت مستقبلاتها الحرارية جامحة، وأرسلت موجات من رد الفعل إلى شتى أنحاء جسدها. لم يستغرق الأمر سوى ثانية، وبعدها سجل دماغها الإحساس بدرجة الحرارة على أنها باردة وليست ساخنة. بحلول الوقت الذي اكتشفت فيه حيلة سام، كانت المكالمة مع بيل قد انقطعت بالفعل. فأخر صورة رآها كانت تعرض زوجته للتعذيب، أو هذا ما اعتقده.

من فضلك لا تفعل شيئًا غيبًا يا بيل، أنا بخير. ابقَ قويًا، ولا تستسلم. لم يؤذني. حبيبي من فضلك، لا تستسلم.

لم تكن هذه صلاة بل كانت نداءً، وأملت أن يشعر به بطريقة ما.
صدر صوت من حاسوب العائلة.

سأل سام من المطبخ: "هل فعلها؟". نظرت كاري إلى الشاشة، وقد أشار مجلد الوارد الخاص بها إلى ورود رسالة جديدة بها مرفق ضخمة، وهزت رأسها. قال سام: "رجلٌ ذكي؛ لقد اختار عائلته. ما رأيك ببعض الترفيه؟". فتح البريد الإلكتروني، وعرض الفيديو حيث ظهر وجه زوجها على الشاشة، وقد ملأ صوته صمت المنزل. استمعت كاري، لكنها لم تستطع النظر. وبدلاً من ذلك، حدّقت إلى سام.

ارتشف من الشاي الطازج الذي حضرته له، ونفخ البخار، ثم ألقى كيس الشاي القديم في الكوب الفارغ وأحضره إلى المطبخ، ثم وضعه في حوض غسل الأطباق؛ لقد تصرف كما يتصرف الضيوف المهذبون.

عاد سام بمنشفة الأطباق، وشرع ينظف بصمت قبل أن يمسك ذراع كاري النحيلة الباهتة ويجففها مستخدماً المنشفة بإحدى يديه، بينما أمسك المفجر بالأخرى. نظر إلى بنطالها المبلل ورمش، ثم نظر بعيداً واضعاً المنشفة على يدها. اختفى في حمام الطابق السفلي، لكنه عاد بعد لحظات ومعه منديل. كان سكوت يهز أخته بهدوء، وأخيراً، صممت الفتاة بعد أن أرهاقها البكاء، وقد سال المخاط على وجه الصبي حتى وصل إلى القماشة التي تكمم فمه. لقد بكى بشدة مثل أليز عندما أمسك سام بذراع والدته.

توجه سام نحو الصبي واضعاً المنديل على أنفه وقال: "انفخ". نفخ سكوت أنفه، فطوى سام المنديل، ومسح له شفته العليا.

لم يكن هناك مفر من سماع صوت بيل المرتعش من شدة الانفعال. التفتت كاري وشاهدته وهو يقول: "بالنيابة عن أميركا... وعن عائلتي... سأذهب قبلكم بيدين ملطختين بدماء الأكراد، وأطلب من الشعب الكردي المغفرة من خلال تضحياتي وتضحيتي بالرحلة 1-6-4".

عندما توقف الفيديو، حدّقت كاري لفترة طويلة إلى صورة وجه زوجها الجامدة. وعندما أشاحت وجهها، وجدت سام يراقبها.

حدقت إليه، وقد ساد التوتر في الوقت الذي حاول فيه كل واحد منهما قراءة أفكار الآخر. عرفت كاري أن ردّ فعلها، أو غيابها بالأحرى، لم يكن ما توقعه سام. لم تستطع معرفة إن كان ذلك شيئًا جيدًا أم لا. فهو لم يبدُ غاضبًا أو عدائيًا، لا معها ولا مع الطفلين. كلا، بدا... فضوليًا. بدا وكأنه يحل لغزًا، بدا أنه يحاول معرفة الأماكن التي يجب أن يضع فيها القطع.

قال سام: "عندما أخبرتُ زوجك أن الأمر لم يكن شخصيًا، كنتُ أعني ذلك". بدا سام وهو يتجول في المطبخ وكأنه يفكر في المساحة على أنها عيادة طبية من نوعٍ ما، ففتح درج الأواني الفضية، وأغلقه قبل أن يفتح درج أواني الطهي. توقف عند الثلاجة وأمال رأسه إلى الجانب ناظرًا إلى الصور والأعمال الفنية التي رسمها سكوت، بعدها بدا مسرورًا عندما نظر إلى بطاقة علامات سكوت قبل أن ينحني ليقرأ تقويم العائلة، وأشار إلى تاريخ اليوم.

قال: "إصلاح الإنترنت عند الساعة 11:30 صباحًا. حسنًا، ها نحن هنا"، وأكمل ضاحكًا: "بالمناسبة، الإنترنت لديك جيد، لقد وضعت جهاز التشويش بجوار منزلكم قبل ليلتين، من الواضح أنني أوقفته الآن. أوه، أنا أيضًا الشخص الذي يحدد مواعيد الفنيين، وأنا الذي تحدثت إليك عبر الهاتف، لكنني لم أسجل موعدك رسميًا. بالإضافة إلى ذلك، اليوم هو يوم إجازتي. حتى شركة كالكوم تعتقد أيضًا أن اسمي هو راج". ابتسم، وبدا جليًا أنه يشعر بالفخر، ثم أكمل: "ما أريد أن أقوله، ما من شيء يثير الشكوك حولي، وبالتالي، لن يأتي أحد ليمد لكم يدّ العون". لم تبدِ كاري أي ردّ فعل، واكتفت بالاستماع، وأومات إيماءة بسيطة لتشير له أنها فهمت ما يقوله. عندها، تلاشت ابتسامته ببطء، وهذا ما جعلها تتساءل عن ردّ الفعل الذي توقعه منها.

تابع تجوله في المطبخ، وعندما وصل إلى حوض غسل الأطباق، نظر عبر النافذة لبرهة قبل أن يستدير عائدًا إلى الطاولة شابكًا ذراعيه.

سألها: "كاري، هل تعرفين أين تقع إيطاليا؟".

في البدء لم تجب، ثم أوّمت بتردد.

أردف سام: "وماذا عن أستراليا؟".

هذه المرّة، هزت رأسها على مضض إلى الأعلى والأسفل.

بدوره هزّ رأسه ونظر إلى الأرض. مضت فترة طويلة لم يتحدث خلالها.

أخيرًا، نظر إليها وقال: "أقسم بالله إنني سأخرج من الباب الأمامي ولن

أعود، وستنجين أنت وطفلاك شرط أن تحدد لي على الخريطة موقع

کردستان".

شعرت كاري بشيء من الأمل خلف تعابيره الجامدة، ولكن كلما مضى وقت

أطول وهي جالسة، ولم تؤت بحركة، زادت خيبة أمله، فهزّ رأسه، وضرب المفجّر

بباطن راحة يده.

حاولت التحدث إليه، لكن الكلمات خرجت من فمها المكتم غير مفهومة.

فكّر سام قليلًا، ثم مشى وانحنى مقرّبًا وجهه من وجهها قائلاً: "لا تجعليني أندم

مرتين. هل تفهمين؟".

نزع القماشة التي كتم بها فمها، فسقطت قطعة القماش المغطاة باللعباب في

حجرها. حرّكت فكها، وأخيرًا سألته: "كم...؟"، ثم أكملت بصوت مبسوح: "كم

طفلاً لديك؟".

حدق إليها سام وسألها: "ماذا؟".

رفعت كاري ذقنها مشيرةً إلى سكوت وقالت: "لا أحد يمسح أنف طفل بهذا

الشكل ما لم يسبق له أن فعل ذلك".

ابتسم سام لفترة وجيزة، ثم نظر إلى كاري لبرهة قبل أن يعود إلى حوض

غسل الأطباق وينظر عبر النافذة.

مرّ بعض الوقت لم يتكلما فيه، أخيرًا، استسلم سام، واختار كلماته بحذر:

"ليس لديّ أطفال، بل أشقاء. أنا الأكبر بين ستة، كنت في الثامنة عشرة من عمري

عندما ولد أخي الأصغر، وكنت أخطط لمغادرة المنزل بعد ذلك بوقتٍ قصير. كان من المفترض أنه...". توقف قليلاً ثم أكمل: "كان لديّ خطط".

ارتشف رشفة من الشاي ونظر إلى أليز بحزن؛ كانت تبتسم له.

أكمل قائلاً: "توفي والدي قبل أربعة أيام من اليوم المقرر لمغادرتي، وكانت والدتي معوقة. صحيح أنها تستطيع القيام بمعظم الأشياء، إلا أنها كانت تحتاج إلى المساعدة. خمسة أطفال، أصغرهم أحمد الذي لم يكن عمره قد تجاوز الأربعة أشهر..."، توقف وهزّ رأسه.

أحمد، حفظت كاري الاسم، إنه الشقيق الأصغر، والجرح الأعمق.

أكمل سام: "لم أغانر، كنت أعلم أنني لا أستطيع". هزّ كتفيه وأكمل: "لذلك لم أغانر، بقيت لسبعة عشر عامًا، كنت أعنتني بوالدتي، وساعدت في تربية أشقائي كما لو كانوا أطفالتي، فبالكاد يتذكر أشقائي والدنا، أو بالأحرى لا يتذكرونه على الإطلاق؛ لقد كنت والدهم".

نظر سام إلى الشاي كما لو كان ينظر إلى عالمٍ آخر. لم تتدخل كاري، وانتظرت أن يعاود الحديث، وعندما فعل، كان صوته رقيقًا وحزينًا.

قال لها: "ثم غادرت". لم يخبرها أي شيءٍ آخر.

قالت كاري بحذر: "من فضلك، ماذا حصل لهم؟".

حرّك سام رأسه.

قالت كاري: "أنت تتحدث عنهم بصيغة الماضي، ماذا حدث لعائلتك بعد مغادرتك؟".

مهما حدث لهم، ومهما تكن الصورة التي يتذكرها عنهم، فقد أصاب ذلك سام بقوة لدرجة أنه خطا خطوة إلى الأمام. نظر إلى كاري والدموع تترقق في عينيه.

فتحت كاري فمها وتأتأت قائلة: "أنا آسفة. أنا... لم أقصد ذلك...".

لقد تجاوزت حدها، وألقت نظرة خاطفة على سكوت وأليز، كانت قلقة بشأن ما قد يفعله سام إذا فقد أعصابه.

شيك سام ذراعيه على صدره بطريقة بدت دفاعية، وقد بدا مجروحًا وكسيرًا. في أي موقف آخر، ربما كانت ستشعر بحاجة أمومية لتهدئته. قال بضعف: "أنا...".

سُمع صوت سيارة تتوقف أمام المنزل. تناول سام سلاحه عن الطاولة، وصبّبه نحو المدخل. جحظت عيناه وأخذ يتنفس من فمه، وقد اختفت كل ملامح الحنان والضعف التي شهدتها كاري قبل لحظة.

تحرك إلى الجانب الآخر من المطبخ ووقف قبالة كاري التي كانت تجلس أمام الحاسوب في غرفة المعيشة وسألها: "هل يمكنك الرؤية عبر النافذة الأمامية؟". قالت: "إذا وقفت هناك". وأشارت بيديها المقيدين إلى نهاية غرفة المعيشة. أعطاهما الإذن بالتحرك.

في الوقت الذي عبرت فيه الغرفة، سمعت صوت تشغيل محرك كبير، وعندما وصلت إلى الجدار البعيد، اختلست النظر إلى الجانب الأيسر؛ لقد غطت الشجيرات الطويلة فناء منزلهم الأمامي، لكنها لمحت الجزء العلوي من عربة (يو بي أس) ذات اللون البني وهي تتعد عن منزل جيرانها.

قالت وهي تعود إلى سام: "لقد كانت عربة توصيل". قطّب حاجبيه ولم يبدُ مقتنعًا. فكّر للحظة، ثم صبّب سلاحه نحو الطفلين، فشعرت كاري بغصة في حلقها. قال مشيرًا إلى غرفة المعيشة: "اغلقي الستائر، بسرعة".

خفق قلبها عندما دخلت غرفة المعيشة، فأغلقت الستائر بإحكام، ثم أسرعت عائدة إلى المطبخ. لقد كانت بعيدة عن الأنظار لمجرد ثوانٍ، لكنها شعرت بارتياح غامرٍ عندما وجدت طفليها في مكانهما سالمين.

لكنها أخفت كل شيء. لقد ذكّرت نفسها بأن سام لن يحصل على شيءٍ منها، فهو يراقبها وهي تمشي بهدوء نحو مقعدها أمام الحاسوب، وقد ازداد عبوسه وبدا من ملامحه أنه مرتبك؛ راقبها لفترة طويلة قبل أن يتكلم.

قال لها وهو لا يزال مصوبًا السلاح نحو الطفلين: "لست متأكدًا من أنني أحب الطريقة الهادئة التي تتعاملين فيها مع الوضع".

الفصل السابع

جهّزت جو نفسها وهي تنتظر وصول المضيفين إلى المقدمة.

حاولت أن تبدو غير مبالية عندما اتصلت بهما. لم يكن لدى المضيفين المسكينين فكرة عما سيسمعانه.

سألها بيغ دادي: "ما الأمر؟ هل سنصلي؟ ما الذي يحدث هنا؟"، بدأ أسلوبه مذهلاً. أشارت شارته إلى أن اسمه مايكل رودنبورغ، لكن الجميع في كوستال ينادونه باسم بيغ دادي ويعرفونه جيداً. بطول خمس أقدام وثلاثة إنشات، وبوزن لا يقل عن 115 رطلاً؛ كان من الرعيل الأول في شركة الطيران، وكان أحد القلائل من الأشخاص الذين لا يزالون يعملون على الطائرات، مع أن رقم بطاقة توظيفهم يتألف من ثلاث خانات فقط. كانت كوستال شركة الطيران الثالثة التي عمل فيها منذ أن بدأ مسيرته المهنية قبل مدة طويلة (لم يحدد العام أبداً). لقد كان مصدرًا لا ينتهي للمعلومات بالنسبة إلى مضيفي الطيران، والذي لم يجرؤ أحد على التساؤل بشأن صحتها. الركاب والطاقم إما أحبوه أو لم يكن لديهم أدنى فكرة عن كيفية التعامل معه. لكن في كلتا الحالتين، لم يكن لدى بيغ دادي أي مشكلة.

سألته جو: "أين كيللي؟".

ردّ بيغ دادي: "إنها قادمة".

قالت جو: "حسنًا، اسمع، ستحصل أمور مهمة عما قريب... أمور مهمة جدًّا، هل تفهمني؟ سأشرح لك بمجرد وصولها إلى هنا، لكنني وإياك المخضرمان هنا، لذا سنضطر إلى مساندها، لأنني لا أعرف كيف سيكون ردّ فعلها".

ظهرت كيللي من خلف ستارة المطبخ وسألت: "ردّ فعلي على ماذا؟".

قال بيغ دادي وهو يصفق بيديه: "اسمعي يا صغيرتي، لقد انتهى التدريب، وأوشك الأمر أن يصبح جدياً، ولكن بغض النظر عما ستقوله جو، تذكري فقط: يمكن للطائرات أن تطير - من دون مشاكل - بمحرك واحد فقط، وإذا غادر خمسة وسبعون بالمئة من الأشخاص على الأقل هذه الطائرة أحياء، أفنا اعتبر ذلك نجاحاً".

قالت جو: "هذا غير مفيد. حسناً، انظرا، نحن نواجه أمراً... أنا... انظرا، سنضطر إلى..."، تنهدت: "يا ريفيتي، إننا نواجه وضعاً غير مسبوق".

تجاهلت نظراتهما وواجهتهما بالأمر المؤلم بسرعة كما فعل بيل معها. لم تحرك أي عضلة أو تبدٍ أي رد فعل وهي تعرض عليهما حقيقة الموقف.

بمجرد انتهاء جو، نظرت كيللي بالتناوب إلى كل من جو وبيغ دادي، كما لو أنها تشاهد مباراة كرة مضرب، مرت ثوانٍ تبادل فيها المضيفان المخضمران النظرات، ورفعا حواجبهما وزما شفاههما. بينما كانت جو تعرض ملخصاً عن حقيقة الوضع، سألت كيللي عن المدة التي مضت عليها وهي تعمل مضيفة، فأجابتها بأنها شهر ونيف، عندها أدركت جو أن المسكينة لم تعرف شيئاً عن الإسعافات الأولية ولا عن استخدام أقنعة الأوكسيجين.

عرضت كيللي: "سأتابع العمل الخدمي، لا تقلقا بشأن ذلك".

حدقا إليها ثم سألتها جو: "ماذا... تقصدين؟".

أجابتها: "أفصد، بينما تتعاملان مع الأزمة، فسأقوم أنا بتقديم الطعام والشراب".

تبادلت جو وبيغ النظرات، ثم قالت جو بهدوء: "عزيزتي، اسمعي. الأشياء المعتادة؟ المشروبات والطعام والابتسام؟ أنت تعلمين أنها ليست سبب وجودنا هنا، أليس كذلك؟".

قالت كيللي: "بالتأكيد، ولكن لا يزال يتعين علينا إنجازها، لذلك أقول إنني

سأعنتي بكل ذلك حتى يتسنى لكما التركيز على الأشياء الأخرى".

شاهدت جو المضيفة الشابة وهي ترتدي قفازاً مطاطياً، وتُخرج كيس القمامة.

قالت كيللي: "سأجمع القمامة، وسأقوم بالخدمة، من الأفضل أن أكون بعيدة عن طريقكما، فأنا جديدة في العمل، ولا خبرة لديّ؛ أنا متأكدة أنني سأعيقكما".
أحكمت جو قبضتها حول ساعد الشابة، وجذبتها إليها عندما كانت تحاول المغادرة، انزلقت دمعة على خد كيللي، وسقطت على فستانها الأحمر.

قالت جو: "كيللي، هذه ليست وظيفتنا، فالخدمة مجرد شيء نقدمه".
لقد مرت عقود منذ أن خضعت جو للتدريب الأولي، لكن هذا لا يهم. استرجعت ذكرى الأسابيع الخمسة من التدريب، بدا لها أنه لم يمر على التدريب سوى شهر. دراسة لا هواة فيها تليها اختبارات كتابية، وبعدها الإسعافات الأولية، والدفاع عن النفس، وإجلاء مئات الأشخاص عن متن طائرة تندلع فيها النيران، أو من هبوط مائي. كانت هي وزملاؤها في الفصل، يتنفسون ويتصبّبون عرقًا ويصرخون بالأوامر، حتى اعتادوا على ذلك، وينسقون للبقاء على قيد الحياة.
لقد تعلموا عن أنواع الحرائق والطرق المختلفة لمكافحتها، والمواد الخطرة، والنوبات القلبية، والاختطاف، وقوانين اللوائح الفدرالية، وخدمة المشير الجوي الفدرالي، والاضطراب، والإرهابيين، وكل ذلك في طائرة، على ارتفاع ثمانية وثلاثين ألف قدم في الهواء، تطير بسرعة ستمئة ميل في الساعة. خمسة أسابيع من التدريب، وفي يوم واحد فقط من تلك الأيام تعلموا عن الطعام والشراب والضيافة. شاهدت جو المضيفة الصغيرة وهي تكافح لتنفس، وعلمت أن كيللي أدركت في هذه اللحظة ماهية وظيفتها حقًا.

نظرت كيللي إلى الجزء الخلفي من الطائرة، وهزّت رأسها يمينًا ويسارًا، ونظرت إلى كل مخرج محاولة الهروب.

سألتهما جو: "حبيبتي، إلى أين ستذهبين؟".

حدقت كيللي إلى مؤخرة الطائرة ولم تجب.

أغمض بينغ دادي عينيه، وتنفس بعمق قائلاً: "حسنًا، سأقول هذا فقط، عندما ينتهي كل شيء، ونحن نخرج من الطائرة في مطار كينيدي، فسيضطر

شخص ما إلى حمل حقيتي لأنني سأسحب ذلك الصبي الكبير" - أشار بإصبعه إلى عربة المشروبات - "من هذه الطائرة مباشرة إلى غرفتي في الفندق".

ونظر إلى كيلبي نظرة مفادها: "ماذا عنك؟"، انتظرت جو الردّ، ثم همست كيلبي: "لست مستعدةً لشيء بهذا الحجم، حتى إنني ما زلت في فترة المراقبة". حاولت جو ألا تضحك. في لحظة كهذه، كانت الفتاة المسكينة قلقة من الوقوع في مشكلة مع مشرفتها. قالت جو: "أعلم يا حبيبتي أنك تشعرين أن هذا غير منصف، أليس كذلك؟". هزّت كيلبي رأسها.

أكملت جو: "ولكن هذا هو الحال".

خيم الصمت عليهم للحظة وهم يحاولون أن يستوعبوا ما يحدث. مسحت كيلبي دموعها، وأخذت المناديل التي أعطاها إياها دادي، ومسحت أنفها، ثم فركت شفيتها ببعضهما محاولةً الابتسام. تجاهل الآخرون بأدب خدنها المرتعش.

قالت كيلبي: "أنا أحب الشراب، لذلك سأذهب مسرعة للشرب في جاك أند غينغرز".

قالت جو موافقة: "حسنًا، حسنًا. إذًا، جاك أند غينغرز من أجلك، وزجاجة كاملة من شاردونييه لأجلي، وأفترض أن البقية لدادي". أكد دادي: "نعم".

قالت جو: "لكن في الوقت نفسه، علينا تجهيز الطائرة والركاب المئة والأربعة والأربعين لهجوم كيميائي في الجو، وهبوط اضطراري. أهذا واضح؟ أما الآن، فلديّ فكرة...".

أجفلهم صوت صدر من الخلف، إنه الرجل الذي يجلس بجوار النافذة في الصف الثاني لجهة اليسار: "اعذروني، كنت أتساءل ما هي الوجبات الخفيفة...؟".

قال داداي: "نحن مشغولون. لقد أنهيت الدجاج قبل نصف ساعة، السكر في دمك على ما يرام". بعد أن أغلق ستارة المطبخ في وجه الرجل المذهول، عاد داداي إلى زميلتيه وقال ردًا على تعابير وجهه جو: "ماذا؟". أدار عينيه وفتح الستارة قائلاً للرجل بخجل: "أنا أمزح، لدى جو فشار، ورقائق بطاطا، ولوز، وحلوى، وقطع صغيرة من الشوكولاتة".

نظر الراكب برية إلى المضيفين وهو يحمل رقائق البطاطا والزنجبيل قبل أن يعود إلى مقعده. أغلق بيغ داداي الستارة خلفه. قال: "حسنًا، ما هي خطتك يا جو؟".

فكرت جو في كل المشاكل التي يواجهونها: هجوم الغاز، وواشنطن العاصمة، وعائلة بيل، والدخيل في المقصورة. كان هناك الكثير، لكن معظم ما يحدث كان خارج سيطرتهم تمامًا، ولا يمكنهم هدر الوقت والطاقة والقلق بشأن كل شيء.

قالت جو: "حسنًا، كثيرة هي الأحداث، لكن المشكلة التي نحتاج إلى التركيز عليها هي الهجوم هنا في المقصورة. لا نعرف متى سيحدث، ولذلك سنفكر في السيناريو الأسوأ، ونتصرف على هذا الأساس".

قال داداي: "غاز السارين، الريسين، في إكس، الجمره الخبيثة، السيانيد. يا إلهي، ماذا لو كان البوتولينوم؟".

قالت جو: "كل ما ذكرته يستخدم في الحروب الكيميائية، من المستحيل أن يتمكنوا من الحصول على شيء من هذا القبيل. لكنهم تمكنوا من اختطاف رحلة جوية تجارية بعد هجمات 11 أيلول، لا أظن أنه يجدر بنا استبعاد أي شيء".

قالت كيلبي: "لنفرض أن الهجوم كان بواسطة إحدى المواد التي ذكرتها، فماذا يمكن أن يحدث لنا إذا استنشقنا ذلك الغاز؟".

قال داداي: "ربما ضيق في التنفس، أو شلل عضلي، أو ألم في البطن وقيء وإسهال، وربما فقدان الوعي، وتكوّن رغوة في الفم، أو الموت".

قالت جو وهي تشابك ذراعيها: "بالمختصر، يجب ألا نستنشقه، أرى أنه يجب توفير أوكسجين نقي للركاب...".
قالت كيللي: "وحدات خدمة الركاب".
قالت جو: "بالضبط. كل شخص على متن الطائرة لديه منفذ أوكسجين فوق رأسه مباشرة. نحتاج فقط إلى الأقنعة".

فتحت الحجرة الصغيرة أسفل مقعدها، وأخرجت الشريحة المعدنية الصغيرة الملتصقة بالداخل؛ كانت أداة الفتح المعدنية اليدوية في الواقع نسخة باهظة الثمن من مشبك ورق، عندما رفعتها، نظر المضيفان إلى إحدى أصغر معدات الطوارئ على أي طائرة. كان الغرض الوحيد منها هو تحرير الأقنعة فوق المقاعد - يدويًا، صفاً بعد صف - في حال لم تتحرر الأقنعة تلقائياً؛ وهو أمر غير محتمل، ولم يسبق لأي منهم أن استخدمه أو فكّر أنه سيستخدمه.

قالت جو: "علينا أن نفترض أن الهجوم سيحدث قبل الهبوط مباشرة، قبل الهبوط النهائي، لكن علينا أن نكون مستعدين في وقتٍ أبكر. بصراحة، بأسرع ما يمكن. لا نعرف مدى مقاومة الركاب، وسيستغرق الأمر بعض الوقت حتى لو سارت الأمور بشكل مثالي، وهذا يعني أننا بحاجة إلى البدء في إسقاط الأقنعة بسرعة".

قالت كيللي: "حسنًا، ما الذي ستقولينه عند طلبك هذا؟".

سألها جو: "طلبي؟". فتحت كيللي يديها وقالت: "أعني كيف ستبررين للركاب البدء في إسقاط الأقنعة؟ ... هل ستطلبين ذلك آملًا ألا يلاحظوا ذلك؟".
"حسنًا، لهذا نحتاج إلى التخطيط والتوصل إلى شيءٍ ما. لأنه من الواضح أننا لا نستطيع إخبارهم بما يحدث". تبادل المضيفان الآخراhan النظرات. رفع دادي يده وقال: "جوزيفينا ما هذا بحق الجحيم؟".

قالت جو: "لا يمكننا إخبارهم بأي شيء، سيقتل الإرهابي عائلة بيل إذا فعلنا ذلك".

قال: "إنه أمر مريع حقًا، ولكن أنا آسف، ماذا عن هؤلاء الناس؟ أسنسمح لهم فقط بالركض إلى الهجوم بينما نعلم جيدًا أنه في طريقه إلينا؟". هزت جو رأسها وقالت:

"ليست عائلة بيل فقط هي السبب، هناك دجيل هنا معنا على متن الطائرة. هل تذكر؟".
كان صوتها يزداد حدة مع تزايد قلقها. تنفست، ونظرت حول الستارة لتفحص المقصورة، كان هناك شخصان ينتظران دخول الحمام في الخلف، ورجل يقف في الممر مع طفله. ما من شيء يدعو إلى الريبة.

قالت: "انظر، نحن بحاجة إلى إبقاء ذلك سرًا، لا يمكننا أن نخبر أحدًا بأن هناك خطبًا ما يوشك أن يحدث".

قالت كيلبي: "حسنًا، هل نُنزل الأقنعة مبتممين ونومئ برؤوسنا؟ ونتظاهر بأنه أمر عادي يحدث دائمًا؟".

تنهدت جو وأخفضت رأسها قائلة: "أنا أعرف، أنا أعرف. اسمعا، ليس لدي إجابة عن كل شيء. الشيء الوحيد الذي أعرفه ومتأكدة منه هو أننا بحاجة إلى تلك الأقنعة، لا نقاش في هذا الأمر. يجب أن نوفر لهؤلاء الأشخاص ما يحتاجون إليه لكي يبقوا على قيد الحياة. لنبدأ من هناك، حسنًا؟".

رفع دادي يديه مستسلمًا، وأومأ لكيلبي برأسه. سُمع صوت المحركات، وبكى طفل في الخلف، وأغلق شخص من الدرجة الأولى صندوقًا علويًا. نظر المضيفون الثلاثة إلى الأرض وسط الضوضاء المحيطة، ثم غطى دادي فمه بذهول، ولهث.

قال: "كيف لنا أن ننسى 4.2.7 من بروتوكول إدارة الطيران الفدرالية بحق الجحيم؟ التي تشير بوضوح إلى أنه في حال حدوث عطل في نظام إطلاق أقنعة الأوكسجين في الطائرة، يتعين على المضيفين إطلاق جميع الأقنعة الموجودة في المقصورة يدويًا من وحدات خدمة الركاب، وفي حال حدوث انخفاض غير مرجح في الضغط، فسيتمكن الركاب من الوصول إلى الأقنعة".

رمشت كيلبي وقالت مذهولة: "لم أكن أعرف ذلك. أعني، إذا كان هذا هو ما يفترض علينا القيام به، فمن الواضح...".

قالت جو: "هذه المعلومة من بنات أفكار دادي ولا أساس لها". عندها انحنى دادي باحترام.

سألته كيلى: "هل تريد أن تكذب عليهم؟".

قال دادي: "أنا أفعل ذلك دائماً".

قالت جو: "إنه محق، بما أن الأمر انطلى عليك، فسينطلي على الركاب، لا أظنهم سيشكون بشيء. كل ما نحن بحاجة إليه الآن هو إخراج الأقفعة، دعونا ننهى هذه المهمة أولاً، ولنفكر بعد ذلك بما يجدر بنا القيام به".

قالت كيلى: "حسناً، دعونا ننته من هذا. لكنني لن أطلب منهم ذلك، يمكنكما قول ذلك للركاب يا رفيقي".

قالت جو: "كلنا سنتحدث، لا أحد سيصدر أي إعلان".

سأل دادي: "ماذا؟".

قالت جو: "تذكر بيل، نحن نحاول القيام بالأمر بشكل سرّي، لا يزال بيل يجري مكالمة الفيديو، والطيار المساعد لا يعرف شيئاً، لا يمكنه معرفة ذلك".

سألت كيلى: "هل يمكن للطيارين سماع إعلاناتنا؟".

قالت جو: "نوعاً ما. يمكنهما دائماً السماع عندما نصدر إعلانياً، ولكن ليس بشكل واضح. وفي حين رغبا في ذلك، يمكنهما تبديل الصوت والاستماع. في العادة لا يفعلان ذلك. لذلك كلما قل الاهتمام الذي نجذبه، كان ذلك أفضل. يجب أن يبدو ما نقوم به عادياً، ليس من أجلنا فقط، وإنما من أجل عائلة بيل".

فكّرت جو في كاري. على مرّ السنوات، تحولت نزوات الشركة وحفلات الكريسماس إلى تجمعات عائلية. لم تكن الزوجات صديقات مقربات، لكن ساعة سعيدة هنا وهناك أبقتهن على اتصال. عندما وُلد سكوت، قدّمت جو لكاري مجموعة من ملابس ابنها، وأحبت صور سكوت بتلك الملابس.

حاولت جو ألا تفكّر في ذلك واستعادة تركيزها. كان ثيو يعتني بالعائلة، وبيل يعتني بالطائرة.

كانوا بحاجة لرعاية الركاب.

الفصل الثامن

ضغط ثيو هاتفه فوق ساقه، وشاهد كيف كانت السيارات على الطريق السريع 405 تتنحى جانبًا لتسمح لموكبهم بالمرور. تألف الموكب من ثلاث سيارات رباعية الدفع غير مميزة، ومركز قيادة متنقل من دون نوافذ بنفس درجة الفعالية التي يمكن أن يحصل عليها مكتب التحقيقات الفدرالي.

قالت ليو للسائق: "أطفئ الأنوار وصفارات الإنذار بمجرد خروجنا من الطريق السريع". وأكملت: "سيداتي سادتي، المشتبه به ليس لديه أدنى فكرة أننا قادمون، هذه هي ميزتنا الوحيدة، ونحن في طريقنا لإنقاذ عائلة هوفمان".

استدارت ليو ورفعت جهازًا لويحياً يعرض صورة لعائلة بيل قد حصلت عليها من أحد مواقع التواصل الاجتماعي، واستجاب أعضاء فريق الأسلحة والتكتيكات الذين يعتمدون الخوذات القتالية الخاصة بمكتب التحقيقات الفدرالي بتحريك رؤوسهم إلى الأعلى والأسفل.

أكملت ليو: "اسم الأم كاري، والطفلان هما سكوت وأليز، سكوت عشرة أعوام، وأليز عشرة أشهر. الأم ترتدي سترة ناسفة. يحمل المشتبه به مفعراً، ويرتدي بدوره سترة ناسفة. حسناً، ماذا نعرف عنه؟ إنه ذكر، في أوائل العقد الثالث تقريباً، ويعمل في شركة اتصالات واسمه الكامل يبدأ بحرف (س) لكنه لُقّب نفسه سام".

شعر ثيو بأن ليو تحديق إليه، عندها تفقد هاتفه ليري إن ورده شيء جديد من حالته، لكنه لم يجد شيئاً.

واصلت ليو: "هذه مهمة استكشافية فقط، مفهوم؟ سننشئ محيطاً مناسباً، ونستطلع ما يجري. سننقل كل معلوماتنا الاستخبارية إلى فريق إنقاذ الرهائن الذي

نتشاور معه، والذي يستعد للانتشار بينما نحن نتحدث، وإذا احتجنا إلى القوة التكتيكية، فسننتظرها إلا إذا اضطررنا للتحرك".

عدّل ثيو سترته المضادة للرصاص، وشعر أنه في غير مكانه، وبمجرد وصول فريق إنقاذ الرهائن، سيزداد هذا الشعور. كان ثيو مجرد عميل ميداني، ولم يكن من فريق الأسلحة والتكتيكات، وبالتأكيد لم يكن عضوًا في فريق إنقاذ الرهائن؛ إن القوة التكتيكية في مكتب التحقيقات الفدرالي مدرّبة للتعامل مع المواقف شديدة الخطورة، ولم يكن هناك من سبب لوجوده في هذه المهمة سوى أنه صلة الوصل بين الطائرة والأرض. تأكدت ليو من أنه فهم ذلك.

عند الخروج من الطريق السريع، أوقف عمل صفارات الإنذار والمصابيح الواضحة. لم يؤدِ الصمت المفاجئ إلا إلى زيادة شعور ثيو ورفاقه بالترقب.

قالت ليو لمجموعة الاتصالات الخاصة بها والتي تربط جميع الوحدات: "الموقع، من فضلك". أرسل شخص ما في العربة الخريطة الرقمية إلى جهازها اللوحي، والتي درستها باستنكارٍ متزايد.

قالت ليو: "إنه مكان سيئ بالنسبة إلينا. أحد أحياء الضواحي في بلايا ديل ري قبالة مانشستر. تحيط المنازل بمنزل هوفمان من الجوانب الثلاثة. هناك مساحة صغيرة جدًا في الفناء الخلفي أو الجانبي لنعمل فيها".

أكملت: "الجهة مكشوفة للغاية، ستقترب وحدة ألفا من الشارع الثالث والثمانين بشكل مستقيم. أريد من وحدتي برافو وتشارلي، أن تكون مركبتيكما في الخلف في الشارع رقم 82 عند تقاطع شارع هاستينغز. كومس، والأخرى حيث يلتقي الشارع 83 بساران. بمجرد أن تتمركزا، أبلغا عن الأمر، واستعدا لطلبات التقدم سيرًا على الأقدام. هل فهم الجميع؟".

أكد قائدا الودحتين على الأوامر، سُمع الصوت في جميع المركبات من خلال كل سماعة. اتجهت كل مركبة إلى الموقع الذي حدد لها، وواصل ليو وثيو والعملاء في وحدة ألفا توجههم إلى لينكولن، وتوقفوا عند الإشارة الحمراء بانتظار

الانعطاف إلى مانشستر. نظر ثيو عبر النافذة إلى عائلة كانت تغادر مطعمًا؛ فتح صبي في سن المراهقة الباب خلفه، وكانت والدته تتبعه، ومعها علب الطعام، وكان الأب ينظف أسنانه بعود أسنان، بينما كانت الأخت الصغرى خلفهم وهي تتراقص أثناء خروجها من المطعم.

تحول ضوء إشارة المرور إلى الأخضر وتقدمت المركبة. هنا تساءل ثيو إن أكل آل هوفمان في هذا المطعم، ربما كانوا بالأمس مثل هذه العائلة عندما غادروا المطعم بسعادة وهم لا يدركون ما الذي ينتظرهم.

بعد بضع دقائق أعلن صوت: "وحدة برافو في مكانها". سرعان ما أبلغت وحدة تشارلي ومركز القيادة عن الشيء نفسه.

قالت ليو: "وحدة ألفا تتوجه الآن إلى بيرغر. استعدوا". تباطأت سيارة الدفع الرباعي، وتوقفت عند الجهة اليمنى من الشارع.

تمت ليو بكلمة بذيئة، فاستدار ثيو ليرى ما يحدث وفهم على الفور. قالت ليو: "تبا، لا يمكننا رؤية شيء، سنضطر إلى التحرك إلى مكان أقرب بكثير مما كنا نظن. الساحة الأمامية فيها شجرتان وبعض الشجيرات، تكفي فقط لإخفاء شخصين، وربما ثلاثة على الأكثر".

صدر صوت: "لا داعي للقلق، وحدة برافو مستعدة". كانت وحدة برافو خلف المنزل على بعد ثمانين ثانية، ويمكنها الوصول إلى الفناء الخلفي لمنزل عائلة هوفمان إذا مروا عبر فناء الجيران. يبدو أن هناك العديد من الأشجار الكبيرة ومبنى صغيرًا، في عقار آل هوفمان ربما يستخدم المبنى الصغير ورشة أو مستودعًا. قالت ليو: "جيد، كم عدد العناصر الذين تمت تغطيتهم وإخفاؤهم؟".

صدر صوتٌ ما: "أربعة، وربما خمسة".

أومأت قائلة: "لتتقدم وحدة برافو".

صدر صوتٌ ما: "علم، سنتقدم الآن".

قالت ليو: "ماذا لدى وحدة تشارلي؟".

صاح صوت لاهت عبر الخط: "نحن في الخلف، نتجه غربًا سيرًا على الأقدام يا سيدتي. سيتم تقييم دخول الفناء الجانبي بمجرد وصولنا هناك".

أكدت ليو، ثم حل الصمت لبضع دقائق، حيث تحركت وحدتا برافو وتشارلي إلى موقعيهما. تمكن ثيو أن يرى الجزء العلوي من النافذة الأمامية للمنزل من فوق الشجيرات، ولكن بسبب وهج الشمس، لم يستطع معرفة إن كانت الستائر مسدلة. إذا كانت مفتوحة، فلا توجد طريقة للاقتراب من دون أن يكونوا في مرمى النظر المباشر، وهذا يعني وجود خط نار مباشر؛ منطقة سيتم اصطيادهم فيها.

صدر صوت خافت: "وحدة برافو في مكانها، ولكن الرؤية معدومة، كل النوافذ في الخلف مغطاة بستائر".

قالت ليو: "روجر، ابق مكانك. وحدة تشارلي. أريد...".

قاطعها صوت: "من كومس إلى ألفا، هناك مشكلة. يتجه أحد المشاة المدنيين شرقًا سيرًا على الأقدام، ويبدو أنه بمفرده، ويبدو أنه يتنقل من منزل إلى آخر".

انحنى ثيو ونظر إلى اليسار. ظهر رجل يحمل حافظة أوراق، وكان يتقدم نحو الباب الأمامي للمنزل القريب من منزل عائلة هوفمان. بعد أن طرقت الباب، فتحت سيدة عجوز له، وبدا أن وجود الرجل أربكها. هزت رأسها، فأعطاه الرجل نشرة قبل أن تغلق الباب في وجهه. في طريق عودته، توقف لاستخدام هاتفه، ورفع مستوى الصوت في سماعة الأذن التي تعمل بالبلوتوث. كُتب على الجزء السفلي من الحافظة الخاصة به العبارة نفسها التي كتبت على جانب حقيبتيه، بأحرف زرقاء وحمراء: "توم كامبل مرشح الكونغرس!". توجه الرجل إلى المنزل المجاور لمنزل لآل هوفمان.

قالت ليو: "اللعين، يجب أن نوقفه".

طلبت من وحدة تشارلي التحرك إلى مكانها، واستدارت لتتحدث إلى فريق ألفا. أدرك ثيو أن كل عميل باستثنائه كان يرتدي معدات تكتيكية كاملة، وكانت

كلمات (فريق الأسلحة والتكتيكات الخاص بمكتب التحقيقات الفدرالي) مكتوبة باللون الأصفر الفاتح على ظهورهم.

قالت ليو: "روسو".

أجاب: "سيدتي".

"تجرّد من جميع معدّاتك الآن. ستتدخل".

تحرك العميل روسو بسرعة - قد يستغرق التخلص من معدّاته عدة دقائق - وبدأ بشكل محموم في نزع سترته الواقية، وهو يراقب تحركات الرجل. كان الرجل قد طرق بالفعل باب الجار المجاور ولم يرد أحد. انحنى، وأدخل نشرة في فتحة البريد.

قال ثيو وهو يضغط يديه على الزجاج: "علينا أن نوقفه، لا يستطيع الصعود إلى هناك، إنه أمر في غاية الخطورة".

قالت ليو: "لديّ خمسة عملاء في الداخل، وليس لدينا فكرة عما نتعامل معه، هل تريد أن تكشفهم؟ روسو، تقدم".

شاهد ثيو العميل وهو يتصارع مع الأشرطة والربطات، فمن المستحيل أن ينتهي في الوقت المناسب. جال ثيو بعينه في أرجاء السيارة إلى العملاء الذين كانوا يراقبون زميلهم وهو يتجرّد من معدّاته؛ لم يصدق ثيو ذلك. سيرن الرجل جرس باب هوفمان قبل أن ينتهي روسو من التخلص من نصف معدّاته، ولا يبدو أن أيًا من العملاء فهم ذلك.

إما أنهم لم يفهموا ذلك أو أن الأمر الذي تلقوه بالجلوس والانتظار أعماهم عن الموقف الحرج. نظر ثيو إلى معدّاته، لديه فقط سترة مضادة للرصاص. فتح الأربطة، ورمى السترة على المقعد، وقفز من السيارة. حاولت ليو إيقافه وتفوهت بسلسلة من الكلمات البذيئة المكتومة عبر الزجاج، لكن ثيو تجاهلها وهرع نحو منزل هوفمان.

الفصل التاسع

وضعت أداة الفتح اليدوية في مكانها وضغطت. انقلبت لوحة السقف إلى الأسفل، وسقطت أربعة أقنعة أو كسجين.

سألته امرأة: "هل هذا ضروري؟". لم يخفِ الرجل الذي يجلس إلى جانبها شكوكه، وهو يشابك ذراعيه، وإلى جانبه زجاجة جعة فارغة وكيس من الرقائق. أجابته جو: "عزيزتي، أنا لا أضع القواعد، لقد أنذر جهاز استشعار في المقدمة الطيارين أن النظام الذي يسقط الأقنعة تلقائيًا ربما يعاني من خطأ ما. وعندما يحدث ذلك، وفي هذه الحالة حسب بروتوكول إدارة الطيران الفدرالية...".

بدأت جو في الصف الأول من الدرجة الأولى، وبدأ داداي من منطقة الجناحين، وتولت كيلبي زمام الأمر في الصف الثامن عشر. تحركوا صفاً تلو آخر، لإبلاغ الركاب بذلك، وإلقاء الأقنعة، والإجابة عن أي أسئلة. لقد تحركوا بسرعة حتى يتمكنوا من تكرار العملية مع الصف التالي مرة أخرى.

أخبرتهم جو قبل أن يبدووا بطرح الأسئلة أن يبقوا هادئين وواثقين، وأن الطاقم سيحدد مدى خطورة الوضع. إذا لم تكن هذه مشكلة كبيرة بالنسبة إليهم، فلن تكون مشكلة كبيرة على الإطلاق. لم يكونوا يتلاعبون بالركاب، لقد كانوا يديرون ببراعة تصورًا كان في مصلحة الطائرة.

بصفتها مضيئة طيران وأماً لطفلين، أدركت جو أنه ما من فرق كبير بين الأدوار.

فإخراج الأقنعة هي الخطوة الأولى والأهم؛ إخراج الأقنعة وإتاحتها حتى يتمكن الركاب من حماية أنفسهم عندما يحين الوقت.

الخطوة الثانية: التعامل مع الارتباك والمقاومة الحتميين.

الخطوة الثالثة: التعامل مع الدخيل الذي قد يظهر بعد الخطوتين الأولى والثانية.

الخطوة الرابعة: القتال للنجاة من الهجوم الفعلي.

الخطوة الخامسة: إخلاء الطائرة عند الهبوط في مطار جون كينيدي.

قرر الطاقم التركيز على الخطوة الأولى، والتي تُعتبر أكثر خطورة يُمكن التحكم فيها بين تلك الخطوات.

بدأت الأقنعة الصفراء المتدلّية تملأ الطائرة حيث كان المضيفون الثلاثة يحرزون تقدماً مستمراً. عندما كانت جو تنتهي من أحد الصفوف، كانت تلقي نظرة فاحصة على كامل المقصورة قبل الانتقال إلى الصف التالي. لم تعرف ما الذي كانت تبحث عنه بالضبط، فهي لم تكن تبحث عن شخص يضع قناعاً سيقفز ويطلب منها أن ترفع يديها. ومع ذلك، فقد افترضت أن شيئاً ما سيبدو غريباً، لكن شيئاً لم يحدث. شعرت أنها مطاردة، كما أدى الشعور الزائف بالحياة الطبيعية إلى تفاقم التوتر.

قفز كل شخص من المسافرين عند سقوط القناع على الرغم من أنهم كانوا يتوقعون ذلك. شكر الركاب جو بعد حصولهم على الأقنعة، وكأنها وضعت للتو مقبلات الدجاج الساخنة أمامهم. كانوا مرتبكين ومتوترين، لأسباب مفهومة. لكن الأهم من كل ذلك أنهم امتثلوا لها.

افترضت جو أن الأمور ستسير على هذا النحو، فالمسافرون هم مجرد عينة عشوائية من عامة الناس؛ عدد قليل من المتسكعين ونماذج أخرى، ولكنهم بشكل عام، قطع من الأغنام.

غالباً ما كانت جو تجلس على المقعد الخاص بها أثناء الإقلاع وتُقيّم المسافرين، وتفكر في من سيكون - الشخص القادر جسدياً - على المساعدة في حالات الطوارئ. ستفكر في هؤلاء الركاب الذين سيشكلون بؤراً للتوتر عندما لا

يتعاونون. لكنها كانت تُبحر أيضًا في عالم أسئلة مثل: حسنًا، إذا حدث شيء ما، فمن سيكون مصدر الكوميديا؟ من ستكون ملكة الدراما؟ من هو المتمرّد؟ من هو البطل؟ ومن هو الجبان؟

فكّرت: "كنت أعرف ذلك"، وهي تشاهد امرأة تقتحم الممر وقد بقي زوجها في الخلف وهو يمسك بطفل رضيع.

قالت المرأة لجو بطريقة اتهامية: "لديّ طفل".

نظرت إليها جو، وقالت: "رائع، تهانينا".

صاحت المرأة: "هذا ليس مضحكًا، إن نوع الصدمة العاطفية التي يمر بها طفلي بعد حدوث هذه الأشياء" - أشارت إلى الأفنعة - "ستخيفه مدى الحياة".

حاولت جو عدم النظر إلى الزوجين الشابين اللذين يحملان طفلهما، وقالت: "سيدتي، أنا آسفة لأنك وجدت هذا مزعجًا. لسوء الحظ، تملي السياسة...".

قالت المرأة: "لا يهمني ما هي السياسة".

قالت جو: "حسنًا، إن إدارة الطيران الفدرالية هي من تفرض ذلك. هذا من أجل سلامة طفلك".

قالت المرأة وهي تنحني إلى الداخل: "أنا أقرر ما هو الآمن لطفلي".

حاولت قراءة الاسم الكامل لجو وقالت: "جو ماذا؟".

قالت جو: "عفوا؟".

قالت المرأة: "ما هو اسم عائلتك يا جو؟ سوف أدوّنه".

قالت جو: "أريد أن أتأكد أنني أفهم قصدك، هل ستكتبين لشركة الطيران لإبلاغهم أن هذا الطاقم يعرف بروتوكول إدارة الطيران الفدرالية وسياسة الشركة

بل يفرضها أيضًا؟". توقفت قليلاً ثم أكملت: "واتكينز، و-ا-ت-ك-ي-ن-ز".

ز. هل تريدان البريد الإلكتروني للمشرف عليّ أيضًا؟ يمكنني كتابة كل هذا لك إذا كان ذلك سيساعدك. أريد حقًا التأكد من وصول هذه المعلومات إلى الأشخاص

المناسبين".

زمت المرأة شفيتها وقالت: "كيف تجرؤين على...؟".

قال الرجل الجالس على المقعد المجاور للزوجين الشابين: "آه، اصمتي أيتها السيدة. إنها تقوم بعملها".

قالت المرأة: "لا أسمح لك...".

قال الرجل: "ابنك لا يزال يبلى حفاظه، فهو لا يعرف حتى مكان أنفه".

قالت المرأة: "طفلي...".

قال بيغ داداي: "سيدتي، رضيعك الحبيب عاد إلى هناك متسائلاً عن سبب صراخ والدته على الناس. أرجوك عودي إلى مقعدك، وأبلغيه بالأخبار السارة، ستمنحك شركة كوستال أميلاً مجانية مقابل الصدمة الشخصية المروعة، والتي لم يضطر أي شخص آخر لتحملها".

قالت المرأة: "سيتوجب عليّ...".

قال داداي: "كلمة أخرى وسأستدعي السلطات".

قالت: "ولكن...".

مكتبة

t.me/soramnqraa

قال: "كارين، أقسم بالله".

قالت: "اسمي جانيس".

قال داداي: "ولكن هل هو حقاً كذلك؟".

ضاقت عيناها وتراجعت. بدا الزوج خائفاً حقاً بينما كانت تجلس على مقعدها.

قال داداي بصوت عالٍ بما يكفي حتى تسمع الصفوف المجاورة: "لا تقلقي، لن أكافئ هذا السلوك. الشيء الوحيد الذي ستحصل عليه هو مراهم مختل. جو، الطائرة في الخلف امتثلت لبروتوكول إدارة الطيران الفدرالية.

قالت جو قبل أن تنحني وتخفض صوتها: "ممتاز، شكراً لك. هل يوجد أي شخص مثير للشكوك؟".

قال داداي وهو بالكاد يهمس: "ربما رجل واحد. في جهة اليمين، المقعد بجانب الممر، خلفي بصفين".

استدارت جو لترى خلف بيغ داداي. ألقت نظرة سريعة على الرجل وقالت:
"الرجل الطويل؟".

قال داداي: "طويل فقط؟ عندما ذهب إلى الحمام كان عليه أن ينحني".

قالت جو: "ما المريب فيه؟".

هزّ داداي رأسه وقال: "إنه مجرد حدس، لقد علّقت أنا وكيلي في الواقع على
طاقته الغريبة قبل أن نخبرنا بأي شيء".

أومأت جو برأسها وقالت: "سنبقي أعيننا عليه. أرسل كيللي، سأتحقق من
وثائقه حتى نتمكن من البحث عنه عبر غوغل".

توجه داداي إلى الخلف بينما أنهت جو الصفوف القليلة الأخيرة التي سارت
بسلاسة. كانت على وشك الانتهاء من المجموعة الأخيرة عندما ظهرت كيللي
خلفها.

قالت كيللي وهي تنظر إلى مقدمة الطائرة: "لم أكن أعرف أن ريك رايبان في
الدرجة الأولى".

نظرت جو إليه، ورأت طفلًا يجلس بجوار النافذة في الصف الثاني متكئًا على
جدار الحمام، يتفحص هاتفه. لم يكن طفلًا حقًا. ربما كان في منتصف العشرينات
من عمره.

لكن القبعة الصغيرة والقلنسوة والوشوم أوحى لها بأنه أصغر من عمره.
اعتقدت جو أن أولئك الذين يعرفون الموضحة يعتبرونه عصريًا وأنيقًا.
قالت جو: "هل يفترض بي أن أعرف من يكون؟".

قالت كيللي: "لقد حصل على قرابة عشرة ملايين متابع على إنستغرام".
سألت جو: "لماذا؟".

هزت كيللي كتفيها.

سألت جو: "ولكن ما الذي اشتهر به؟ ماذا يفعل؟".

قالت كيللي: "في الحقيقة، لا أعرف، إنه...".

عندما لاحظ ريك أنهما يراقبانه، لَوَّحَ لهما.

همست جو لكيلي وهما تمشيان: "إياكِ أن تتجرئي على طلب توقيعه".

سألته جو: "سيد رايان، هل كنت بحاجة إلى شيء؟".

قال: "نعم، هل تملكين تفسيرًا لهذا؟ رفع هاتفه، وحدقت جو وكيلي في الضوء الساطع في المقصورة المُعتمة. لقد كانت صورة شخصية له وهو يرتدي قناع الأوكسجين. دنت كيلي من الهاتف لتقرأ التفاصيل: مئة إعجاب، ومئتان وثلاثة وأربعون تعليقًا.

لقد نشر الصورة منذ ست دقائق فقط.

تمتت كيلي: "اللعة".

سألته جو: "ما الذي تريدني أن أشرحه".

قال: "لقد نشرت هذا على إنستغرام، وشرحت ما يحدث هنا. والآن الجميع يكتبون لي: يا صاح، هذا ليس صحيحًا".

نظرت جو إليه وقالت: "ما هو غير الصحيح؟".

قال: "هذه الأشياء عن بروتوكول إدارة الطيران الفدرالية. يقول الناس إن هذا غير صحيح. أقصد الذين يعملون في شركات الطيران".

ارتبكت جو ونظرت إلى كيلي التي لم يكن لديها ما تقوله على ما يبدو.

قالت جو: "سيد رايان..."، لم تكن متأكدة تمامًا مما ستقوله بعد ذلك. فجأة، رنَّ جرس عبر المقصورة. إنه نداء من الصف العاشر.

أكملت جو: "أنا آسفة سيد رايان. يجب أن نرد على ذلك، لكننا سنعود فورًا للشرح".

همست كيلي: "ماذا نفعل؟ تَبَا، تَبَا، تَبَا".

همست جو: "اهدأي، كان علينا إخبارهم بشيء ما على أي حال. نحتاج فقط إلى معرفة ماهية هذا الشيء وصياغة الرسالة أولاً. سيكون كل شيء على ما يرام، نحن فقط بحاجة إلى بعض الوقت". بدت جو وكأنها مسيطرة بشكل تام، ولكن

عندما ذهبت لإطفاء ضوء النداء في الصف العاشر، لاحظت أن يدها كانت ترتجف، وقالت للرجل في المقعد الأوسط: "نعم سيدي".

قال وهو يشير إلى التلفاز المعلق على ظهر المقعد الذي أمامه: "نعم، أود أن أعرف ما هذا؟".

نظرت جو إلى الشاشة. كان يشاهد الأخبار، وعلى الشاشة كانت صورة ريك ريان التي يبدو أنها أصبحت مُتداولة على كل وسائل التواصل ومحطات التلفاز. نظرت إلى الأعلى، ورأت وجهه المغطى بالقناع على العديد من الشاشات، وتزايد العدد مع تبديل الركاب للقنوات. وتقريبًا على الفور، بدأت الصورة تظهر في كل مكان.

امتلات المقصورة بتمتات الشك والمعارضة، وتبدل مزاج الركاب. أكمل الرجل مشيرًا إلى التلفاز: "حسنًا، ما الذي لم تخبرونا به؟ ماذا يجري بحق الجحيم؟".

وازدادت الأصوات الداعمة للرجل. التفتت جو لتلقي نظرة على كيلى التي كانت تنظر إليها بالمقابل، وبدا جليًا أنهم أخفقوا في مسعاهم. فتحت جو فمها لتتكلم، ليس لأنها عرفت ما ستقوله، ولكن لأنها اضطرت لقول شيء ما.

قالت: "حسنًا، رجاءً أصغوا إليّ جميعًا". قاطع كلامها صوت رنين جرس لثلاث مرات متتالية. استدارت جو وكيلى إلى الخلف لرؤية الضوء الوامض فوق الحمام يسارًا. جهاز إنذار الحرائق، حريق في الحمام.

الفصل العاشر

كان الرجل يمضي في طريقه إلى منزل عائلة هوفمان، ولكن قبل أن يتمكن حتى من الوصول إلى التقاطع، صفرّ ثيو، لكن الرجل لم يسمعه. كان يضع سماعتين في أذنيه غافلاً عن أي شيء خارج عالمه.

علم ثيو أنه لا يمكنه الإسراع خلفه، لأنه سيفاجئ الرجل ولا شك في أن مشهداً صاخباً سيتبعه، بالإضافة إلى ذلك، إذا فُتح الباب للرجل، وشوهد ثيو وهو يندفع إلى المنزل في الوقت نفسه، فستفشل العملية برمتها.

غاب الرجل عن الأنظار، واختفى خلف الشجرات الطويلة في الفناء الأمامي. أسرع ثيو وعبر الشارع، ثم صعد إلى حديقة المنزل المجاور لمنزل عائلة هوفمان، واجتاز سياجاً أبيض منخفضاً، وعبر الفناء، وتخطى الحاجز المنخفض بسهولة، وهو شيء لم يفعله منذ أيام سباقات المضمار والميدان في المدرسة الثانوية. نزل إلى الفناء أمام المنزل، ورأى الستائر على النوافذ الأمامية مفتوحة على مصراعها. صلى ثيو ألا يكون أحد في المنزل.

طرق الرجل على باب منزل هوفمان، بينما انتزع ثيو كرسيًا من مجموعة أثاث الفناء، وسحب نحو السياج الذي يفصل بين الفناءين. وقف ثيو على الكرسي، فظهر رأسه وكتفاه فوق السياج.

كان الرجل يخفض رأسه، وقد أولى ثيو ظهره؛ ربما كان ينظر إلى هاتفه. لوح ثيو بذراعيه بلا فائدة. بحث الرجل عن حركة داخل المنزل، لكن النوافذ كانت كلها مغطاة بالستائر.

قال الرجل: "حسنًا، أتحدث إليك لاحقًا"، وعاد إلى الباب. كان ثيو الآن في

محيطه، ولوّح بذراعيه بقوة أكبر. لم يرغب في إحداث أي ضجيج، لأنه كان قريبًا جدًا من المنزل، لكن الرجل لم يلحظ وجوده. مدّ الرجل يده إلى حقيبته، وسقطت كومة من النشرات على الأرض.

دار ثيو على الكرسي ونظر إلى الفناء. كان هناك أسفل السياج إلى يساره سلة كبيرة مليئة بألعاب المسبح. ركض ثيو للإمساك باللعبة ذات اللون الوردية. جلب اللعبة البراقة إلى سياج فناء هوفمان. التقط السياسي النشرات، وكان يرفع غطاء فتحة البريد التي أصبحت في مستوى نظره وهو في وضع القرفصاء. لفت وميض اللون انتباهه، فأدار رأسه إلى اليمين، وتجمّد عندما رأى ثيو على الجانب الآخر من السياج.

رفع ثيو شارته، وأشار إليها مرارًا وتكرارًا محاولًا نطق الحروف أف-بي-آي حتى أوماً الرجل برأسه ببطء. كان الرجل جائعًا ولا يتحرك، وبدأت النشرة ترتجف في يده. وضع ثيو إصبعه على شفتيه حتى أغلق الرجل فمه المفتوح. أشار ثيو بأصابعه نحو الطريق بعيدًا عن المنزل، وأعاد وضع إصبعه فوق شفتيه، وهو يصلي أن يكون الرجل قد فهم ما يحاول قوله.

أوماً الرجل برأسه ليشير إلى أنه فهم، وببطء، وقف الرجل تاركًا النشرة تسقط في فتحة البريد وهمّ بالوقوف. حرر يده التي كانت تثبت غطاء فتحة البريد مما أحدث صوت ارتطام.

دفع الانفجار بثيو إلى الخلف، كان آخر ما رآه قبل أن تغطيه كرة لهب برتقالية اللون أطلقت نحو السماء، وتكوم في فناء منزل الجيران.

الفصل الحادي عشر

انسوا أمر أقنعة الأوكسجين، انسوا أمر أي هجوم كيميائي، ستتحطم الطائرة بجميع الأحوال إن كان هناك حريق على متنها.

شقت جو طريقها إلى الخلف متجاهلة كل يد امتدّت نحوها، وجميع نظرات الحيرة. الشيء الوحيد الذي شغل تفكيرها الآن هو اندلاع حريق لا يمكن السيطرة عليه. لقد تحولت رباطة جأشها إلى خوف عندما فكرت: هذه كانت خطة الإرهابيين البديلة.

أسرعت الخطى.

أضاءت اللافتة فوق باب الحمام باللون الأخضر، وهذا يعني أن الحمام أصبح شاغراً أو على الأقل لم يعد مقفلاً. تفحصت الباب أثناء اقترابها وقد ضاقت حدقتا عينيها لأن المقصورة كانت معتمة، وبحثت عن أي أثر لتسرب دخان من أسفل شق الباب أو فتحات التهوية فوّه. لم يكن هناك شيء. استنشقت بعمق من أنفها في محاولة منها للاستعداد لتلقي رائحة حريق، لكنها لم تشتم شيئاً. باتخاذ تلك الخطوات الأخيرة، استعرضت جو ذهنياً مواقع معدات الطوارئ. مطفأة الحريق الهالونية والقفازات المضادة للحرائق: كانت مطفأة الحرائق الهالونية الأولى والقفازات المضادة للحرائق أسفل المقعد رقم 2 لجهة اليسار بالقرب من الحمام. مطفأة الحرائق الثانية على الجانب الأيمن من الطائرة أسفل المقعد رقم 2. ليساعدهم الله إن احتاجوا إلى أكثر من اثنتين.

انحنت جو عند وصولها إلى الباب في محاولة منها للاستماع لما كان يجري خلفه. لم يكن هناك شيء سوى الصمت. مدّت ذراعها اليمنى بتردد، ووضعت ذراعها

اليسرى بحذر على سطح الباب. لقد كان الباب باردًا. لمست الباب من الأسفل أيضًا، لكن شيئًا لم يتغير، فقد كان باردًا أيضًا، ثم مدّت ذراعها إلى الأعلى لتتأكد من حرارة الباب هناك أيضًا، لكن النتيجة كانت واحدة؛ كان سطح الباب بأكمله باردًا.

أدركت أنه لم يعد أمامها من خيار سوى رؤية الوضع خلف الباب.

في محاولة جو الاستعداد للأسوأ ومضت عيناها عدة مرات وتنفست بعمق.

أدارت المقبض، وفتحت الباب قليلًا في محاولة منها لإدخال أقل قدر ممكن من الهواء. انحنت إلى الأمام قليلًا بقدر ما استطعت من قوة، ونظرت إلى الداخل. عندما فتحت الباب على مصراعيه، لم يكن هناك شيء عدا بعض المناديل الورقية.

لم يكن هناك شيء غريب على الأرض، فتحت سلة المهملات، ونظرت داخلها، واستنشقت بعمق، وكانت على وشك تكرار الخطوات نفسها على المرحاض عندما سمعت أحدهم ينادي باسمها.

التفت لتجد كيلبي وبيغ دادى يحجبان رؤية الركاب عما كان يجري في الداخل، وقد بدت كيلبي منزعجة. هزّ بيغ دادى علبة وصوّبها ناحية جو أثناء خروجها من الحمام.

قال: "على الرحب والسعة، أرجوك لا تؤذيني".

انتزعت جو علبة الشامبو الجاف من يده.

"هل أنت من أطلقت إنذار الحريق؟".

"أعتقد أن ما فعلته سينقذك من الركاب الغاضبين".

"دادى، أقسم إنني...".

سُمع صوت رنين عالٍ، ثمّ انخفض بالتدرّج وأضياء ضوء أخضر فوق

رؤوسهم.

انتزعت جو الهاتف المعلق على الحائط وقد اتقدت عيناها غضبًا، ثم نظرت

باتجاه بيغ دادى، واحتدّ صوتها وهي تتحدث إلى الطيارين.

"إنذار خاطئ أيها الطياران".

بدا الارتياح على وجه بيل؛ لم يعد شاحب اللون، وتدفق الدم إلى باقي أطراف جسده. اتخذ الطياران وضعًا رأسيًا للحماية عندما انطلق صوت إنذار الحريق في غرفة القيادة مصاحبًا للزر الأحمر الوامض وقرأ على اللوحة الحمام/التدخين/الحريق، وهذا ما جعل رقبتهما تؤلمانهما. لا تزال قدما بن مغطاتين بطعام العشاء.

افترض بيل أن تلك هي خطة الإرهابيين البديلة. افترض أن هناك هجومًا يحدث في الخلف. فك حزام الأمان، ونهض كما لو كان سيتخلى عن مقعده، وسيندفع إلى المقصورة للمساعدة. لاحظ بن ذلك، وألقى نظرة خاطفة على بيل، لكنه استمر في قراءة القائمة المرجعية والبروتوكول لحالة الطوارئ، ولكن هذا الأمر من اختصاص بيل.

تكلم بيل عبر الميكروفون: "وما هو السبب وراء ذلك؟". لكنه تنحى أولاً لتغطية الارتجاج في صوته.

أخبرت جو الطيارين أن هناك امرأة كانت ترش من علبة شامبو جاف. حرك بن عينيه، ووضع رأسه بين يديه.
"أخبريها بأننا نعاني مما أقدمت عليه".

أجابت جو: "نحن أيضًا نعتذر عن إخافتكما، هل أنتما بحاجة إلى أي شيء يا ريفيقي؟". نظر بيل إلى بن الذي هز رأسه قائلاً: "شكرًا يا جو أعتقد أننا بخير هنا، هل تحتاجون أي شيء يا رفاق؟".

أجابت بطريقة لا يمكن لأحد آخر فهمها غيره: "لا، فالأمور جيدة. لا يوجد شيء يمكن الإبلاغ عنه هنا".

عصّ بيل شفته. أراد أن يصيح عبر الميكروفون ويطلب آخر المستجدات من ابن أخت جو. لم يكن هناك أي اتصال مع عائلته منذ أن أنهى سام الاتصال به. ملأت الاحتمالات المرعبة ذهنه بسبب قلة المعلومات لديه.

شكر بيل مضيعة الطيران الرئيسية وأنهى المكالمة. سمع نفسه يقول لمساعدته: "يمكنني التحكم والاتصال بمراقب الطائرة الإلكتروني المركزي". ورأى يديه

تضغطان على الأزرار الصحيحة على الشاشة أمامه حتى اختفت كلمات الإنذار الواضحة مع كل إجراء اتخذه، وهذا ما أعاد اللوحة خالية تمامًا. تولت خبرته في البرمجة زمام الأمور. عمل على الطيار الآلي؛ لكنه بقي مسيطرًا على الوضع. حسنًا، بالكاد بقي مسيطرًا.

قالت جو: "لا مزيد من المماثلة" - وسحبت المضيفين إلى المطبخ بعيدًا عن الركاب - "لقد ضللتما الحقيقة بقول بعض الأكاذيب، وأطلقتما جهاز إنذار الدخان اللعين. انكشفت الأكاذيب، لكننا لن ننجو من هذه المصيبة على هذا المنوال وبمفردنا. علينا الآن أن نقرر كيفية التعامل مع هذا الأمر، وماذا يتوجب علينا إخبارهم".

أيدها دادي قائلاً: "أوافقك الرأي، علينا المضي مع الحقيقة".

قالت جو: "بالطبع لا". وتبادرت إلى ذهنها صورة مؤلمة لسكوت عندما كان طفلاً رضيعاً وهو يرتدي لباس الأطفال اللطيف. ضمّ دادي يديه تحت ذقنه كما لو كان يصلي، أو ربما كان يمنع نفسه من صفعها، هذا ما بدا أنه يريد القيام به.

تحدث وهو يطبق فكيه بقوة: "جو، اشرحي لي ما الذي تفكرين به. لأن مئة وأربعة وأربعين شخصًا سيصدمون بهجوم من غرفة قيادة الطائرة، وهذا الأمر لن تكون نهايته جيدة، كما يحصل في الأفلام التي نشاهدها، أرى حشودًا غاضبة، أراهم ينقلبون علينا، أراهم يتولون زمام الأمور، أراهم يحاولون اقتحام غرفة القيادة".

أشارت جو إلى مقدمة الطائرة حيث باب غرفة القيادة المغلق، والمقاوم للرصاص.

قالت جو: "تعلمان أنه لا يمكن لأحد تحطيم ذلك الباب".

أجاب دادي: "أنا وأنت نعلم ذلك، لكنهم يجهلون الأمر، وسيحاولون. إذا أبقينا هذا الأمر سرّيًا عن الركاب وهاجمهم أحد ما، فلن يكون هناك أي احتمال في أن ينتهي الأمر بشكل جيد بالنسبة إلى أي منا".

"لكن ماذا سيحصل إن عرفوا أننا نعلم".

كرّر دادي بصوت أكثر ارتفاعاً: "ماذا سيحصل إن عرفوا أننا نعلم؟ جو، الطائرة مليئة بالأسرار. نحن نرفض الإجابة عن الأسئلة. هناك صورة انتشرت بسرعة خيالية عبر الإنترنت، أعتقد أن أمرنا قد فُضح".
"لكن عائلة بيل...".

لكم دادي طاولة المطبخ ما أخاف المضيفتين، ثم قال: "وماذا نحمل على متن هذه الطائرة برأيك؟ بضائع؟ جو، هناك أشخاص على متن هذه الطائرة، وكل فرد منهم لديه عائلة، لا يمكنك القول إن حياتهم ليست مهمة مثل حياة أفراد عائلة بيل".

ارتعدت شفتا جو بسبب الصمت الذي خيّم عقب انفجار غضب دادي، فهي تعلم أنه محق، تعلم ذلك منذ البداية، وهذا ما أشعرها بشيء من الرهبة، كانت تعلم أن الأمور ستصل إلى ما وصلت إليه، لكنها ستتحمل مسؤولية الأمر الآن. شعرت أنها إذا أخبرت الركاب بالحقيقة، فستكون هي من يختار وليس بيل، ستكون كمن يُفضل الطائرة على عائلته، شعرت أنها تنسحق تحت ثقل خيانة بيل وكاري وطفليهما، وأنها ستتحمل طوال حياتها وزر موتهم. تنفست بصعوبة في محاولة منها للتغلب على الثقل الذي يضغط على صدرها.

قال دادي: "جو فكّري في الأمر، لقد أخبرك بيل، في حين لم يكن يفترض به القيام بذلك، ولكنه يعلم أن واجباً أخلاقياً وليس قانونياً يُحتم عليه القيام بذلك، لقد أقدم على مخاطرة كبيرة، ولكنها مخاطرة محسوبة، والأمر مشابه بالنسبة إلينا، ولكن علينا أن نختار، فمن واجب بيل العناية بالطائرة، ومن واجبنا الاعتناء بالركاب".

فكّرت في ما قاله لها بيل: هذه مقصورتك.

قالت بهدوء: "هذه مقصورتنا".

أوماً دادي برأسه، ثم خيّم الصمت لبرهة، وفي غضون ذلك عرفت أنهما متفقان، وضعت جو رأسها بين يديها وتنفست بعمق ثم قالت عندما أطلقت زفيرها الأخير: "ليس عليهم أن يعرفوا ما يحصل على الأرض".

وضع دادي يده على كتفها، وربت عليها قبل أن يقول: "أتفق معك".
أخيرًا، تدخلت كيللي وعبرت عن رأيها: "هل أنا مخطئة أو أنه يجب ألا
نخبرهم أن الأوكسجين سينفد بعد اثنتي عشرة دقيقة؟".
أجاب دادي: "أرى أنه لا يجدر بنا أن نخبرهم بشيء لا نستطيع السيطرة عليه،
لا شيء عن الأوكسجين، ولا شيء عما يحصل على الأرض".
فكرت جو وقالت: "دادي، هذه هي الحقيقة. ما قلته للتو عن الأشياء الخارجة
عن السيطرة. هذا بالضبط ما يحتاجون إلى معرفته. يحتاجون إلى معرفة أنه لا
يوجد شيء يمكنهم فعله حرفيًا".

أكد طنين المحركات على وجهة نظرها، فقد ذكرها أنهم يحلقون في الجو،
وأن وضعهم سيء، عندما صعد الركاب إلى الطائرة، وضعوا حياتهم بين يدي بيل،
وعندها فقدوا السيطرة على كل شيء بمجرد أن حلقت الطائرة في الجو. سيقدر بيل
ما سيحصل للركاب الذين لا يمكنهم فعل شيء سوى الوثوق بالطيار الذي وعدهم
بإبقائهم آمنين وأنه سيهبط بالطائرة بخير وسلامة".

سألت جو: "أقول إنهم سيقتمون غرفة قيادة الطائرة؟ حتى إن استطاعوا،
فما الفائدة؟ لا أحد يستطيع أن يحلق بالطائرة". ثم انتظرت ردًا من أحدهم.

أدركت جو تمامًا كم هي الأمور خارج السيطرة، وأن أفضل فرصة للنجاة
تكمن في الوثوق ببيل. فتحت جو فمها وانفجرت غاضبة: "للقضاء على الإرهابي؟
خمنا ماذا سيحصل لو أنه لم يعد موجودًا؟ يجب أن يعلم الركاب والعالم أجمع ما
يمكن أن يحصل إن أصاب شيء ما بيل، أنت محق يا دادي، لم يعد الأمر يتعلق بنا،
فالجميع أصبحوا على اطلاع، والأمر لم يعد متعلقًا بالإرهابي، وبمساعده، وذلك
بسبب الصورة التي انتشرت عبر الإنترنت. لذا، يجب أن يعلم الجميع أن وثوقنا
ببيل هو الوسيلة الوحيدة التي تجعل الطائرة تهبط بسلام".

أوما بيغ دادي وكيللي مشيرين إلى أنهما يوافقانها الرأي. عرف الثلاثة ما
سيقولونه.

لكن هناك مشكلة واحدة لا تزال قائمة: كيف سيفعلون ذلك؟

كانت الطائرة أكبر من أن يقفوا في المنتصف ويصرخوا، لهذا السبب لن يتمكنوا من تقديم أي مساعدة شخصية للركاب. إذا ساروا صفًا تلو الآخر، فإن الارتباك والمعلومات الخاطئة من شأنها أن تنتشر من خلال هذا النوع من التواصل غير المنظم وستثير الشعور بالذعر. إذا كان لديهم أي أمل في استجابة الركاب الموحدة لمدى خطورة الوضع، فلن يأتي ذلك إلا نتيجة رسالة واضحة ومبسطة. لكن لم يكن لدى جو أي فكرة عن كيفية تحقيق ذلك.

أصدرت كيلبي صوتًا غريبًا ثم تنفست بسرعة.

بدوره أصدر بيغ دادي صوتًا بأصابعه أمام وجهها عندما بقيت صامتة وقال:

"يا جندب، هل لديك ما تقولينه؟".

نظرت كيلبي إلى الأرض قبل أن تنظر إلى بيغ دادي، وبدأت ملامح وجهها

مزيغًا من الحيرة والفضول الطفولي المفاجئ، ثم ابتسمت قبل أن تجيبه: "في الواقع، نعم. يا رفيقي، أنا أعرف بالضبط كيف يمكننا إخبارهم".

الفصل الثاني عشر

كان الضجيج في رأس ثيو أشبه بصوت الأبواق، يعلو تارة وينخفض تارة أخرى. اشتدت أوجاع جسمه مع ارتفاع الصوت. سمع صوت انبعاث بوق، وشعر بخفقان شديد داخل عينيه، لدرجة أنه شعر أن هنالك ألوانًا داخل عينيه المغمضتين.

أدرك أنه يواجه سطح الأرض بعد أن شمّ رائحة التراب الرطب. دغدغت رؤوس العشب البارد شفثيه عندما فتح فمه، وشعر باستحالة التنفس، ثم فتح فمه أملًا أن يكون ذلك كافيًا.

لماذا كان يتألم بشدة؟ أين هو؟ ولماذا وصل إلى هنا؟ جالت بخاطره أسئلة كثيرة، ولكن لم يبد أن أيًا منها مهم. ألم يكن من الكافي أن يظل ساكنًا مكانه؟ سيطرت عليه موجة من الألم نحت الأسئلة جانبًا - نعم - بدا أن هذا ما عليه فعله. ثيو.

سمع شخصًا ينطق اسمه، وتساءل عن مصدر الصوت. ثيو، ماذا يعني ذلك؟ سمع الشخص يكرر اسمه، لكن بشكل أقرب هذه المرة. ذكرته تلك الكلمة بشيء ما. شعر أن عليه معرفة الإجابة عن ذلك السؤال.

فتح عينيه، لكنه أغلقهما بسرعة. بدا الضوء الذي غمره وكأنه سيفصل داخله عن خارجه. بدأ يتفحص ما كان هناك في ظلام عينيه المغمضتين وهو مستلقٍ. هناك خطوط عريضة أشبه بالهولوگرام لما كان يراه في تلك اللحظة الوجيزة عندما سمح للعالم الخارجي بالدخول. رأى الناس يركضون نحوه، وسيارة إطفاء وقد أخرجت خرطومها، إضافة إلى أرجوحة تتدلى من شجرة محترقة.

أدرك أن الضجيج هو عبارة عن صافرة إنذار. وصلت سيارة الإطفاء لإخماد النار في المنزل. فجأة، عجب رأسه بالأفكار. أفكار متعلقة برجل الانتخابات، والعائلة، وخالته جو. اندفع كل شيء في الحال، واختفى ألمه كما لو أنه لم يكن يشعر به.

خاطبه أحد عملاء فريق الأسلحة والتكتيكات قائلاً: "لا تتحرك". انقلب ثيو إلى جانبه، ومع ذلك، استحال عليه أن يرفع جسده، فهو عاجز عن تحريك ذراعه. تمت العميل عند رؤية ذراعه اليسرى التي كانت تتدلى، ولا شك في أنها مخلوعة: "يبدو أنك أصبت، دع المسعفين يهتمون بأمرك".

"أنا بخير. ماذا حدث؟ أين هم العملاء...؟".
قاطعته العميل قائلاً: "إنهم بخير، طلبت منهم ليو الانتظار مكانهم بعد أن تدخلت".

"وهل خرج الرجل؟".

أجابت حركة رأس العميل على سؤاله.

غطى ثيو براحة يده السليمة وجهه، فلم يسبق له أن فقد أحدًا في مهماته، لا أحد من زملائه، ولا شخصًا بريئًا، ولا مطاردًا.

كانت خسارة الرجل حياته كافية لتدمره، ماذا كان سيحصل لو أنه لم تأمر ليو العملاء الآخرين بالتنحي؟ ماذا لو دخلوا لدعّمه ثم حدث هذا؟ كانت هذه هي المرة الأولى التي تسلك فيها وظيفته منعطفًا مأساويًا، وكان من الممكن أن تكون الأمور أسوأ. خلال التدريب، حدّثوا العملاء من هذا النوع من رد الفعل، ودرّبوهم على ضبط أنفسهم، وعدم الارتباط عاطفيًا بالمهمة. كما لو كان هناك مفتاح لإيقاف الجزء البشري منهم.

قال العميل الآخر: "لقد أتينا إلى هنا بأسرع ما يمكن، وفعلت أكثر من أي منا للوصول إليه وإلى عائلته. لا تلم نفسك يا ثيو.

نظر ثيو إلى الأعلى وأوماً برأسه، فهو لم يقنع بما قاله زميله، ولكنه أراد المضي قدمًا، أيًا يكن الأمر.

"ساعدني على النهوض".

سمع ثيو صوت طائرة من دون طيار، لكنه لم يعرها أي اهتمام، جلس ساكناً هناك على طرف سيارة الإسعاف. شاهد رجال الإطفاء وهم يحاولون إخماد النيران التي دمرت منزل عائلة هوفمان، المنزل حيث كانوا يأكلون وجبات العشاء العائلية، ويشاهدون الأفلام، وحيث أخذت الطفلة قيلولتها.

"ستؤلمك ذراعك جدًّا، هل أنت متأكد من أنك لا تريد أي مخدر؟".
أوماً ثيو برأسه.

اعتاد الأطفال قرع باب منزلهم الأمامي في عيد الشعنينة لأخذ الحلوى. في عيد الميلاد، اعتاد بيل أن يعلق الأضواء الاحتفالية داخل المنزل وخارجه.
"ها نحن ذا، عند العد إلى ثلاثة. حسنًا؟ واحد، اثنان...". أطبق ثيو فكّيه من الألم، لكنه لم يصدر صوتًا عندما أعاد المسعف مفصل كتفه إلى تجويفه، فتح عينيه وشاهد المنزل يحترق.

لم يكن منزلًا بل قبرًا. لقد قُتل سكوت، وكاري، وأليز، لقد كانوا أبرياء لا ذنب لهم إلا أنهم تواجدوا في المكان والزمان الخاطئين.

كان يفترض به إنقاذهم جميعًا، لكنهم أصبحوا الآن قتلى، لقد فشل فشلاً ذريعًا في أداء مهمته، اقتربت ليو من سيارة الإسعاف، وأقسم ثيو أنه رأى القلق يومض على وجهها، لكن تلك المعالم تلاشت بالسرعة التي أتت بها.

قالت وهي تنظر إليه من الأعلى إلى الأسفل: "أنت محظوظ لأنك لا تزال على قيد الحياة". التفتت إلى المسعف وسألته: "هل سيكون بخير؟".

أوماً برأسه قائلاً: "ربما أصيب بارتجاج في المخ، وهو يحتاج إلى إجراء صور بالأشعة السينية لذراعه. عدا عن ذلك، ليس هناك سوى إصابات سطحية".

أجابته: "رائع. هل يمكنك أن تتركنا بمفردنا قليلاً؟". أوماً لها برأسه وابتعد.
قالت ليو بصوت بارد ومنخفض: "لكنك وضعتنا جميعًا - والمهمة - في خطر".
حافظ ثيو على التواصل البصري، ولكنه لم يُجب.

"عد إلى المنزل".

حدّق ثيو إلى قدميه وقال: "أعلم أنني لم...".

عندها انفجرت ليو في وجهه غاضبة: "هذا غير مقبول"، ثم اقتربت منه خطوة كي يضطر إلى الجلوس.

"لم تكن مهنيًا منذ البداية. كنت عاطفيًا للغاية، ما كان يجدر بك أن تستمر في العمل. سمحت لمشاعرك بالتدخل وهذا ما جعلك تنهوس، وهذا ما يجعل منك عميلًا خطرًا، توجه إلى المستشفى ومنه إلى المنزل، لم يعد لك عمل هنا".
لم يعرف ثيو إن كانت تقصد بذلك هذه المهمة أو مسيرته المهنية. لكنه اختار البقاء صامتًا في كلتا الحالتين.

رفع العميل هاتفه فانحنت باتجاهه، ثم نظرت إليه منزعة.

قالت وهي تنتزع الهاتف من يده لإلقاء نظرة: "اللعنة، ما مقدار الضرر؟".

أجاب العميل: "لقد انتشر كالفيروس. حصلت جميع المحطات الإخبارية على الخبر".

"هل ذكرت العائلة؟".

يبدو ذلك، انتشر الخبر عبر وسائل التواصل الاجتماعي بشأن لوائح إدارة الطيران الفدرالية، وسادت الكثير من التكهنات حول السبب الحقيقي وراء إنزال الأقنعة. ولكن لم يكن هناك أي ذكر لواشنطن العاصمة، ولا عائلة هوفمان، أو حتى الهجوم بالغاز السام في المقصورة.

أدارت ليو الهاتف اتجاه ثيو، ونظر إلى الضوء الساطع، وما زال رأسه يعاني من آثار الارتجاج.

قالت ليو: "لقد كانت هناك على الهاتف صورة لذلك المشهور الزائف ريك رايان وهو يضع قناع أوكسجين مخصصاً للطائرات. ما خطب خالتك بحق الجحيم؟".

ضاقت عينا ثيو غضبًا وقال: "حسنًا، كنت لأسألك. لكنك أبعدتني عن المهمة؟".

حذق إلى وجهها دون أن يرمش. استفاد من قدرته على التواصل مع حالته حتى يتمكن من البقاء في هذه المهمة المحفوفة بالمخاطر. علم ثيو أن هنالك احتمالاً في أن يطرد من عمله، لكنه لم يكثرث لشيء في تلك اللحظة. الشيء الوحيد الذي شغل باله هو مساعدة الخالة جو.

تبادل ثيو وليو النظرات، انحنت ليو ببطء حتى أصبح وجهها على بعد شبر واحد من وجهه وهمست قائلة: "إذا تخطيت حدودك، وإذا عصيت أمراً واحداً، فسأستعيد شارتك في نهاية الأمر. أعدك يا ثيو. لن تعمل أبداً في مجال تطبيق القانون مرة أخرى"، ثم سألته وهي تميل رأسها بهدوء: "هل هذا مفهوم؟". أجابها: "نعم يا سيدتي".

فركت ليو عينيها، وشرعت تتحرك. وصل العديد من العملاء، ورفع ثيو إصبعه لمنعهم من الاقتراب. تجاهلتهم ليو على أي حال، واستدارت صوب المنزل المحترق وتأوهت، ووضعت أصابعها المتشابكة فوق رأسها وقالت: "هذا يغير كل شيء".

سرعان ما التفتت مخاطبة العملاء مباشرة: "هل وصل الإعلاميون؟".

أجاب أحد العملاء: "نعم يا سيدتي. لكن لم يكلمهم أحد بعد".

"حسناً، هذا جيد. إليكم التصريح الرسمي: لا يزال التحقيق جارياً، نتج الانفجار عن تسرب غاز". أوماً العملاء برؤوسهم. ثم سألت: "هل أصدرت شركة كوستال بياناً حول صورة القناع؟ هل أقروا بأي مشكلة في الرحلة؟". "لا".

أبلغ مكتب التحقيقات الفدرالي شركة الطيران، وإدارة الطيران الفدرالية، ومراقب الحركة الجوية بالوضع، لكنه طلب الانتظار حتى يتم إغلاق المجال الجوي، وتدبر أمر الطائرات التي تحلق في الأجواء، وإغلاق المطارات. سيكون الرد العام المدعور على هذا النوع من التهديد مدمراً، فيمكن تجنب كل ذلك إذا قام مكتب التحقيقات الفدرالي بتأمين عائلة هوفمان. كانت جميع الوكالات - بما في

ذلك المسؤولون على الأرض في واشنطن - على استعداد لتطبيق بروتوكولات الإخلاء والدفاع في أي لحظة، لكن تم الاتفاق على أن الخيار الأكثر حكمة هو منح مكتب التحقيقات الفدرالي وقتًا للعثور على العائلة.

قالت ليو: "ومع ذلك، مات أفراد عائلة الطيار الذي يعمل تحت التهديد، ولا يمكننا معرفة حالته الذهنية، كذلك قُتل مدني بريء لا علاقة له بالأمر، هل تعرفنا إلى هويته واتصلنا بالعائلة؟".

مشى أحد العملاء مبتعدًا وقال إنه سيتولى الأمر. تنهدت ليو ووضعت يدها على وجهها قائلة: "ثيو، تواصل مع خالتك على متن الطائرة، أريد أن أعرف إن كان الطيار يعرف بما حصل لعائلته، وأريد أن أعرف ما الذي ينوي فعله".
أوماً ثيو برأسه، وأخرج هاتفه.

تابعت: "أريد أن تخرج وحدتا برافو، وتشارلي من هنا. يبدو وجودنا مريبًا، وأرغب في تجنب الأسئلة إذا استطعنا. اجتمعوا في مكان قريب من هنا، ربما اضطررنا للتحرك، ولكن لا أريد أن يصورنا الصحفيون".

توقفت عن الكلام وهي تلقي نظرة على المنزل.
"لا نعرف ما الذي نبحث عنه الآن بعد أن قُتل أفراد العائلة. يتعلق الأمر أكثر بالأمن الوطني، مراقب حركة الطيران، ومكتب التحقيقات الفدرالي على الساحل الشرقي. ولكن لدينا الكثير من القطع التي علينا جمعها أولاً ونحن لا نعرف شيئًا على وجه اليقين".

أخرجت ليو هاتفها. راقبها ثيو وقد لاحظ أنها مترددة في الضغط على الأزرار، فقد علم أنها على وشك إجراء المكالمة إلى الشرق لإخبارهم بأنها فشلت؛ لقد قُتلت الأسرة ولم يتبَّه التهديد. بعد المكالمة ستبدأ عمليات إخلاء جماعية في أهم المؤسسات ذات الرمزية في البلاد. ستم حماة أولئك الذين يتمتعون بالسلطة، وسيُجبر المدنيون الأبرياء على الفرار. سينتشر الرعب والفوضى العارمة في عاصمة الأمة. لقد لاحظ ثقل حمل إجراء المكالمة عليها.

استوعب ثيو الآن لم بدت غاضبة للغاية في مكتبها. أيا كان هذا الموقف، فقد وقعت المسؤولية عليها. اقترب قائد الإطفاء من المجموعة، وتوقفت ليو عن ضغط الأزرار، ثم وضعت هاتفها في جيبتها، وقد بدت أكثر ارتياحًا. نزع رجل الإطفاء قبعته ومسح جبينه بظهر ساعده، فانهمر العرق من وجهه على بذلته.

"سنسيطر على النيران في غضون ساعة".

شكرته ليو وسألته: "متى سيصبح من الآمن لنا أن نبدأ بعملية الاستعادة؟".

رفع رأسه وأجاب: "ما الذي تريدون استعادته؟".

"متى يمكننا استعادة الجثث للتعرف إليها؟".

ضاقت عيناه وبدا من ملامحه أنه لا يعلم ما الذي تسأل عنه، ثم قال: "ليس

هناك من جثث سوى جثة الرجل الذي كان أمام الباب، لقد كان المنزل فارغًا".

الفصل الثالث عشر

توهج الأفق الشرقي باللون الياقوتي الداكن، حيث تلاشى اللون الأزرق في الوقت الذي اختفت فيه الشمس أسفل العالم خلف الطائرة. كان المنظر من غرفة القيادة أشبه بالنظر فوق سطح بحيرة هادئة؛ حيث انعكست أضواء المدينة في الأسفل كما تنعكس أضواء النجوم على سطح بحيرة.

استمع بيل إلى صوت الهواء الخالي في سماعته عندما بدأ يشعر بالانفصال عن كل شيء آخر في العالم، لم يكن هناك أي شيء.

جالت عيناه في أرجاء غرفة القيادة وقد علت وجهه الحيرة:
"ما صوت النقر هذا؟".

توقف بيل للاستماع، وحقق الرجلان إلى بعضهما في صمت.

قال بيل ممسكًا بقلمه: "نعم، آسف. لقد نقرت به عدة مرات. إن هذه النقرات تحمل زوجتي إلى الجنون".

ضحك بن، وأعاد القلم إلى جهازه اللوحي.

نظر بيل إلى حاسوبه، ثم إلى هاتفه. لم يعد يدرك عدد المرات التي فعل فيها ذلك. لم يصل حتى الآن أي خبر من عائلته. بعد ذلك، أضاء هاتفه معلناً وصول رسالة نصية.

رسالة من غاري روبنسون

تنفس بيل بارتياح، لم يكن يهتم بما يريد جاره لذا تجاهل الأمر. بعد أن نظر إلى ساعته، قرر بيل أن يلعب لعبة.

لقد كانت لعبة اخترعتها كاري عندما بدأ في المواعدة، وحينها كانت تعيش في شيكاغو. أخبرته أن العالم كان سامياً عندما يكونان معاً، ولكنها تشعر باليأس عندما

يسافر. لطالما وجدت نفسها تفكر في عدد المناطق الزمنية التي تفصل بينهما، وهذا ما يشعرها أن بيل بعيد، لذلك ابتكرت هذه اللعبة حيث كانت تفكر في مكانه أو ما الذي يفعله بما يتوافق مع المنطقة الزمنية التي يعبرها، ستفكر عندما تكون الساعة الثامنة مساءً، إنه وقت العشاء، ومن المحتمل أنه في مكان ما فوق جبال روكي، والقمر بدر، وتراهن أن الثلج على الجبال يلمع تمامًا. في مكان ما، لن يشعر بيل بالبعد.

ظنّ أن اللعبة سخيقة، لقد استخدم الجهة اليسرى من دماغه، لكنها استخدمت الجهة اليمنى، لذا، فإن إعادة تصور الطريقة التي تسير بها الأمور بشكل إيجابي لم يكن خيارًا متاحًا بالنسبة إليه. يمكن للوحدة أن تشني من عزيمة الرجل بطرق غير متوقعة. ذات مرة، ومع أن الوقت كان متأخرًا في هونولولو، لم يستطع بيل النوم، كانت تفصله عن كاري أربع مناطق زمنية، وكانت الساعة لديها السابعة صباحًا، تخيلها ممتددة على السرير، وهي ترتدي قميص بيسبول جامعة إنديانا ويسليان القديم الفضفاض الذي اعتادت ارتدائه وقت النوم، وكان يعرف أنها ستنهض، وستحضر القهوة على الفور أثناء استماعها إلى الأخبار عبر الراديو، لطالما اختارت الكوب الوردية الذي عليه الكلمات (أوه لا لا) بخط متصل تحت برج إيفل؛ إنه كوبها المفضل. اعتادت تحضير القهوة بالقشدة فقط ومن دون سكر. تقلّب في سريره ثم وضع الوسادة تحت ذراعه ونام.

منذ ذلك الحين، لم يكفّ عن لعب هذه اللعبة.

تفقد ساعته؛ كانت تشير إلى الخامسة والسبع والثلاثين دقيقة في لوس أنجلوس. في هذا الوقت، ستكون كاري... كان الأمر أشبه بالتحديق إلى ورقة بيضاء. لم يستطع فهم ما كانت كاري تفعله وكل محاولة لتخيل الأمر قادت إلى صورتها وهي تصرخ من العذاب والألم اللذين يذيقها إياهما ذلك الرجل الغريب في منزلهم. أغمض عينيه باحثًا في الظلام عن عالم لا يحدث فيه هذا، عالم رفض فيه الذهاب في الرحلة، حيث اختار أن يكون أبًا وزوجًا صالحًا على أن يكون طيارًا، عالم حيث كان أفراد عائلته يعيشون يومهم بشكل طبيعي.

شعر بضيق في صدره.

تشير الساعة الآن إلى الخامسة والسبع والثلاثين دقيقة في لوس أنجلوس، كان من المفترض أن يكونوا في مباراة سكوت لليسبول.

أضاء هاتفه مرة أخرى في إشارة إلى وصول رسالة جديدة. عبس بيل وقال في نفسه: "رسالة أخرى من جار آخر؟". حينها سارع لفتح الرسائل.

يا صديقي هل أنت تحلق بالطائرة في الجو؟ هل كنت في المنزل؟
اسمح لي أن أعرف إذا كان بإمكانني تقديم أي مساعدة.

مرحباً بيل أنا بات. رأيتك تغادر هذا الصباح، أعتقد أنك على متن الطائرة الآن. هل تعلم أين كاري والطفلان؟ هل هم بخير؟ يا إلهي هذا جنوني.

أرجوك أن تطمئنني عنك، أنا وستيف هنا ومستعدان لتقديم أي شيء تحتاجون إليه، رجاء قل لنا كيف يمكننا المساعدة.

المساعدة؟ ما الذي يتحدثان عنه؟ شعر بالذعر يسري في جسده، تجوّل إبهامه فوق لوحة المفاتيح الصغيرة، وومض مؤشر الانتظار؛ عليه أن يكون حذراً.
غاري أنا أحلق بالطائرة حالياً، ما الأمر؟

سيزوده غاري بالحقائق، ستزوده بات بالشائعات، ظهرت ثلاث نقاط على الجانب الآخر من نص غاري. لقد أجابه بسرعة.

حسناً، هذا صعب يا رجل. هل سمعت عما جرى في منزلك؟
لم يستطع بيل الشعور بأصابعه وهو يسأل جاره عما حصل؛ عما عناه بقوله ذلك.

انفجر المنزل، صرّحوا أنه تسرب غاز، أين كاري والطفلان؟
نظر بيل إلى الرسالة لوقت طويل من دون أن يتحرك، لدرجة أن شاشة هاتفه أغلقت بمفردها، انزلق الهاتف من بين أصابعه، وسقط في حجره؛ لم يتمكن من التحرك.

كانت كاري، سكوت وأليز حياتهم كلها. لقد تدمر عالمه بأكمله. تصور منزلهم من الداخل: طاولة المطبخ، حيث قرأ الصحيفة في الوقت الذي كان فيه سكوت يتناول رقائق الأرز المقرمشة، وغرفة الطفلين حيث بقي يهز أليز إلى أن خلدت للنوم، وغرفة الجلوس حيث زينوا شجرة الميلاد، وغرفة نومهما حيث انحنى جسد كاري إلى جانبه ولا مسه خلال الليل. لقد حاول أن يتخيل هذا العالم وهو يحترق ويتناثر إلى أجزاء صغيرة. حاول جعل عائلته تختفي من ذاكرته، لكن لم يسمح له عقله بذلك. لم يكن ذلك ممكناً، لا يمكن أن يكون صحيحاً.

تخيل كاري مكمة وهي ترتدي السترة الناسفة ممسكة بسكوت وأليز. شعر بيل بالغثيان عندما أدرك أن هذه هي الصورة الأخيرة التي ستبقى راسخة في ذهنه عن عائلته طيلة حياته. لقد عاشوا حياة مفعمة بالحب والفرح، وعلم أنه سيركز على تلك اللقطة النهائية لبقية حياته، كان ذلك خطأ، حيث فشل بيل كزوج، وأب، وحام.

شعر أنه على وشك التقيؤ، ولكنه تشبث بكيس القمامة عندما ظهرت صورة لزوجته على شاشة حاسوبه مرفقة بالكلمات (قبول مكاملة فيديو من كاري). حدّق بيل إلى الشاشة مصدوماً قبل أن يضغط على الزر الأخضر.

جالت عيناه ذهاباً وإياباً عبر الشاشة، وشعر برغبة جامحة في قبول الاتصال: "يا إلهي، هل هم أحياء؟ أرجوك يا إلهي. أرني عائلتي". أبعاد وجهه عن الشاشة عند قبوله المكاملة، وظهر أفراد عائلته الثلاثة جميعاً في وسط الشاشة، إنهم أحياء. قرص ساقه بأقوى ما يستطيع ليمنع نفسه من البكاء.

لا يزال سكوت وكاري مقيدين لكنهما لم يعودا مكممين، وقد وقف سام بجانبهما ممسكاً بالمفجر. لا تزال كاري ترتدي السترة الناسفة، وكانت تحمل كاري، لذلك لم يستطع معرفة إن كانت ذراعها بخير بعد أن انسكب عليها الماء المغلي، لكنها بدت على ما يرام.

إنهم أحياء، شعر بيل بموجة من الراحة تجتاحه، لذا دفع نفسه إلى التركيز في المشهد.

أين كانوا؟ كان المكان مظلمًا بشكل لا يُصدق. إلى جانب الضوء الخافت خارج الشاشة على يسارهم، كان انعكاس التوهج المنبعث من الهاتف على وجوههم هو الضوء الوحيد في المكان. إنهم يجلسون في غرفة صغيرة بالقرب من بعضهم، ختم بيل من وضعية جلوسهم أنهم يجلسون على الأرض وليس على الكراسي.

صاح صوت سام من خلال السماعية في أذن بيل: "يا للأسف!". بدا الصوت أعلى مما كان عليه، فالصوت يتضخم عند الجلوس في مكان مغلق مثل سيارة. "بيل، ما كان يجدر بك القيام بذلك".

كتب بيل ردّه بعصبية: "القيام بماذا؟ هل وصلك الفيديو؟ فعلت بالضبط ما طلبت مني".

ضحك سام عند تلقيه البريد الإلكتروني وكتب: "لقد حصلت على الفيديو، لكنني أخبرتك أنه لم يكن مسموحًا لك أن تخبر طاقم الطائرة". صدم بيل، لكنه احتفظ ببرودة ملامح وجهه بينما حاول فهم ذلك التصريح. كيف عرف أنه أخبر الطاقم؟ هل عنى ذلك معرفته بابن أخت جو ومكتب التحقيقات الفدرالي؟ لهذا السبب غادروا المنزل؟ لماذا فجّره؟

تحدث سام بثقة: "شعرت بخطب ما بعد أن أرسلت الفيديو، بشيء ما لم يكن على ما يرام. وبالتأكيد...".

بحث سام على شيء ما على هاتفه قبل أن يمسكه ويوجهه للكاميرا. حدق بيل ليرى ما كان على الشاشة. بدا أن تلك صورة لمسافر من الدرجة الأولى على متن خطوط كوستال الجوية للطيران حيث تناقضت ألوان الكرسي الجلدي ذي اللون العاجي والإضاءة الوردية مع اللون الأصفر المرعب لقناع الأوكسجين الذي غطى وجهه.

أغمض بيل عينيه محاولاً ربط الأمور، لقد أنزلوا الأفنعة، لكن من الواضح أن أيًا منهم لم يأخذ في الحسبان استخدام أحد الركاب للإنترنت.

في الواقع، أصابه شعور غامر في أنه قد يكون لديهم... لكنهم لم يتمكنوا من قطع الإنترنت لأن بيل احتاج إلى التحدث إلى عائلته. لكن بطريقة ما، كان يدمر كل شخص وكل شيء من حوله.

قال سام: "لقد توقعت أن تكون متعجرفًا، لهذا السبب ذهبت أنا وعائلتك في رحلة برية صغيرة".

رحلة برية.

حسنًا، لقد كانوا في سيارة، حاول بيل تذكر إن رأى عربية مغلقة تقف خارج منزلهم عندما غادر المنزل متوجهًا إلى المطار في ذلك الصباح، لكنه لم يتذكر شيئًا. ربما كانوا في سيارة كاري ذات الدفع الرباعي الكبيرة التي اشتريها العام الماضي بعد أن اكتشفا أنها حامل بطفل جديد. يتم طي الصفيين الخلفيين بشكل مسطح، ربما كانوا في الجزء الخلفي من السيارة.

تابع سام: "لا أعلم من يعرف الآن غير طاقم الطائرة، ولكن أيًا كان من أرسلته إلى منزلك، آمل أنك لم تحبه كثيرًا. أتعرف ماذا؟ انتظر لحظة".

اهتزت الشاشة، وهو يسلم كاري هاتفها لتمسك به، وضغطت أصابع يده الحرة على الأزرار من تلقاء نفسها. نظرت كاري إلى شاشته، وهي تراقب كل ما كان يبحث عنه. بدأ صوت بالتحدث ولهت كاري.

"... أنا هنا أمام المنزل الذي دمر بالكامل في الانفجار كما ترون. وتقول السلطات إن الانفجار ناجم عن تسرب في الغاز، ولم يخبرونا ما إذا كان أي شخص بالداخل وقت الانفجار. لكن لحسن الحظ، يبدو أن شخصًا واحدًا قد...".

رفع سام الفيديو ليراه، في حين حارب بيل الرغبة لتغطية فمه. وقفت المراسلة في شارعهم وخلفها شريط تحذير أصفر. ما وراء ذلك كان منزلهم أو يمكننا القول ما بقي منه.

نظر بيل إلى الحطام محاولاً تمالك نفسه عندما أدرك الحقيقة الموحشة تمامًا.

لم يكن هناك احتمال في أن هذا الرجل كان يخادع. علم بالضبط ما سيفعله، ولم يكن هناك شك في ذهن بيل أنه سيقتل عائلته إذا لم يمثل لمطالبه. بدأت كاري تنسج.

خاطبها سام: "أحقًا؟ لقد كنت قوية بشكل مدهش. هل ستنهارين الآن بسبب منزل وربما بعض الأشخاص؟". هزّ رأسه وتابع: "كيف ستعيشين مع نفسك بعد تحطم طائرة مليئة بالناس حتى تتمكني أنت وطفلك من العيش؟". انهمرت الدموع على وجه كاري وهي تنظر إلى السقف.

ضحك سام وأضاف: "هذا على افتراض أن بيل سيفضلكم على الطائرة"، هز كتفيه بلا مبالاة وتابع: "ربما لا ينبغي عليّ أن أفترض. دعينا نتأكد. هل حددت خيارك أيها القبطان؟".

كتب بيل بغضب وهو يشاهد الرجل يتلقى ويقرأ البريد الإلكتروني باهتمام. قال سام بصوت عالٍ: "لن أدمر هذه الطائرة، ولن تقتل عائلتي...". ما خطب الرجال الأميركيين؟ لماذا تنظرون إلى أنفسكم دائمًا على أنكم أبطال؟ لماذا تريدون دائمًا القيام بالأشياء بالطريقة الصعبة؟، تنهد وتابع: "حسنًا، افعل الأمور بطريقتك".

بدأ سام الكتابة على هاتفه وقد وضع المفجّر بين أصابعه والجهاز، في حين كانت كاري تنظر إلى بيل وقد بدت مرعوبة.

تحدث وهو لا يزال يعمل على هاتفه: "بيل، أخبرتك أنه عليك أن تختار. أخبرتك أن هناك أشياء على متن الطائرة من شأنها أن تنقذ عائلتك. أخبرتك أيضًا أنه لا يُسمح لك بإخبار أحد، افترضت أن هذا التهديد سيكون كافيًا، لكنني أعلم أيضًا أن متغطرًا ومتعاليًا مثلك سيعتقد أنه يستطيع إنجاح ما يريد. لقد اتضح أنني كنت محقًا. لذا، سأكون صريحًا معك؛ لا أستطيع قتل أفراد عائلتك الآن، فأنا

بحاجة إليهم، وسأترك هذا الخيار النهائي لك. لكنك خالفت القواعد، وخبمن ماذا؟ الأفعال لها عواقب. لقد أرسلت السلطات إلى منزلك لذلك فجّرتة، لقد أخبرت طاقمك...". نظر إلى هاتفه وتوقفت أصابعه عن الكتابة مؤقتًا محددًا في الكاميرا وتابع: "حسنًا، سوف نعود إلى ذلك".

شعر بيل بقشعريرة تمتد صعودًا من يده إلى مؤخرة عنقه وكأنها إبر من جليد. استأنف سام الكتابة، ثم وضع الهاتفف وابتسم بتعجرف مضيّفًا: "أجبرني رفضك التعاون على ذلك. حان وقت الخطة ب".

شعر بيل بتسارع ضربات قلبه، وشعر بالتوتر لسماعه الأصوات القادمة من المقصورة، منتظرًا أن تصدح تلك الصرخات المكتومة. صوت انفجار، ذعر وفوضى. شيء ما، أي شيء. لكن كل ما سمعه كان صوت هدير المحركين. ثم سمع صوتًا عاليًا لدرجة أنه كاد يقفز من مقعده؛ كان ذلك صوت مسدس ذي فوهة واحدة بالتأكيد. استدار بيل ببطء نحو مساعده.

قال بن: "أنا آسف أيها القبطان"، و صوب المسدس نحوه.

الفصل الرابع عشر

وقف ثيو والعملاء الآخرون على الرصيف المقابل لمنزل عائلة هوفمان، الذي كانت النيران لا تزال مندلعة فيه. ارتفعت عوارض هيكلية وحيدة من الأساس هنا وهناك. توهج الجمر بالداخل من الأخشاب المتآكلة. في ضباب الساعة الذهبية أواخر الخريف، بدا المنزل وكأنه على قيد الحياة على نحو غريب. مثل الوحش المصاب الذي يزفر أنفاسه الأخيرة: تصاعد الدخان الأسود وتلاشى في السماء.

دوى صوت قوي من مكان ما بين الأنقاض، استدار الجميع، فرأوا المنزل يتحول إلى قطعة متفحمة، بقيت ليو ساكنة مكانها. سألت رئيس الإطفاء: "ماذا عن السيارات؟". أجب: "وجدنا المرآب فارغًا".

مكتبة
t.me/soramnqraa

عصّت ليو على خدها من الداخل وقالت: "امتلكت العائلة سيارتين. غادر بيل مستخدمًا إحدهما إلى العمل، بينما الأخرى... "قطقت براجم أصابعها وتابعت "يجب التحقق من قاعدة البيانات، وأصدر تحذيرًا على مستوى المدينة بشأن السيارة، ويبدو أن الأولوية هي لسيارة العائلة. عربية صغيرة أو سيارة رباعية الدفع".

أوماً العميل الذي وقف إلى جانب ثيو ومضى مبتعدًا، وهو يضغط على الأزرار الموجودة على الجهاز. عادت ليو إلى رجل الإطفاء وسألته: "هل وجدتم أي معدات سلكية؟ أو أي شيء بدا في غير محله في المنزل؟".

نظر رجل الإطفاء إلى المنزل وقال: "سيدتي، كان الحريق قويًا، لا أعرف ماذا أقول لك. هذا المنزل هو طريق مسدود لن نعثر فيه على أي دليل".

أومأت ليو برأسها شاكرة إياه وهو يغادر.

سمع ثيو صوتاً من خلال سماعة أذنه: "سيدتي، لقد تلقينا ردًا من شركة الكوم. ليس هناك سجل بزيارة خدمية لعائلة هوفمان لهذا اليوم. كما أنه ليس لديهم أي موظفين ذكور تبدأ أسمائهم بالحرف س. وجميع سيارات سيارات الشركة في المرآب".

تساءل ثيو، وهو يراقب فك ليو ينقبض، إذا كان بقية العملاء قد شعروا أيضًا بالحاجة للابتعاد عنها.

خاطبت العميلين اللذين سارا باتجاهها: "أخبراني أنكما وجدتما شيئًا".
أجابها أحدهما: "لا معلومات جديدة. لدى اثنين من الجيران كاميرات مراقبة، لكنها لا تغطي عقار عائلة هوفمان".

صرحت غاضبة: "يعني ليس لدينا اسم أو موقع أو وصف للمشتبه به".
بقي الجميع صامتين.

"إذا علم الطيار أن هذا الرجل فجر منزله - لنفترض أنه علم ذلك - فلا بد له أنه يخاف. ذلك ليس بلغز، أعني...".

أشارت نحو المنزل، ثم التفتت نحو الفريق وقالت: "أريد أن أعرف المزيد عن الطيار. من هو؟ ولماذا يجب أن نثق به؟ أولويتنا هي للعائلة، لكن لدينا طائرة كاملة مليئة بالأشخاص الذين يجب التفكير فيهم أيضًا، ناهيك عن العاصمة واشنطن".

نظرت ليو إلى أسفل الشارع إلى حيث تجمع الصحفيون. نظرت حولها إلى مجموعة العملاء المجهزين بكامل عتاد فريق الأسلحة والتكتيكات، ثم ألقت نظرتها على ثيو. راوده شعور عميق أنه يعرف إلى أين ستقود هذه النظرة. خاطبته وهي تومئ باتجاه المراسلين: "تعامل معهم".

اصطفت خمس عربات تعود لوسائل إعلام في الشارع على الجانب الآخر من شريط التحذير الأصفر الذي أحاط بالمكان. مالت جميع أطباق الأقمار الصناعية الموجودة أعلى العربات بزواوية واحدة، وفتحت الأبواب الجانبية لكشف لوحات تحكم متشابهة.

لم تكن هذه المرة الأولى التي يستلم فيها ثيو زمام الأمور للتحديث باسم التحقيق بشكل رسمي - لكنها كانت المرة الأولى التي يكذب فيها بشأن أحدهم. سأل أحد المراسلين متشككاً: "تسرب غاز؟ لماذا لم تخلوا باقي الحي؟". أجاب ثيو محاولاً أن لا يرمش بعينه: "أكدت شركة أوجي أند إي أن تلك كانت حادثة فردية". كان التعامل مع أضواء الكاميرات صعباً للغاية لأنه يعاني من ارتجاج في الدماغ.

سأل مراسل آخر مستبقاً دوره: "لماذا كان عناصر مكتب التحقيق الفدرالي في مكان الحادث عندما وقع الانفجار؟".

"جننا استجابة لتقرير مفاده أن عامل توصيل كابلات التلفاز قد قطع خط غاز بالخطأ. أتينا إلى هنا في الحال من باب الحذر والاحتياط".

"ولكن فريق الأسلحة والتكتيكات؟ و... أشار المراسل إلى ذراع ثيو المصابة المربوطة إلى جسده في حمالة.

أجاب ثيو وهو يلقي نظرة خاطفة من وراء كتفه إلى المنزل: "أشعر أنني محظوظ للغاية".

"هل أصيب أي شخص آخر؟ هل كان هناك أحد داخل المنزل وقت الانفجار؟". اختار ثيو الإجابة بطريقة سياسية وقال: "لا يزال التحقيق جارياً، ولا أملك صلاحية الإدلاء بأي معلومات". بذل قصارى جهده قد لا يبدو متعاطفاً. تكلم بسرعة قبل أن يتمكن أي شخص من طرح سؤال آخر. "سيداتي وسادتي، شكراً جزيلاً لكم. هذا كل ما لدينا من معلومات في الوقت الراهن، سأطلعكم على أي معلومات جديدة حال توفرها".

التفت وانحنى تحت الشريط الأصفر مغادرًا.

"العميل بالدوين؟".

وقفت إحدى الصحفيات جانبًا، بينما غادر الآخرون عائدين إلى عرباتهم. سار ثيو بشكل طبيعي محاولًا عدم جذب أي انتباه. كانت تلك فانيسا بيريز من محطة سي أن بي. لطالما نظر إليها بصفتها مراسلة محترفة تنقل الأخبار بنزاهة، وليست مجرد شخص أراد أن يظهر ببساطة على التلفاز بغرض الشهرة. سألته: "تسرب غاز؟".

لم يجب، ولم تتغير تعابير وجهه.

كررت مرة أخرى وهي تومئ برأسها: "بالطبع إنه تسرب غاز، ولكن...".

مدت يدها، وناولته بطاقة عمل مطوية بين السبابة وإصبعها الوسطى وقالت: "احتفظ بها في حال قررت أن تغير أقوالك".

بقي ثيو جامد الملامح، ووضع البطاقة في جيبه من دون أن ينبس ببنت شفة، وابتعد.

قال العميل روسو عند اقترابه من ثيو: "تريد ليو التحدث إليك".

فكّر وهو يبحث في الأرجاء عن رئيسه: "ربما سأطرد اليوم مرتين". اتجه إليها فأراها بمفردها تجري مكالمة هاتفية في الشارع، فتفقد بدوره هاتفه. حمدًا لله، أخبرهم رئيس الإطفاء أن المنزل كان خاليًا قبل أن تتصل ليو بواشنطن للإخلاء، وقبل أن يتمكن ثيو من إرسال رسالة نصية إلى خالته جو يخبرها فيها أن عائلة بيل لقبت حتفها. يمكن لمثل هذه المعلومات المضللة أن تكون كارثية. لم يُظهر هاتفه أي رسالة جديدة من خالته، وفتح ملف الرسائل للتأكد من أن جميع رسائله قد وصلت إلى المرسل إليهم. لم يكن لديه خيار سوى الانتظار. أدرك متوترًا أنها ربما كانت مشغولة بالاستعداد للهجوم الكيميائي.

كان الوضع سريلانديًا بدرجة كافية، لكن في تلك اللحظة بالتحديد، واجهت حالته صدمة من نوع آخر. عملت جو في مجال الطيران منذ زمن، وعرف من القصص التي روتها على مر السنوات كل الأشياء المجنونة التي رأتها. لكنها لم يسبق أن أخبرته عن وضع مشابه.

عندما كان ثيو في السادسة من عمره، وضعت والدته وشقيقته الصغيرتين في السيارة ذات ليلة، وقادت مبتعدة عن والده والمنزل الوحيد الذي عرفه في حياته. لم يفهم ما يحدث، لكن شيئًا ما أخبره أنهم لن يعودوا إلى هناك أبدًا، ولم يعد إلى تكساس حتى يومنا هذا.

في تلك الليلة، قادت والدته إلى كاليفورنيا حيث عاشت أختها الوحيدة جو. في ذلك الوقت، كانت حاملاً بواید، وبعد عامين سيولد ديفون. بحلول ذلك الوقت، استقر ثيو وعائلته في منزل تفصله أربعة منازل عن منزل الخالة جو. لقد كان الابن البكر، ولأنه لم يكن في حياته شخص بمثابة الأب فقد أخذ على عاتقه مسؤولية تأدية هذا الدور. حتى العم مايك زوج الخالة جو، بدا وكأنه يعتبره نظيرًا له وليس طفلًا.

كل ليلة، كان مطبخهم يضحج بأصوات أولاد الأسرتين؛ صدر أزيز حار من الموقد، كانت هناك علب صودا تُفتح، بعد أن وافقت والدتهم على ذلك، رويت قصص لما حدث في ذلك اليوم في المدرسة أو في العمل. لطالما روت جو أفضل القصص. إنها راوية بالفطرة، وعرفت دائمًا كيف تخبر القصة بتشويق.

ستبدأ حكاياتها بطريقة عادية، وبعد دقيقتين كانت الشوك المحملة بالسباغيتي تحوم فوق الأطباق أمام أفواهنا، بعد أن ننسى أن ننسى تناول الطعام من شدة تأثرنا بالحكاية.

لم يستطع ثيو الانتظار لسماع كيف سيروي هو وجو قصص هذا اليوم لعائلتهما، فقصص هذا النهار ستروى يومًا بعد يوم طوال الفترة الباقية من حياتهما، سيُجيدان روايتها لدرجة أنهما سيصلان إلى النقطة التي يتشاركان فيها وجهة

نظرهما والأحداث من دون سابق اتفاق. سيكون ذلك أسطوريًا.
هز رأسه مؤكدًا لنفسه أن المستقبل سيكون بهيجًا.
"ثيو".

أسرع أحد العملاء نحوه، ليخبره أن شرطة لوس أنجلوس رصدت سيارة عائلة هوفمان ذات الدفع الرباعي في منطقة نائية.

رفع ثيو قبضته السليمة وصرّح: "سأخبر ليو".

أولت ليو ظهرها لثيو من دون أن تدرك وجوده، لم ينتظر أن تنهي المكالمة ليخبرها بالأنباء السارة. كان هذا مهمًا للغاية، وهي لن تمنع أن تقاطع لتسمع هذه الأخبار، تمكن ثيو من سماع ما تقوله.

قالت: "نعم يا سيدي". صممت، ثم تابعت، "أنا أفهم ذلك، وأوافقك الرأي. إنها العاصمة واشنطن ويُحتمل أن يكون البيت الأبيض هو المستهدف، نحن نتحدث عن سلامة رئيس الولايات المتحدة. أعتقد أننا بحاجة إلى البدء في التفكير بجدية تامة على غرار البروتوكول الثانوي". توقف ثيو عن التقدم نحوها.

في مثل هذه الحالة، لم يكن هناك سوى خطة طوارئ واحدة وهي أحد أسطر البروتوكول الثانوي.

إذا لم ينقذ مكتب التحقيقات الفدرالي الأسرة سيُسقطون الطائرة.

الفصل الخامس عشر

ركلت قدما بن الغبار البني الذي تشبث بهواء العاصفة الكثيف، ومسح عرق جبينه بكم قميصه وهو ينظر إلى غروب الشمس، ويركض بأسرع ما يمكن. استغرقت فروضه المنزلية وقتاً أطول مما توقع، لم يحظْ بوقت كافٍ حتى لتناول العشاء، أصدرت معدته أصواتاً وهو يسرع الركض، لكنه لم يهتم، لقد تأخر وهو يأمل أن لا يكون الأوان قد فات.

أغلقت معظم المتاجر أبوابها باكراً اليوم، وكانت المنازل مظلمة، لقد ركض وسط الشارع، فلم يكن هناك سيارات تعبره، لم يكن هناك أناس أيضاً، فقد تجمع معظم أهل القرية التي تقع شمال شرق سوريا في المقهى، لقد أسرع الخطى، وعندما انعطف عند ناصية الشارع، رأى أشخاصاً يقفون في الخارج، لأنهم لم يعثروا على كرسي في الداخل، اكتظ المقهى بالناس، وكانت الحماسة بادية من خلال الهمهمة المنتشرة بين الحشد.

خيّم الترقب على المشهد، كما هو الحال دائماً في المناسبات النادرة المميزة التي يستضيفها هذا المقهى الصغير.

شق بن طريقه عبر الحشد إلى داخل المقهى، وتلقى دفعة على قفا رأسه من الخالة سارية، إلا أنه لم يعر الأمر أهمية. تحركت ببطء مروحة وحيدة بطرف المقهى المزدهم، وفي مقدمة الغرفة، حجب سام التلفاز بذراعيه، وفتح أصابع يديه. جادل طفلاً بلغ من العمر تسع سنوات بكل ما أوتي من قوة، وتوسل إلى حلاق القرية كي ينتظر حتى يصل بن إلى هنا قبل أن يبدأوا الفيلم. ألقى شخص ما حبة كاجو، فأصاب بها وجه سام. ضحك الجميع بمن فيهم سام الذي التقط حبة الكاجو وكان على

استعدادا لرميها مرة أخرى صوب الحشد عندما رأى بن قفز، وأعلن بصوت مرتفع أنه بإمكانهم البدء الآن. تطايرت المزيد من المكسرات في طريقه في المقابل.

صمت الحشد بينما أدخل الحلاق شريط الفيديو في المشغل، قرفص سام وبن على الأرض مع بقية الأطفال، ولم يتفوها بكلمة واحدة، فقد جلسا وفغرا فميهما بينما حاول بن التقاط أنفاسه.

أطفأ شخص ما المصابيح، وأصبح الوهج الصادر عن التلفاز هو المصدر الوحيد للإضاءة في القرية بأكملها تقريبًا. ملأت الكلمات الإنكليزية التي لا يمكن لأحد أن يفهمها الشاشة، في الوقت الذي عزفت فيه موسيقى الثمانينيات الغربية على مسامعهم في الخلفية. ثم ظهرت كلمتان:

"توب غان".

هلل كل من في المقهى

لم يتحرك أحد خلال الساعتين التاليتين، فقد كانوا مذهولين بالعالم الغريب الذي رأوه على التلفاز: أشجار النخيل، والشمس، والدراجات النارية، والنساء الشقراوات الجميلات، والرجال الذين يرتدون الزي العسكري، ويضعون النظارات الواقية من أشعة الشمس، وكرة الطائرة، والطائرات.

عندما انتهاء الفيلم، تفرق الجميع وهم يشعرون بالإثارة والحماس وهم في طريقهم من المقهى إلى منازلهم، لينشغلوا بعد ذلك بالنقاش لوقت طويل.

ظل سام وبن جامدين في مكانهما، وأعينهما شاخصة إلى شاشة التلفاز بينما تحرك كل من حولهما، بقيا هكذا حتى ظهر الاسم الأخير على الشاشة، وعندها تشاركا نظرة لم يفهمها أي منهما. بعد ساعات، عندما أشرقت الشمس كانت خطتهما جاهزة. بحلول الصباح، سيحلان كل شيء. سيبدأ بتوفير المال، وسيتعلمان اللغة الإنكليزية، وسيسافران إلى أميركا، وسيصبحان طيارين.

لم يملكا أدنى فكرة عن كيفية تحقيق ذلك، فهو لم يكن مهمًا، فقد كانا متيقنين من أن مصيرهما هو الذهاب إلى أميركا، حيث الراحة والسعادة، حيث

سيلعبان على شواطئ كاليفورنيا، ويواعدان النساء الجميلات، ويحلقان بالطائرات.

عندما طردهما صاحب المقهى لم يكونا يعرفان شيئاً، لم يعرفا سوى أن شيئاً واحداً قد تغير.

"رحلة كوستال أربعة - واحد - ستة، ابطء إلى ماخ سبعة وخمسة من أجل القياس".

في مكان ما، في مركز التحكم في الطريق على بعد أميال أسفل الرحلة 416، شاهد مراقب الحركة الجوية مساراً صغيراً على شكل نقطة تتحرك على الرادار أمامه. بدت نبرته غير رسمية، كما لو كانت مجرد رحلة أخرى في يوم مثل أي يوم آخر. نقل بن المسدس إلى يده اليسرى، ووصل إلى ميكروفونه باليد الأخرى. قال بصوت هادئ كصوت المراقب:

"علم ويلكو. سنبطئ إلى ماخ سبعة - خمسة، كوستال أربعة - واحد - ستة". ثم خاطب بيل، "عليّ الإشادة بجهود المراقبين الجويين، يستحقون تلقي جائزة الأوسكار على العرض الذي يقدمونه. أعني أنك إذا أرسلت مكتب التحقيقات الفدرالي إلى منزلك، فعلى إدارة الطيران الفدرالية أن تعرف بذلك". ضحك ثم أمر بيل بفصل سماعتي الحاسوب المحمول الرأسيين، والخروج من شاشة الخصوصية بعد أن ينتهي من ضبط سرعة الطائرة.

سمع بيل صوت المراقب، لكنه كان صوتاً فقط، وتحدث بن أيضاً، لكن لم يكن للكلمات أي معنى أيضاً. كانت مجرد ضوضاء تتردد حول غرفة القيادة. لم يعد بيل يعرف شيئاً بعد الآن. كل ما يعرفه هو أن فوهة المسدس مصوبة نحوه، فبقي ساكناً مكانه تماماً.

حرّك بن عينيه، وانحنى، ولفّ المقبض بعكس اتجاه عقارب الساعة، وبدأت الأرقام الصفراء على لوحة التحكم في الانخفاض. عندما وصلت إلى ما أوصى به

المراقب، سحب وحدة التحكم إلى الأعلى وضبط حاسوب الطائرة على السرعة الجديدة. "تحدث إلى مراقب الحركة الجوية. طرُّ بالطائرة. حطِّم الطائرة. هل عليّ أن أفعل كل شيء اليوم؟ حياتك على المحك كما تعلم".

واصل بيل التحديق إلى المسدس. عاد في ذاكرته إلى ساعات قليلة عندما مشى - لا، سار مسرعًا - متخطيًا عناصر الأمن في المطار. كان بن سيقابل الفاحص نفسه بعد فترة ليست بالطويلة. لكن عدم تطبيق القواعد على مساعده كانت أقل مشاكل بيل في الوقت الحالي.

نظر بيل إلى حاسوبه المحمول، كان هناك فتور جديد وغريب في تعبير كاري. بدت وكأنها تحدد إلى شيء غير موجود، بدا تركيزها مشتتًا للغاية ومبعثرًا. تنهدت، ثم ركزت عينيها على بيل الذي أحسّ بشعر مؤخره رقبتة يقف منتصبًا من التوتر.

هناك شيء مختلف فيها.

فك بيل قفل شاشة الخصوصية، وشغل سماعتي الرأس، ملأ صوت أنين أليز غرفة القيادة.

سألت كاري سام: "كيف تعرفان بعضكما؟".

كانت نبرة صوتها مألوفة للغاية، وشعر بيل فجأة بالتوتر لعدم معرفة ما حدث عندما فقد الاتصال بهم. لقد شعر بمستوى جديد تمامًا من الحسد والتملك الذي تتميز به الذكور المهيمنة. لقد كان إحساسًا حيوانيًا، وليس عقلائيًا، لكنه أعاد التركيز لبيل.

شاهد كاري وسكوت يلقيان نظرة على شيء ما أمامهما قبل أن يشيحا بنظرهما مرة أخرى.

قال سام: "بندو هو أخي. حسنًا، إنه بمنزلة أخي". ثم أشار إلى الكاميرا وقال شيئًا بلغة لم يفهمها بيل ولا كاري. ضحك بن ردًا على ذلك، وأجاب باللغة نفسها، لم يكن دافع لم شملهما عادلاً، قال بيل بصوت مرتجف: "حسنًا، بن هو أخي أيضًا".

نظر إلى ياقة قميص مساعد الطيار قبل أن يشير إلى باب غرفة القيادة. "لقد سعدوا إلى هذه الطائرة بحسن نية، ووضعوا حياتهم بين أيدينا ومن واجبنا هو احترام تلك المسؤولية".

بدأ سام في الحديث، لكن بن أوقفه بحركة من يده.

تابع بيل بصوت مرتفع: "لماذا؟ لماذا لا تطلق النار عليّ وتحطم الطائرة؟ إذا كان هذا هو ما تريده، ما كان عليك توريط عائلتي".
أجاب بن: "ليس هذا ما أردناه".

ناشده بيل: "حسنًا، ما الذي تريدانه؟ أنا لا أفهم ما الذي تريدانه، لا أفهم لماذا تفعلان هذا".

نظر بن من النافذة أمامه، وهو يفكر في السؤال، بينما تدلت اليد التي أمسك بها المسدس قليلاً.

"لدى الشعب الذي ننحدر منه قول مأثور: لا صديق لك سوى الجبال. هذا يعني أن مصيرنا هو الخيانة والهجران، وأنه ليس لدينا سوى أنفسنا فقط، لا أحد يهتم بنا، يمكننا فقط الاعتماد على أنفسنا".

بدأ بن بائسًا عندما نظر إلى سام، تابع: "حاولنا عدم تصديق ذلك، أردنا بشدة أن نصدق أن الأمر يمكن أن يكون مختلفًا، أردناه أن يكون مختلفًا، تسلحنا بالأمل في الحلم الأميركي - الحرية، والأمل، والانتماء - هذا كل ما أردناه لأنفسنا ولعائلاتنا. أخبرني، هل هذا خطأ؟ أن نرغب بمثل هذا النوع من الحياة؟ لماذا لا يجب علينا أن نعيش بكرامة؟ لماذا لا نستحقها؟ لقد لعبنا وفقًا لقواعدكم، فعلنا ما تريدون، وأصبحنا ما أردتم من أن نكونه، ومع ذلك ختونا! تسألني كيف يمكنني خيانة هذه المهنة - حسنًا، كيف يمكنك أن تخون ملايين الأشخاص الذين لا يسعون سوى وراء حياة كريمة

حاول بيل التفكير في ردّ جيد، لكن شيئًا لم يخطر في باله. لم يعرف ما الذي يتحدث عنه بن، ولكنه قال أخيرًا: "وما علاقة كل ذلك بأسرتي أو بركاب هذه الطائرة؟".

حرّك بن ذراعيه على نطاق واسع وضحك، وتابع: "أنت تتصرف بالطريقة نفسها التي تقنعنا أنك ستتصرف وفقها. لأن هذا هو بالضبط! هذا هو بالضبط سبب قيامنا بذلك! لأنكم أيها الأميركيون لا تعتقدون أن لكم علاقة بأي شيء. تحدث الكوارث في شتى أنحاء العالم، وأنتم تستمرون في حياتكم بلا مبالاة. لأن لا علاقة لكم بالأمر. لن تتدخلوا أبدًا إلا إذا كنتم مجبرين على ذلك". حرك يديه مشيرًا إلى غرفة القيادة وتابع: "ها نحن هنا مجبرون على مواجهة الحقيقة".
"أي حقيقة؟".

"حقيقة أن الناس جيدون بقدر ما يسمح لهم العالم أن يكونوا كذلك، أنت لست جيدًا بطبيعتك، وأنا لست سيئًا بطبيعتي. نحن نسير فقط بحسب بطاقات الحظ التي وزعتها علينا الحياة، وضعك في هذا الموقف، وإجبارك على التعامل هذه البطاقات لك - ماذا كان الرجل الصالح ليفعل الآن؟ لا يتعلق الأمر بتحطم الطائرة يا بيل بل بالاختيار، إنه يتعلق بإدراك أن الأشخاص الطيبين لا يختلفون عن الأشخاص السيئين". نظر إلى كاري بدلًا من بيل وتابع، "لقد تمتعت دائمًا برفاهية الاختيار للتصرف وكأنك الشخص الجيد".

احمّر وجه بيل، لم يعرف ما الذي كان بن يرمي إليه، لكنه رأى الألم في عين مساعده، إنه الغضب نفسه الذي تدفق عبر جسد بيل في كل مرة نظر فيها إلى عائلته المختطفة التي لا حول لها ولا قوة.

قال بيل: "ماذا عن الناس الذين ليس لديهم خيار؟ ركاب هذه الطائرة والناس في العاصمة واشنطن، كيف يثبت مقتل هؤلاء الناس الأبرياء وجهة نظرك؟".

أجابه بن بغضب: "ماذا عن مقتل الأبرياء من أفراد شعبي؟ لماذا حياتهم أقل قيمة، لماذا موتهم أقل مأساوية؟ لا أحد يهتم عندما يموتون بطرق رهيبة، حان الوقت ليدوق أفراد شعبكم النهاية نفسها عديمة المعنى، أريد أن يشعر الشعب الأميركي بالحزن، أريد أن يعلن الحداد بالطريقة نفسها التي أعلننا فيها الحداد طوال حياتنا".

قال بيل: "مبدأ العين بالعين هو أبعد ما يكون عن العدالة، ولا أعني بذلك أن علينا التقاعس، لن يتغير شيء إذا لم يتغير شيء".

"لكن شيئاً لن يتغير، إذا فعلت هذا أيضاً. لن تنحني أميركا لإرهابي".
"لم نرغب في حياتنا أن تنحني، أردنا فقط أن نرى".

بقي بن يلهث، وساد الصمت عقب موجة الغضب التي أطلقها، وارتعش المسدس في يده. انحنى بيل في كرسيه، نظر بن خارج النافذة، كانت تلك محاولات بائسة ليهدي جسده في الفضاء الضيق.

أسقط بيل يديه إلى الأسفل معلناً الهزيمة، لم يعرف ما الذي يفترض به أن يقوم به، بدا كل شيء يائساً. بقي يحدق إلى عائلته محاولاً إخراجهم ولو عقلياً من هذا الموقف المريع، حاول أن يتذكر مدى بساطة حياتهم مؤخراً مثل الليلة الماضية.

بالأمس شوى بيل الهامبرغر، وتناولوا الطعام وهم يشاهدون المباراة على التلفاز، وكان الصوت منخفضاً. أراق سكوت الحليب، وأكلت كاري البطاطا الحلوة المقلية وهي تقف وتمز أليز حتى تكف عن البكاء. تذكر بيل أن عليه إخراج القمامة عند إلقائه المناديل الورقية المبللة بالحليب في سلة المهملات، لقد نسي فعل ذلك قبل مغادرته هذا الصباح.

لاحظ بيل صوتاً بعيداً في سماعة أذنه، بالكاد لاحظ ذلك، لكن في النهاية أبعدت الأصوات الخافتة غير المنتظمة بيل عن حلم يقظته، فجأة خطر شيء ما في ذهنه بينما حاول جاهداً الاستماع وهو يحبس أنفاسه.

لكن الآن لم يكن هناك سوى الصمت. إن دماغه يخدعه.

نظر إلى بن، الذي لم يبدُ عليه أنه سمع شيئاً غير عادي، إذا كان هناك أي أصوات، فإنها ستأتي من خلال التردد الاحتياطي، عبر سماعة أذن بيل، وكان بن شاردًا في عالمه الخاص على أي حال.

كان يتفقد مسدسه، وإبهامه يتحرك فوق المقبض.

فجأة، عاد الصوت مجدداً. اتسعت عينا بيل، كان ذلك صوت ضوضاء لم يكن يتخيل، سمعه أحدهم واستجاب له.

الفصل السادس عشر

قالت جو: "هل كل شيء جاهز؟".

ألقى بيغ دادي حقيبته شبه الفارغة من سماعات الرأس البلاستيكية الرخيصة الخاصة بخطوط كوستال الجوية على سطح المطبخ بضربة واحدة.

أجاب: "كل شيء جاهز".

"جميع الركاب؟".

"جميعهم؟".

"وهل تأكدت من أنهم شغلوا أجهزة التلفاز؟ ووضعوا محطة الأخبار؟
نعم".

"هل سارت الأمور على ما يرام؟ هل كانوا متجاوبين؟".

حذق دادي إلى وجهها الخالي من تعابير.

مرت كيلبي بينهما، عندما وصلت إلى المطبخ، وألقت حقيبته الفارغة تقريباً فوق حقيبته.

قالت: "حسنًا، هؤلاء الناس لا يحبوننا. يا إلهي كم هم غاضبون".

أوماً دادي موافقًا: "عليه إنهاء ما يشغله الآن لأننا بحاجة إلى تزويد هؤلاء

الأشخاص ببعض المعلومات".

نظر المضيفون عبر المطبخ إلى ريك رايان، الذي لم يكف عن الكتابة على

هاتفه.

قالت جو: "سنذهب بمجرد أن ينتهي - وشكرًا لك يا سيد رايان على

المساعدة. في غضون ذلك، دعونا نتحدث عن الحالات الخاصة". سلمت دادي

القائمة ونظرت كيلبي فوق كتفه. "يا للعجب، ليس لدينا الكثير. هناك فقط رضيعان وشخص مقعد. حمدًا لله لا يوجد قاصرون لا يرافقهم ذويهم، لكن لدينا شخص أجنبي في ثمانية عشر دلتا. اسم العائلة غونزاليس، لذا أفترض أنه إسباني؟ هل يتكلم أحدكم الإسبانية؟".

أجاب داداي وهو يدقق في القائمة: "نعم، سيكون ذلك بمثابة عرض ممتع".
"بينما أتلو البيان، اشرحني ودادي للركاب سبب الهبوط الآمن الآن، لن يكون هناك وقت لاحقًا".

أومأت برأسها.

قال ريك رايان: "أعطني دقيقة واحدة فقط، لقد أوشكت على الانتهاء".
انتظر الجميع. كان لدى كل منهم آلاف الأشياء التي يجب القيام بها لتجهيز الركاب لكل ما هو قادم، لكنهم لم يتمكنوا من القيام بأي منها حتى الآن.
اتضح أن الشعار غير الرسمي للطيران صحيح "أسرعوا وتمهلوا حتى في ظل الأزمات". كسر داداي الصمت: "هل تتذكرين؟ ما الذي علمونا القيام به إذا اختطفت الطائرة؟".

ابتسمت جو حيث بدت الذكرى غريبة وقالت: "تحدثوا إلى الركاب، ناشدوا عواطفهم، تواصلوا معهم. أعطوهم ما يريدون؟ افعلوا كل ما عليكم فعله كي تهبط الطائرة بأمان".

في ذلك الوقت، كان التكتيك المتبع هو كسب التعاطف مع الخاطفين، لذلك طلبت الشركة من المضيفين حمل صور أطفالهم أو أسرهم معهم في جميع الأوقات، كان لدى جو صور لأولادها وهم صغار إلى جانب شاراتها، وتذكرت أن بيغ داداي احتفظ بصورة لقطته. أخبرها أن خطته كانت تشتت انتباه الإرهابيين بقطته.

قال بيغ داداي بصوت منخفض: "بعد هجمات 11 أيلول، تغير كل شيء".
انحنى صوب مقعد جو، كانت غرفة القيادة خلفها مباشرة، فمرر أصابعه على

الباب: "اعتدنا أن يكون لدينا شيء لنبدأ به، كما تعلمون؟ الأشرار منطقيون، كان العالم منطقيًا. في العادة كان لدى الإرهابيين دوافع ومطالب، ولكن الآن.."
هز رأسه.

قال ريك رايان منهيًا اللحظة الجدية: "رائع! لقد تم الأمر. انتظروا بضع دقائق برأيي ثم باشروا".
أخرجت جوهاتها، وفتحت المحادثة مع ابن أختها.

اهتز جيب ثيو، وفكّ حزام المقعد ليتفقد هاتفه. عبس عند رؤيته للرسالة. قرأ في الرسالة: "شاهد الأخبار".
فتحت ليو الموقع الإلكتروني لشبكة سي إن بي على جهازها اللوحي. انحنت فوق الحاجز في انتظار أن تتحمل الصفحة. "ما هو الوقت الذي يفصلنا عن الوصول؟".

أجاب السائق: "ست دقائق تقريبًا يا سيدي".
غطى بحر من اللون الأحمر الجهاز. تمتت ليو: "ما هذا..."
كانت الشبكة تبث الأخبار العاجلة، وظهرت خطوط ضخمة وحروف كبيرة للفت اهتمام العالم. تجولت عينها مذيع الأخبار من الأعلى إلى الأسفل وهو يقرأ ملاحظاته على شاشة القراءة. كانت وتيرة ما يحدث سريعة جدًا بالنسبة إلى الملقن.

صاحت ليو: "تسرب المعلومات بينما نحن نتحدث. حتى الآن، كل ما نعرفه على وجه اليقين هو أن شكلاً من أشكال الاختطاف أو الحوادث الإرهابية يجري حاليًا على متن رحلة جوية تابعة لخطوط كوستال الجوية من لوس أنجلوس إلى نيويورك. أحد الركاب على متن الطائرة هو الشخصية المشهورة ريك رايان، وقد أخبر وسائل الإعلام أنه سيصدر بيانًا، ونحن نقف هنا منتظرين، ننتظر أن...".

ظهرت تغريدة على الشاشة:

@RickRayanaboi

تم اختطاف الرحلة 416.

سيتم بث فيديو مباشر من طاقم الطائرة. ادعوا لنا.

لقد شاركت الرسالة جميع شبكات الأخبار الرئيسية، ومكتب التحقيقات الفدرالي، والأمن الداخلي - حتى البيت الأبيض - تمت مشاركة التغريدة بالفعل اثني عشر ألف مرة في أقل من ثلاث دقائق.

"...الطائرة من طراز إيرباص أ320، والتي يمكن أن تحمل ما يصل إلى مئة وخمسين راكبًا، بالإضافة إلى طاقم مكون من ثلاثة مضيفين... ضغط مذيع الأخبار على سماعة أذنه.

"حسنًا، علمت الآن أن لدينا بثًا مباشرًا من الطائرة، دعونا نشاهد".

اختفت صورة الاستوديو، وحلّ محلها تغطية متقطعة من داخل الطائرة، ملأ وجه سيدة في منتصف العمر الشاشة، ارتدت زي المضيفات.

لهث ثيو وصاح: "الخالة جو".

قالت بصوت متقطع بسبب البث البطيء: "سيداتي وسادتي، أنتم تدركون تمامًا الآن أننا نواجه موقفًا حرجًا".

نظرت ليو إلى ثيو وقالت: "هل خالتك مجنونة؟".

مكتبة

t.me/soramnqraa

نظرت جو إلى الكاميرا الصغيرة على ظهر هاتف كيلي. وقفت المضيفة الشابة قبالتها، صبّت كل تركيزها على الشاشة، ورفعت أو خفضت الجهاز أحيانًا لإبقاء جو في منتصف الإطار.

قالت مخاطبة الكاميرا: "أعلم أن العالم بأسره يشاهدنا الآن، لكنني لا أناشد العالم، بل أتحدث إلى ركاب الرحلة أربعة- واحد- ستة، أعلم أنكم مرتبكون

وغاضبون، كنت سأشعر بالشيء نفسه إن كنت مكانكم، ولكن تبدو الأمور مختلفة بعض الشيء من حيث أقف. سيداتي وسادتي، عليكم معرفة ما يحدث، أنتم تستحقون معرفة ما يعرفه الطاقم". كان صوت ضجيج المحركين هو الوحيد المسموع في المقصورة، وضع كل راكب على متن الطائرة سماعتي الرأس الخاصتين به، أو زوج السماعات التابع لشركة الطيران الذي زودهم به طاقم الطائرة. تابع الجميع الأخبار باهتمام.

تابعت جو: "لن أهون من هذا الأمر، لقد اختطفت عائلة قبطان الطائرة. زوجته، وابنه البالغ من العمر عشر سنوات، وابنتهما البالغة من العمر عشرة أشهر وهم محتجزون على البر في لوس أنجلوس بينما نتحدث. هدد الشخص الذي اختطفهم بأنه سيقتلهم، ما لم يحطم القبطان الطائرة".

لهت امرأة في الدرجة الأولى بصوت عالٍ بما يكفي لتفاجئ كلي. وقف دادي وقد شبك ذراعيه أمام صدره يراقب ردود فعل الركاب في الوقت الذي كانت جو تتحدث فيه، توجب عليه رصد أي علامات على وجود دخيل بينهم؛ أي شخص يصبح متململاً أو ينظر حوله بارتياح. نظر إلى جو، وأوماً إليها مشجعاً.

"أنا أسافر في رحلات مع القبطان هوفمان منذ عشرين عامًا، أنا أعرف هذا الرجل جيدًا. ليست هناك فرصة ولا احتمال واحد في أن يحطم هذه الطائرة، يستحيل ذلك، وهذا كل ما سأقوله بهذا الشأن لأنه لا يوجد شيء آخر لأقوله. لكن قبل أن أتابع، أريد أن أتحدث إليكم..."

ضاقت عينا جو وصاحت بغضب: "أنت أيها الوضيع المختل، هل تعتقد أنك ستفلت من هذا؟ ليس لديك فكرة عن القوى التي تطاردك الآن، سيجدونك، وأنا أضمن لك ذلك، وأعدك بشيء آخر أيضًا". عدلت وشاحها ثم تابعت: "ستبقى العائلة التي اختطفتها على قيد الحياة، ولن تحطم هذه الطائرة".

وقفت كلي باستقامة أكثر، ضغط دادي فكيه، وباعد بين ساقيه.

"لذلك دعونا نتحدث عن تلك الأقنعة الآن. لماذا أسقطناها؟ حتى تتمكن من حماية أنفسنا. نعم يا سيداتي وسادتي. لقد أشركنا هذا المهووس في خطته المرضية أيضًا".

أمكن لجو الشعور بمعدل ضربات قلبها يتسارع كما هو الحال في اللحظة التي تسبق الاعتراف. عندما تكون خائفًا، وتريد الهروب أو التراجع، لكنك تعلم أنك لا تستطيع ذلك. "قبل أن نهبط، سيجبر الخاطف القبطان على إلقاء غاز من غرفة القيادة إلى المقصورة. ما هو الغاز؟ حسناً، نحن لا نعرف. لكننا سنفترض أنه سيء جدًا. ونحن نخطط بناء على هذا الأساس". واصلت: "اسمعوا، مهما كان نوع الغاز فنحن واثقون من أننا لا نرغب باستنشاقه. هذا هو الغرض من الأقنعة. سوف يطلعكم مضيفو الرحلة على ما سيحدث، ولكن هذا ما تحتاجون إلى معرفته أكثر من كل شيء، ما يجب أن تذكروه بدءًا من هذه اللحظة بالذات حتى تهبط الطائرة في مطار مدينة نيويورك".

تقدمت إلى الأمام.

"ستخطي هذا، سنعمل معًا، سنحمي بعضنا بعضًا. ومعًا - كركاب وطاقم وطيارين لهذه الرحلة - سنظهر لهذا الوحش أنه لا يستطيع إخافتنا أو ابتزازنا".

توقفت جو عن الكلام مؤقتًا. لم تملك أدنى فكرة من أين تدفقت هذه الكلمات. فتحت فمها، وتدفقت الكلمات ببساطة. بدأت الأفكار تتسابق في عقلها. ما الذي فاتها؟ لم تكن متأكدة مما قالته للتو.

"عندما كنت طفلة، اعتاد أبي أن يقول لي، اجلسي باستقامة يا فتاة واستعدي. سيداتي وسادتي، لدينا خيار واحد. يكمن هذا الخيار في الثقة والتضامن. يشر في أنني معكم، وامتياز لي أن أخدمكم في ظل هذه الظروف. لذا اجلسوا باستقامة واستعدوا.. فها نحن ذا".

ضغطت كييلي على الزر الأحمر وتوقف الفيديو عن التسجيل.

شاهد ثيو كيف وضعت ليو الجهاز اللوحي في حضنها. خارج نافذة العربة، مرّ منظر ضبابي. قالت: "تجريد الرجل السيئ من إنسانيته، وإظهار القبطان على أنه

ضحية وبطل، توحيد الحشد ضد عدو مشترك لتشتيت انتباههم عن الموت المحتمل. حشد روح القتال لديهم".

التفت ليو إلى ثيو وسألته: "هل دافعك لتجاهل السلطة وتفادي البروتوكول هو سمة عائلية؟".

استنشق ثيو الهواء بعمق، وهو يشعر بالفخر مما جعل وجنتيه ترتعشان. أجابها: "نعم يا سيدتي". ولم يتمكن من إخفاء تلك الابتسامة الصغيرة التي ارتسمت على شفقيه.

"انتظر لحظة، هل تحدثت عن العاصمة؟".

أجاب عميل آخر: "لا يا سيدتي".

هزت ليو رأسها.

كانت الخالة جو على بعد آلاف الأميال، ومع ذلك استطاعت أن تغضب ليو. لقد أحب ثيو ذلك.

قال السائق، وهو يدخل بالسيارة إلى مركز تسوق متهدّم: "سيدتي، ها قد وصلنا". ملأت الساحة واجهات المحلات الشاغرة ذات الخطوط العريضة الباهتة للفتات السابقة. انتشرت النباتات الصغيرة محاطة بالعشب والأشجار الجافة في ساحة ركن السيارات. رقدت هناك في الغبار سيارة سيدان كستنائية اللون مهجورة فرغ إطارين من إطاراتها الأربعة من الهواء.

كانت سيارة الدفع الرباعي الفضية هي العلامة الأخرى الوحيدة للحياة في نهاية الساحة. تحت مصباح الشارع المعطل، شغلت فسحتين وكانت حدائتها واضحة. في يوم من أواخر الخريف، كان الليل قد حلّ بالفعل - لكنهم رفعوا الحامي من الشمس في السيارة ما حجب الرؤية الداخلية لوحدة ألفا.

قالت ليو: "أوقف السيارة هناك". وأشارت إلى حوض فيه شجرة كبيرة.

تباطأت السيارة إلى أن توقفت في المكان.

قالت ليو: "حسنًا أيها المريض لنجرب هذا مرة أخرى".

الفصل السابع عشر

شاهدت كاري نقطة عرق تنزلق على خد سام، تشبثت بأسفل ذقنه قبل أن تسقط على كمه، مخلقةً دائرة داكنة على بذلة كالكوم الرمادية.

كان الجو حارًا في الأحياء الضيقة. التصق قميص كاري بجسدها حيث ضغطت أليز عليها، والتصق شعر سكوت على جبهته وهو يلمع من الرطوبة. ترك سام الهاتف، وشرع يهتم بالبقعة على كمه، جعل حمله للمفجّر من تلك المهمة البسيطة أمرًا محرّجًا، وأمکن لكاري الشعور بإحباطه يتصاعد مع الحرارة بينما انزلقت أصابعه حول الزر البلاستيكي الصغير دون جدوى.

مدت كاري يدها، لكنه ابتعد عنها في الحال. لم تُظهر كاميرا الهاتف إلا سقف غرفة القيادة، اتخذ سام الوضعية الدفاعية وشعر بالذعر. بينما كانت هادئة وتحاول تقديم المساعدة فحسب. ضاقت عيناه في شك لكنها لم تتزحزح. لم تبتسم أو تتكلم. لم تفعل شيئًا في محاولة لإثبات أن هذه لم تكن خدعة، لقد اكتفت بمد يدها ببساطة.

مد ذراعه ببطء وقابلته بيديها المقيدتين. كانت تعمل وهي تشعر بالخوف، لكنها تحكمت بالوضع بشكل أفضل. أخيرًا، تحرر الزر لفت الكم على ذراعه، طوت القماش وشدته وهي تمضي. شعرت وكأنها تقوم بأمر طبيعي مثل لف حفاض متسخ أو تقويم ربطة عنق. كانت العربية مظلمة، لكنها اعتقدت أنها رأت ندبة عمودية رفيعة تمتد إلى داخل ساعده.

سرعان ما أدار ذراعه بعيدًا عنها مؤكّدًا ما رآته. قالت: "توفي والدي عندما كنت صغيرة أيضًا. لقد كان ثملًا وتسبب بحادث سير. لقد كان ثملًا على الدوام".

عادت للعمل على القماش كما لو أن الموضوع قد انتهى.

التجأت صديقات كاري دائمًا إليها طلبًا للنصيحة. نعم، لقد كانت مدركة ومراعية، لكن كانت لديها أيضًا هذه القدرة الفطرية على النظر تحت السطح، وتحديد ماهية المشكلة الحقيقية، وليس فقط تحديد ما كان يزعجهن. أطلقن على تلك الحالة اسم وضع سبوك. يمكن أن تتفحص كاري موقفًا صعبًا دون عاطفة، كما لو كانت قد وضعت أمامها على طاولة تحت الأضواء الساطعة، وقامت بعملية جراحية للتخلص من العاطفة التي غابت عن المنطق والعقل. لم تفكر كثيرًا في ذلك. كانت تلك هي الطريقة التي يتواصل بها دماغها وقلبها.

لكن إذا كان على كاري تخمين كيف آل بها الأمر إلى هذا الوضع، فستفترض أن وجود والدها الثمل دائمًا في ما يتلافى مع طفولة آمنة وسعيدة، سيكون نقطة البداية.

قالت كاري: "أشكر الله أنه اصطدم بشجرة. قاد سيارته في الاتجاه الخاطئ. كانت معجزة أنه لم يؤذ أحدًا".

رفع سام رأسه عند سماعها تذكرك الله.

سألها: "هل كان والدك متدينًا؟".

أجابته: "لا، لم تكن عائلتنا متدينة على الإطلاق. حتى أنه توقف في نهاية الأمر عن الاحتفال بعيدي الفصح والميلاد. لكن بصراحة، لم نتحدث عن ذلك مطلقًا. أعني لا أزال أجهل رأيه بالدين". عبست، ونظرت إلى سام، ولكن عينيها تخطتاه بنظراتها.

قالت كاري: "يجب أن تساعدني في هذا كما تعلم".

ابتسم بيل من دون أن ينظر بعيدًا عن شاشة التلفاز وهو يتصفح القنوات وقال: "لست شخصًا متدينًا. لا أعرف حتى من أين يمكنني البدء بالموضوع".

قالت كاري وهي تجلس على الأريكة، وتقلب صفحات الكتاب المقدس الذي كان في حضنها: "هل تعتقد أنني أدري؟". كان حفل زفافهما في غضون

أسبوع، وقد قال القس إنهما بحاجة إلى اختيار مقطعين من الكتاب المقدس على الأقل للاحتفال.

"أليس لديكم مقاطع موحدة تستخدمونها في مراسم عقد القران؟"

أجابت كاري: "بالتأكيد، لكن نريد أن يكون لها معنى خاص بالنسبة إلينا".

قال بيل وهما يشاهدان إعادة عرض مباراة كرة السلة مشيرًا إلى الكتاب المقدس

في حضنها: "نحن لم نذهب إلى الكنيسة أبدًا، أين وجدت الكتاب المقدس".

ابتسمت كاري: "في صندوق في الجزء الخلفي من خزانة ملابسي. يعود إلى

أيام طفولتي. لم أحصل على نسخة البالغين، فقط نسخة الأطفال. أحب اللغة

المبسطة".

التفتت إلى الفهرس الموجود في الخلف، لترى ما إذا كانت المقاطع مرتبة

حسب مواضيعها. وجدت قائمة طويلة تحت عنوان الحب، اختارت مقطعًا، ثم

عادت إلى سفر الجامعة، وقلبت الصفحات الرقيقة حتى استوقفتها ملاحظة مكتوبة

بخط اليد. تسابق نبضها وهي تحديق إلى حروف وخربشات والدها المميزة. قال

بيل شيئًا لكنها تجاهلته. لكز ساقها بجهاز التحكم عن بعد فنظرت إلى الأعلى.

اختفت ابتسامته عندما رأى ملامح وجهها. أخبرته بما وجدته. قال بيل وهو يجلس

بعد أن كتم صوت التلفاز: "لم تخبريني من قبل أن والدك كان متدينًا؟".

أجابت كاري وهي تحديق إلى الكتاب: "لم يكن متدينًا. ولكن لماذا بحث عن

كتابي المقدس وكتب فيه؟ ومتى؟".

لم يكن لدى بيل جواب.

ثم قال: "كيف تعرفين أنه هو من كتب ذلك؟".

"أنا متأكدة. خط يده مميز".

"حسنًا، ماذا كتب؟".

عبست كاري، ومحاولة قراءة الكلام لكن من دون جدوى. كان والدها قد

وضع دائرة حول "سفر الجامعة 9:3-9- مصيرنا واحد على حد سواء، وهذا خاطئ

مثل أي شيء يحدث في هذا العالم -" وبيجانبه كتب كلمة واحدة بأحرف كبيرة. كتب كلمة نعم. قلبت كاري الكتاب المقدس باتجاه بيل حتى يتمكن من رؤية الكلام.

أمسك بيل بالكتاب في يديه، ونظر إلى الصفحة لفترة طويلة قبل أن يعيده إليها مرة أخرى. بدا مرتبكًا كحالتها تمامًا.

"حسنًا، سيموت كل شيء، وهذا ليس عدلًا؟"

نظرت كاري إلى كلمات والدها وقالت: "نعم".

•••

فكت كاري أضرار كم سام الآخر: "لا أشعر بالندم عندما يتعلق الأمر بوالدي. لكنني أندم لأنني لم أسأله أبدًا عن رأيه بالله. لقد افترضت دائمًا أنه لم يتحدث عن ذلك مطلقًا لأنه لم يكن مهتمًا. ولكن كلما كبرت في السن، ونظرت إلى خياراته في الحياة، أتساءل عما إذا كان لديه الكثير ليقوله عن ذلك".

"كم كان عمرك عندما توفي؟"

أجابت: "كنت في التاسعة عشرة من العمر، في السنة الأولى من الجامعة. آخر مرة رأيته فيها كان في مطبخ العائلة. كنت قد أتيت لتناول العشاء وعلى وشك المغادرة، أمسكت حقيبتني في يدي، كنت وأمي ننهي حديثنا عندما جاء إلى المطبخ لجلب زجاجة بييرة أخرى، وسألني عما نتحدث عنه. أخبرته أنني أحاول اختيار مجال دراسة في الجامعة. هز كتفيه وقال: "تأكدني من أنك اخترت الحياة بغض النظر عن اختيارك".

عبس سام وبدا في حيرة من أمره.

قالت كاري: "بالضبط لطالما تفوّه بهذا النوع من الهراء الذي تجده داخل بسكويت الحظ، وهذا ما كان يحملني دائمًا على الجنون، لذلك عندما قال ذلك، قلبت عيني كما فعلت دائمًا. لكنني لن أنسى - ولن أنسى أبدًا لأن ذلك كان آخر شيء قاله لي - نظر إليّ وبدا وكأنه يشعر... بالإهانة؟ لا، ليس بالإهانة. ربما شعر

بالحزن. بدا حزيناً وقال، أنت لا تعتقدين أن الجميع يعيشون، أليس كذلك؟ معظم الناس موجودون ويدورون في هذا العالم وحسب. الحياة هي اختيار في الواقع".

انتهت كاري من العمل على كمّه وجلست صامته.

نظرت إلى المفجّر وسرت عبر جسدها موجة قديمة من الاستيعاب للموقف.

التقط سام الهاتف، وأعاد كلاً من كاري والهاتف إلى مكانهما السابق. "أعتقد في الواقع أنني أفهم ما قصده والدك".

نظرت كاري عبر الظلام، وأومات برأسها. سُمع ضجيج من الخارج.

نظر سام إلى كاري بعينين متسعيتين.

وضع إصبعاً أمام فمه مشيراً إليها بالتزام الصمت.

تحرك إبهامه إلى أعلى الزر الأحمر للمفجّر، وهذا ما ذكرها بما سيحصل إن لم تلتزم الصمت.

الفصل الثامن عشر

وقفت جو بجوار كيلى على الجانب الآخر من ستارة المطبخ، واستمعتا إلى الأصوات في المقصورة. حبس الثلاثة أنفاسهم بعد أن أوقفوا تصوير الفيديو مباشرة. هل سيكون هناك صراخ؟ معمعة؟ مرت قرابة دقيقة ولم يكن هناك كثير من ردود الفعل على الإطلاق.

قال دادي دون أن يرفع عينيه عن المقصورة: "جيد جدًا حتّى الآن. لم يطلق أحدهم الغاز. لا أحد يقول إنهم أشخاص سيئون أيضًا. لم يضغط أحد على زر الاستدعاء. أنا حقًا متفاجئ...".

قطع حديثه وخرج من المطبخ.

فتحت جو الستارة، وتبعت بيغ دادي وهو يتجه نحو الممر باتجاه رجل يسير نحوهم. التقى الرجلان خلف الحاجز.

قال الرجل بصوت عالٍ بما يكفي لدرجة أن نصف ركاب الطائرة أمكنهم سماعه: "أريد أن أعرف ماذا يجري على الجانب الآخر من ذلك الباب اللعين". رفع بيغ دادي حاجبه عندما رفع الرجل إصبعه أمام وجهه.

سأل دادي: "أي باب؟".

أشار الرجل بذقته نحو غرفة القيادة وقال: "هذا الباب".

قال دادي: "للأسف لن يحدث ذلك يا سيدي".

شهق الرجل بصوت عالٍ، وتوهجت الحرارة من وجنتيه، كان وجهه بلون وردي طبيعي، لكن صدره الممتلئ ومعدته المنتفخة أوضحا أنه لم يكن رياضياً البتة.

لقد وتّر جو.. فقد عرفت رجالاً مثله مغرورين وغير أخلاقيين.

قال داداي: "سيدي، الباب مزود بأقفال متعددة، يتم التحكم فيها من الداخل. لا يوجد مفتاح وحتى إذا تمكنا من فتحه - وهذا أمر مستحيل - فهناك آلية تحكم يدوية داخل غرفة القيادة". رمش الرجل بعينه، وكأن فكرة فتح الباب لم تخطر بباله قط. وضعت جو يدها على كتف بيغ داداي لتعلمه أنها تسانده ولتذكره بالبقاء هادئًا. صاح الرجل والبصاق يتطاير من فمه: "حسنًا سنحطمه". أصدر شخص جالس في الخلف صوتًا معلنًا الموافقة، وأومات عدة رؤوس معه. قالت جو بصوت منخفض وحازم: "هذا الباب مضاد للرصاص، من المستحيل تحطيمه".

"هذا لم يقف في وجههم خلال هجمات 11 أيلول".

قالت جو: "صنع هذا الباب بعد هجمات 11 أيلول. هل تعتقدون أنه بالصدفة لم يخترق أحدهم أي غرفة قيادة منذ ذلك الحين؟".

لم يجب الرجل، بل هزّ رأسه، واتسعت فتحتا أنفه. بدأ الركاب يؤيدونه، حيث وجد خوفهم الراحة في ثقته المفرطة.

صاح صوت أنثوي من مكان ما: "يجب أن ندخل".

لم تستطع جو معرفة صاحبة الصوت.

قالت جو: "حسنًا، دعونا نتصور أنه يمكننا تحطيم الباب والدخول. وهو أمر مستحيل. ولكن دعونا نتصور أنه يمكننا ذلك، ماذا ستفعلون بمجرد دخولكم؟".

رمش الرجل مرة أخرى، فهو لم يفكر في الأمر.

"سوف نقنعهم بالعدول عما يريدون فعله".

سأل بيغ داداي: "تقنع من؟".

"الإرهابيين!".

هلل بضعة أشخاص مؤيدين.

قالت جو بهدوء: "إن الشخصين الوحيدين في غرفة القيادة هما الطيار ومساعدته، ونحن نحتاج أن يكونا بصحة جيدة وعلى قيد الحياة، الإرهابي الذي

تريدونه موجود على الأرض في لوس أنجلوس. اقتحام غرفة القيادة لن يحقق شيئاً على الإطلاق وسيضعنا فقط في خطر أكبر.

بقي الجميع صامتين. قالت جو بحزم مشددة: "عزيزي، لو كان الأشرار في الداخل لأيدتك في الحال، لكنك لن تجد في الداخل سوى رجلين صالحين".
لم تجرؤ جو على ذكر أنه قد يكون هناك متواطئ بينهم.

تحسرت جو قائلة: "هذا صحيح. يواجه الطيار ومساعدته مشكلة، ويحتاجان إلى مساعدتنا، سيحصل هجوم بالغاز لأنه سوف تموت عائلة بريئة إذا لم يحصل".
سمحت جو للصمت أن يسود للحظات بعد بيانها هذا. ثم تابعت: "تصرف السلطات على الأرض بشأن العائلة، لكن الطيارين يحتاجان إلينا لكسب الوقت، القبطان بيل واثق من أننا سنكون على أهبة الاستعداد لحماية أنفسنا، وهو شيء يمكننا القيام به. لهذا السبب نحن نقاتل. هذه هي الطريقة التي نهزم بها الإرهابي بالعمل معاً، علينا أن نثق بعضنا ببعض وأن نكافح معاً لنبقى على قيد الحياة".

نظرت حولها إلى الركاب، بدا لها أن الجميع يفكرون في كلامها.
"علينا أن نكافح، من خلال كوننا أقوى بما يكفي لتحمل الضربة، لا عن طريق الاستسلام".

لم يرد أحد، وهذا ما اعتبرته علامة جيدة، لم يبدُ الرجل متأكداً إلى أين سيتجه الآن في نقاشه، سواء تعلق الأمر بحجته أو بالطائرة. نظر إليها مليئاً، وبدا أنه يجد صعوبة في التنفس، فكرت في أبنائها عندما كانوا صغاراً، فقد اعتادوا مواجهتها والنظر إليها بالطريقة نفسها، استوعبت جو الصورة، لن ينتهي صراع على السلطة بشكل جيد أبداً. وبدلاً من ذلك، تعلمت كيفية التعامل مع إحباط الصبية. أعادت توجيه طاقتهم، منحتهم القوة، وملأت مهامهم بالشعور بالأهمية والواجب. لقد احتاجتهم في الواقع فقط لالتقاط ألبابهم، لكن أنجزت تكتيكاتها بسلاسة.

خطت أمام بيغ دادي، وواجهت الرجل مباشرة.

سألته جو: "ما اسمك؟".

"ديف".

سيحتاج الطاقم إلى المساعدة يا ديف. هل يمكننا الاعتماد عليكم؟".
انتفخ صدره فخرًا.

تابعت جو قبل أن يفكر في الأمر كثيرًا، لكنها بصراحة تابعت قبل أن تفكر هي في الأمر كثيرًا. لم يكن لديهم فكرة عمن كان معهم أو ضدهم، فعملت على حشد المساعدة بشكل أعمى. "هناك ثمانية مقاعد في الدرجة الأولى. أريد اثنين فارغين والستة الأخرى مليئة بأشخاص على استعداد لمساعدتي في القتال".

"هناك شابان يجلسان في الدرجة الأولى وأعتقد أنهما سيرغبان في المساعدة. وأنت يا سيدي...". ابتسمت في وجه ديف وتابعت: "لنجعلهم ثلاثة. لذلك دعونا نحصل على ثلاثة ركاب آخرين، ثم سنعيد ترتيب الركاب في الدرجة الأولى. سيأتي الهجوم من الأمام، لذلك سنريد...".

قاطعها ديف: "يجب على النساء والأطفال أن يتوجهوا إلى الخلف".

ضحكت امرأة في مقعد قريب بجوار النافذة وقالت: "يا إلهي، نحن لسنا على سفينة التايتانك". نهضت ووضعت ركبتهما على الكرسي وذراعها على المقعد أمامها.

أتى صوت من المقاعد الوسطى: "أريد التطوع أنا وزوجتي يا سيدي". أوامات زوجته برأسها.

سخر ديف: "سيداتي، أعتقد أنه سيكون من الأفضل للنساء...".

قالت المرأة بصوت هادئ: "دعني أعد صياغة ما قيل". ثم واصلت توضيح أنها كانت من قدامى المحاربين في سلاح مشاة البحرية المكون من ست فرق، ثم انتقلت إلى قسم الإطفاء في شرطة لوس أنجلوس، وأن زوجها كان مسعفًا وحصل على الحزام الأسود في الجيو جيتسو.

لم يكن لدى ديف الكثير ليقوله بعد ذلك. قالت جو بسرعة: "ممتاز هذا يجعل منا خمسة أشخاص جاهزين. ما زلنا بحاجة إلى شخص واحد آخر".

انتقل صوت همهمة المحركين من ضوضاء الخلفية إلى كونه الصوت الوحيد المسموع. لم يتحرك أحد، ولم ينطق أحد بكلمة. كانت تلك تكتيكات المدرسة الابتدائية. إذا بقيت ساكناً مكانك لفترة كافية، فلن يطلب منك المعلم الإجابة. صدر صوت نقرة معدنية وحزام أمان يُفك. تحول التركيز عن ضوضاء المحركين إلى رجل واقف إلى في الصف الثالث من الأمام، من المقعد جهة الممر، على يمين الطائرة.

لاحقته عيون الجميع.

سأل بيغ دادي كيلى بصوتٍ خافت: "هل يمكننا الرفض بلطف؟".

كان الرجل ضخماً، لا يقل طوله عن ست أقدام وثمانى إنشات وربما أكثر. استدار ليواجههم، والتفّ الجميع إلى الوراء بينما انتشرت حالة من الغموض بينهم. كان شعره الأسود خفيفاً، وكانت عيناه داكنتين، وبرزت من وجهه شاحب للغاية. فهمت جو على الفور سبب فشل بيغ دادي في فهم طبيعة الرجل. فقد تميز بغموض غير ملموس.

تبادل المضيفون النظرات في ما بينهم.

قال بصوت أجش ومنخفض: "سأساعدكم".

كانت اللهجة أجنبية لا محالة، ولكن لم يكن أصله واضحاً فنبرة صوته كانت خالية من العاطفة.

أجبرت جو نفسها على اصطناع ابتسامة ثقة: "شكراً لك سيدي. هذا يجعلنا ستة أشخاص".

الفصل التاسع عشر

راقب ثيو وحدة برافو تقتحم المكان وتركن عربتها في كشك لبيع البوريتو يعمل 24 ساعة في اليوم عبر الشارع من مركز التسوق. كانوا بعيدين بما يكفي عن سيارة عائلة هوفمان، لكنهم تمكنوا من الحصول على خط رؤية مباشر. انتظر الجميع تلقي الأوامر.

أخيرًا، سمعوا صوتًا عبر سماعات آذانهم، "لا شيء". كانت المصاييح في السيارة مطفأة، ولم يروا أحدًا. وكانت النوافذ داكنة ومن الصعب التأكد إن كان أحد في الداخل.

قضت ليو ظفر إصبعها بينما راقب ثيو واجهة المتجر الوحيدة في الساحة حيث كانت المصاييح مضاءة. بعد دقيقة، خرجت عميلة ترتدي ملابس مدنية من الباب. ملأ صوتها آذانهم بعد لحظة. قالت: "إن هذا المتجر والآخر هما الوحيدان اللذان يعملان في المكان بأكمله. أحدهما فقط لديه كاميرات مراقبة، وهي لم تعد تعمل منذ أشهر خلت". رفع ثيو رأسه وفكر "إن لم تكن الأسرة داخل السيارة رباعية الدفع، فيجب علينا التحرك". كان الوقت ينفد منهم بسرعة، وما تبقى منه كان سيتهي إن اكتفوا بالجلوس هناك.

في المقام الأول، يجب تحديد مكان الخاطف، كان اتباع بروتوكول مكتب التحقيقات الفدرالي في مثل هذه المواقف أمرًا أساسيًا لضمان أن الخطوة التالية لن تحمل أي مفاجآت أخرى. احتاجت فرقة المتفجرات إلى إجراء عملية تمشيط كامل قبل أن يتمكنوا حتى من الاقتراب من السيارة. لكن لم يأخذ بروتوكول مكتب التحقيقات الفدرالي في الاعتبار زمن هبوط الطائرة.

فمع مضي كل ثانية، كانت الطائرة تقترب من وجهتها، وبالتالي كانت كل دقيقة جوهريّة.

تحقق ثيو من ساعته في الوقت نفسه الذي تحققت فيه ليو من ساعتها أيضًا. أغمضا أعينهما، وبدا جليًا أنهما يفكران في الشيء نفسه. سألت مركز الاتصال عبر الراديو: "كم من الوقت سيستغرق وصول فرقة المتفجرات؟".

أجابها صوت: "سبع دقائق يا سيدتي". "بمجرد وصولهم إلى هنا، ما المدة التي يستغرقونها للتجهيز، والاقتحام، وإخلاء السيارة؟".

"نصف ساعة على الأغلب". تبادل العميلان النظرات. سألت ليو ثيو: "كم من الوقت نملك؟". مشيرة بذلك إلى الوقت المتبقي حتى موعد هبوط الطائرة.

تحقق من ساعته مرة أخرى ثمّ أجاب: "قراءة ساعة وعشرين دقيقة. لكن سيتوجب على القبطان رمي أسطوانة الغاز إلى المقصورة قبل ذلك". بدت ليو وكأنها تفكر في كلماته وهي تحدد إلى سيارة عائلة هوفمان ذات الدفع الرباعي.

بصقت قطعة من طرف ظفرها، وانتقلت إلى ظفر آخر. "ماذا سيحصل إذا انتظرنا الإذن، ثمّ اكتشفنا أنهم ليسوا في السيارة؟". أجاب ثيو: "ستبقى مهمتنا هي العثور عليهم". كانا متفقين أن الوقت غير كافٍ. علم ثيو أنه محق، وعلم أن العملاء أيضًا يعرفون أنه مُحق. وعلم ثيو أن ليو تعرف أنه مُحق.

أمسكت بخوذة، وضعت حزام الذقن وقالت: "لا يتبعني أحد حتّى أمرمك بذلك، هل هذا واضح؟ أريد أن يُسجل أنني اتخذت هذا القرار بنفسني، وسأتحمل

كامل المسؤولية عما سيحدث بعد ذلك".

تملك ثيو شعور بالخوف، لقد اعتاد أن يخاطر بحياته، لكنه لم يعتد أن يخاطر بحياة شخص آخر.

كانت هذه حياة شخص آخر. فكر ثيو في ذلك الرجل الذي أوماً له برأسه معلناً ثقته فيه.

منذ الانفجار، انتشر ألم مبرح من ذراعه اليسرى المصابة صعوداً وهبوطاً في جسده بلا توقف تقريباً. لكنه حجب عن نفسه الشعور بالألم وهي قوة عقلية طورها على مدى سنوات عديدة من تدريبه الذين وعظوه أن العقل أكثر قوة من الجسد. ولكن بينما راقب ليو وهي ترتدي البذلة، بدا أن الألم ينبض بقوة أكبر، كما لو أنه كان تحذيراً.

تسلل الشك إلى ذهن ثيو ووصل إلى أماكن لم يسبق له أن بلغها.

قال وهو يرفع ذراعه المتدلية: أعتقد أنك أخبرتني أن التصرف بهذه الطريقة كان فكرة سيئة".

أجابت وهي ترفع مسدسها من قرابه: "نعم، إنه كذلك".

لقمت المسدس، ثم فتحت باب السيارة، وترجلت منها.

صُدموا جميعاً، وشاهدوا ليو وهي تسير عبر ساحة ركن السيارات، شاهرةً مسدسها، في مكان مفتوح ومكشوف، لا يفصل بينها وبين سيارة عائلة هوفمان سوى الإسفلت. كان من الممكن أن يحجب واقبي الشمس الموجود في الزجاج الأمامي أي شخص بالداخل من رؤيتها وجهًا لوجه.

أبطأت مشيتها بالقرب من السيارة قبل أن تأخذ وضع القرفصاء بجانب غطاء محرك السيارة، وبقيت ساكنة في مكانها المظلم. عندما أمالت أذنها قليلاً نحو السيارة، أصبح ثيو مدركًا للصوت البعيد لحركة المرور كما لو أن جسده تلقى الأوامر من جسدها.

انبطحت ليو، ونظرت أسفل السيارة.

بعد لحظات، نهضت مرة أخرى، وبدت مرتاحة لتأكدتها أن الهيكل السفلي للسيارة لم يحمل أي متفجرات.

نظفت كفيها، ثم جثمت وشقت طريقها ببطء صوب المقعد بجانب السائق، وحرصت على إبقاء رأسها أسفل خط النافذة. فتشت المقبض عند كل باب للتأكد أنه لم يكن هناك أي أفخاخ.

لم تتوقف، لذلك افترض ثيو أن المقابض كانت خالية من الأفخاخ أيضًا، التفت باتجاه المصد الخلفي، واختفت عن الأنظار.

قال العجوز الذي جلس في مقعد السائق: "لم تعد ضمن مجال الرؤية الخاصة بالوحدة ألفا".

أجاب صوت تردد في أذن ثيو: "إنها في خط نظرنا". كان يعلم أن هناك قناصين يترصدون في الموقف من ثلاث جهات مختلفة وكانوا على أهبة الاستعداد. كانت حالة الترقب في السيارة ملموسة، وأصبح الهواء كثيفًا ودافئًا. عض ثيو شفته حتى ظن أنها ستنزف.

قال أحد العملاء الذي تمكن من رؤية ليو عبر الراديو: "استعدوا..." ثم سمع صوت صرير متبوعًا بسلسلة من الشنائم الغاضبة بصوت عالٍ جدًا. تكلمت ليو عبر الراديو: "المكان خالٍ. لا يلمس أحد السيارة حتى تمسحها فرقة المتفجرات. لكن العائلة ليست هنا". عادت ليو للظهور من خلف السيارة، أعادت مسدسها إلى قرابه، ونظرت إلى ساعتها.

بدوره نظر ثيو إلى ساعته، كان عليهم انتظار التقنيين كي يصلوا ويفحصوا السيارة قبل أن يتمكنوا من البحث عن أدلة، لكن احتمال ترك المشتبه به لأي شيء مفيد كانت ضئيلة. لن يكون مهملاً لدرجة ترك بصمات الأصابع أو حمض نووي. لم يكن هناك وقت للهروب على أي حال. خرجوا من السيارة متسائلين إلى أين أخذ الإرهابي العائلة. وماذا سيفعل بهم؟ نظرت ليو إلى السماء خلف البعوض الذي تطاير أمام أضواء الشوارع بالساحة، نظر ثيو إلى الأعلى ورأى طائرة، على

ارتفاع أميال، وأضواؤها تومض وتطفئ أثناء تحليقها.

وضعت ليو راحتي يديها فوق عينيها للحظة، قبل أن تنهد بصوت عالٍ بما يكفي ليتمكن ثيو من سماعها، مدت يدها إلى جيبتها، وأخرجت هاتفها. سار ثيو فوق الطريق الإسفلتي في ساحة انتظار السيارات المتسخة، وذكر نفسه في كل خطوة بأهمية التركيز. ضعوا الدلائل للمراجعة واجمعوها. لكنهم سرعان ما أدركوا أنه لم يكن هناك أي دليل. قال المساعد التنفيذي في الهاتف: "ليو هنا"، في اللحظة نفسها التي وصل فيها ثيو إليها.

تنحنحت وقالت: "الموقع الثاني خالٍ تمامًا. ابدأوا المرحلة الأولى من عمليات إخلاء المدنيين في العاصمة واشنطن".

الفصل العشرون

اعتاد جورج باترسون، الذي جلس في برجه فوق مدارج مطار جون كينيدي الدولي، على التكيف مع الظروف التي كانت خارجة عن إرادته. كان هذا مختلفًا.

شيك أصابعه، أراح جبهته على براجم أصابعه، ووضع مرفقيه فوق كومة من الأوراق التي تناثرت على مكتبه: مسارات الطيران، تقارير الطقس، وبرتوكولات الطوارئ. صفحات مليئة بالرموز، والشيفرات، والاختصارات التي سيراهها معظم الناس على أنها مجرد خربشات غير مفهومة.

اعتاد جورج أن يخبر الناس بابتسامة عندما يُسأل عما يفعله للحصول على لقمة العيش: "أعمل مراقبًا للطيور". قال ذلك من قبيل المزاح، لكنه يواصل هذا العمل منذ سبعة وعشرين عامًا، شاهد الأجنحة المعدنية تعكس ضوء الشمس والقمر وهي تحلّق في السماء. كان يسهل على معظم الناس فهم وظيفة مراقب الطيور بدلًا من القول مدير العمليات الرئيسي لمراقبة الحركة الجوية في مطار جون كينيدي الدولي.

لقد شعر بالسلام عند تعامله مع الأعطال الميكانيكية، وحالة الطقس، وعوامل الزمن، وقوانين الفيزياء. لم يملك أي سيطرة عليها. هذا ما كان عليه الأمر ببساطة. اقبل الوضع الحالي، وتعامل مع ما يمكنك التحكم فيه. لا تضيع الوقت في ما لا يمكنك السيطرة عليه، فهذه هي الطريقة التي أدار بها البرج، ولهذا كان المدير الرئيسي، وللمرة الثانية في حياته المهنية، تسلل الإحباط إلى سلوكه العملي المعتاد، وفكّر في أن الأمور يجب أن تكون مختلفة.

راودته الفكرة نفسها في نهاية 11 أيلول عندما جلس على جانب حوض الاستحمام بيكي، مختبئًا عن زوجته وأولاده. كانت وظيفته بأكملها هي الحفاظ على التوازن في بيئة محفوفة بالعوامل الخارجة عن السيطرة. وقف أمام شاشة التلفاز يشاهد فيديو الطائرة. وها هو يشعر بالإحباط مجددًا، لأن المشكلة التي يواجهونها اليوم لم تكن عرضية بل تسبب بها شخص ما.

شاهده الموظفون وهو يمشي باتجاه نافذة مكتبه. كل محطة مشغولة، انحنى المسؤولون عن وحدات التحكم في كراسيهم، وتحدثوا بسرعة في سماعاتها، تبدلت محطات الراديو، وتغيرت شاشات العرض على الشاشة الرئيسية. كان يعلم أن عددًا لا يحصى من الأبراج والمراكز الأخرى في جميع أنحاء البلاد تلقت نفس توجيه الطوارئ الذي تلقوه في مطار جون كينيدي الدولي.

يُعتقد أن مساعد الطيار في رحلة كوستال 416 لا يعرف بمأزق القبطان، لا تناقشوا الوضع على الخطوط المفتوحة. وجهوا كل غرفة القيادة إلى الترددات البديلة للإحاطة.

سيتم تحويل جميع حركة المرور الواردة في منطقة مطار جون كينيدي بالتناوب، سيتم فرض منطقة حظر طيران عند اقتراب طائرة كوستال 416.

يجب أن تظل جميع الاتصالات مع الطائرة 416 معيارية. التمويه والتكتم هو هدفنا وأملهم الأفضل في النجاة.

في جميع أنحاء البلاد، تبادل القباطنة ومساعدتهم في الطائرات نظرات الحيرة والفضول لمعرفة سبب توجيههم إلى قنوات اتصال جديدة. لكن سيتهيئ الشك عندما يغير الطيارون المسار واحدًا تلو الآخر استجابة للبروتوكول الجديد. لقد كانت معجزة تقريبًا، السرعة التي تنتقل بها شبكة الاتصالات عبر السماء. علم كل طيار في العمل في ذلك اليوم بالوضع الحالي واستجاب كما تم تدريبه.

فقط أولئك الذين يحتاجون إلى المعرفة يعرفون أن المطارات في العاصمة - مطار دالاس الدولي، مطار ريغان الوطني، مطار بالتمور / واشنطن الدولي -

كانت تستعد أيضًا كما الحال في مطار جون كينيدي. لكنهم لم يملكوها أي فكرة عن الهدف وراء ذلك.

لم يكن يفترض بهم التعامل مع هذه الرحلة، لم تكن هذه إحدى طائراتهم، وإذا انتهى الأمر بالقبطان باصطدام الطائرة بالهدف الذي حدده الإرهابي، فلن يتمكنوا من التعامل مع مسار الرحلة 416 على الإطلاق.

لا يزال يتعين عليهم أن يكونوا مستعدين من أجل أي شيء.

لكن بمجرد أن شاهد المراقبون في نيويورك الفيديو في الأخبار، بمجرد أن عرفوا أن وجهة الطائرة كانت مطار جون كينيدي، باشروا بالعمل من دون الحاجة إلى إخطارهم بذلك. استطاع جورج رؤية أحد مراقبيه يرتدي ما كان واضحًا أنه ملابس نوم. خلعت مراقبة أخرى كعبها العالي ووضعت تحت مكتبها. لم يكن يسير الموعد الأول على ما يرام على أي حال. وآخر كان يرتدي قميصًا مبللًا بالعرق وعلى ما يبدو أنه قد أتى من النادي مباشرة.

يا إلهي، لقد أحب هؤلاء الناس. كم كان فخورًا بتفانيهم في أداء واجبهم. مثل المنارة، كانوا بمثابة طمانينة ثابتة تنشر الأمل. في فوضى العاصفة هذه، سيتوقعون ما لا يمكن توقعه، سيكونون منارة الوطن، وليس فقط برج المراقبة، كان لكل وحدة تحكم وكل مركز يتعامل مع الرحلة 416 هدف مشترك: الإرشاد الآمن للهبوط. لم يكن هذا مكتبًا أو مكان عمل بل كان هذا برجهم. حيث أمضوا العطلات، نهايات الأسبوع، ليالي العمل المتأخرة وبقوا حتى الصباح الباكر سويًا. كان هذا منزلهم الثاني.

لكن جورج يعلم أنه في أي لحظة سيصل المسؤولون العسكريون وسيتحول المكان إلى غرفة عمليات مزدحمة.

"مرحبًا، أيها المدير؟"

نظر جورج إلى الرجل الواقف عند المدخل. تدلى الشعر الأشقر على كتفيه من أسفل قبة فريق ميتس الباهتة بينما ارتدى قميصًا صيفيًا مجعدًا وفضفاضًا

لإخفاء بطنه. كان ذلك الشخص الذي يعد انحدارًا للرجولة هو أذكي وأقدم مراقب عمل لدى جورج. هذا ما صرح به داستي نيكولز عن قراره في أن يصبح مراقبًا للحركة الجوية، "إما مراقبة الحركة الجوية وإما مراقبة العواصف". كانت هاتان الوظيفتان الوحيدتان اللتان فكّر فيهما ولا تتطلبان ربطة عنق أو الاستحمام بانتظام. سأل جورج: "ما الأمر؟".

"مركز شيكاغو معي على الخط، إنهم يخبرونني أنهم يتواصلون مع قبطان الرحلة أربعة- واحد- ستة - لكن ليس عن طريق الاتصال الصوتي".
أمال جورج رأسه.
"حسنًا".

عدّل داستي قبعته، وحول ثقله من قدم إلى الأخرى وقال: "إنه أمر بغيض يا رجل. يستخدم القبطان الميكرفون اليدوي ليرسل شفرة مورس".

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الحادي والعشرون

لم يستمع بيل إلى شيفرة مورس ويدونها منذ زمن. لذا غاب عنه في البداية، أنها ما كان يبث إليه في الطائرة عندما بدا أن لا أحد يستمع. عادت إليه معرفته القديمة بسرعة، وأخذ العرق يتصبب من راحة يده وهو يركز بشدة. كان من الصعب فهم شيفرة مورس بمفردها، ناهيك عن الاضطرار إلى القيام بذلك سرًا أثناء إجراء محادثة أخرى. لا يعرف الطيار العادي شفرة مورس، لا يعرفها سوى قلة من قدامى الطيارين الحربيين، لقد كانت لغة ميتة تقريبًا.

كان هذا صحيحًا الآن، كما كان صحيحًا أيضًا قبل ثلاثين عامًا عندما قدم بيل نفس الحجة لمدرّب طيرانه الأول. لكن لم يقبل الطبيب البيطري في الحرب العالمية الثانية بذلك، ولم يهتم بأن بيل وجد شفرة مورس صعبة، مضجرة ومضیعة للوقت. كانت تلك أداة أخرى في صندوق الأدوات.

قال إن بيل سيتعلم بسرعة أن الأمور قد تصبح قبيحة حقًا وبسرعة. وعندما يحصل ذلك أراد أن يكون صندوق أدواته ممتلئًا قدر الإمكان.

لم يشعر بيل بمثل هذه السعادة من قبل لكونه مخطئًا. راقبته كاري باهتمام من الجانب الآخر من الشاشة. في عمق حياتهم الحالية، اعتقد بيل بصدق أنها عرفته بشكل أفضل مما عرف نفسه. من خلال النظرة إلى وجهه، عرفت أن عقله كان في مكان آخر. تمنى أن يخبرها بما كان يفكر. انتظري يا حبيبتى سوف أحلّ هذه المشكلة.

تحقق سام من هاتفه: "لقد اقتربنا للغاية من وقت الحسم. أريدك أن تأخذ قرارك يا بيل".

شعر بييل بنبض قلبه يصل إلى حلقة بسبب التوتر.
تحرك في مقعده متلعثماً في محاولة منه للمماطلة.
قاطعته سام وبدت نبرته ساخرة: "هيا يا بييل. ما هو خيارك؟".
من زاوية عينه، رأى بييل المسدس يمتد بالقرب من رأسه.
قال صوت: "رجاءً خذني. أنا لوحدي".
تميز صوت الفتى الهادئ بنقاء فطر قلب بييل.

ارتجفت شفة سكوت السفلية، لم تكن مناشدته تساوي مناشدة رجل ناضج
يقبل عن عمد عبء مصيره. كانت صرخة طفل صغير نابغة عن براءة من دون أن
يكون لديه إدراك لحقيقة الموقف.
طفل يقلد ما رأى البطل يفعله في الأفلام، ما اعتقد أن والده سيفعله.

دار محرك قطار اللعبة مرة أخرى، اتسعت عينا سكوت بسرور حيث مر
القطار الصغير، وهو ينفخ ويثر، اختفى داخل النفق الورقي، وظهر على بعد أمتار
قليلة بالقرب من المنطقة التي وقفت فيها الخيول البلاستيكية.
نظر بييل إلى ساعته، خمس وأربعون دقيقة ولم ينطق بكلمة واحدة، التفت إلى
مجموعة من الممرضات يمشين وهن يحملن أكواب قهوة ورقية.
تسبب الحمل غير المخطط له بالصدمة لبييل وكاري.

أفسح رد فعلهما المذهل المجال للإثارة - لكن الحقائق الطبية والإحصائية
لامرأة حامل في الثانية والأربعين عامًا كانت معلقة بشكل ينذر بالسوء خلال
الأشهر التسعة الماضية. نظر بييل إلى هاتفه مرة أخرى بحثاً عن رد من
الطبيب.

لا شيء حتى الآن.

سأله سكوت: "هل تعتقد أنها ستحب القطارات؟"

ابتسم بييل: "أراهن أنها ستحبها. يمكنك تعليمها كل شيء عنها".

لم تفارق عينا سكوت اللعبة التي تدور أمامه. سأل والده: "أين ستنام؟ ستنام؟".

فكر بيل: "حسنًا، ستنام في غرفة الحضانة. هذه ستكون غرفتها".

طلى بيل الغرفة باللون الأصفر الفاتح في عطلة نهاية الأسبوع الماضي، سأل بيل سكوت المساعدة، لكن رفض سكوت دون الكثير من التفسير. ولم يجبره بيل على المساعدة.

"تقصد غرفة لعبي القديمة؟".

تردد بيل للحظة ثم أجابه: "نعم... غرفة لعبك القديمة. لكن الآن يمكنك اللعب في غرفة الجلوس. وعندما تكبر أليز بما يكفي سيصبح بإمكانكما اللعب معًا".

تمتم سكوت بشيء ما، كان بيل سيسمح للموضوع بالمرور. لكن بعد ذلك لاحظ أن الفتى الصغير حاول جاهدًا ألا يبكي. جثا على ركبتيه على مستوى عيني سكوت.

همس سكوت: "هل تعتقد أنها ستحب كرة السلة؟" ثم انزلت دمعة على خده. أجابه بيل: "لا أعرف يا صديقي، علينا أن ننتظر ونكتشف ذلك. هل تعتقد أنها ستحب كرة السلة؟".

هز سكوت رأسه.

قال بيل: "حسنًا". وبالكد استطاع سماع همسات سكوت.

"نحن نحب لعبة البيسبول".

آه. ذلك ما عناه. فهم بيل الآن.

قبل عقد من الزمن، أعطته كاري اختبار حمل إيجابي. في تلك اللحظة أحس بما يمر به سكوت الآن. لم يكن بيل مستعدًا ليكون أبا. لم يكن قد مضى على زواجهما سوى عام واحد فقط، كانا سيسافران، وسيسهران الليالي، سينامان دون أن يضبطا المنبه، وسيشربان النبيذ متى ما أرادا.

وقتها كانت كاري تنهي دراستها، وعاشا في غرفة رثة في منطقة سيئة من لوس أنجلوس. لم يكن قريبا حتى من سداد قروض مدرسة الطيران الخاصة به.

لكن الأهم من ذلك كله - بكل أنانية - لم ينته من كونه مركز عالم كاري، لقد وجد حب حياته، وأرادها أن تكون له وحده. أراد أن يكون الشخص الوحيد الذي تحبه، كره نفسه في تلك اللحظة لأن أول ما شعر به عندما نظر إلى اختبار الحمل كان الاستياء.

بعد كل تلك السنوات، يعرف بيل أن سكوت يشعر بالاستياء.

أراد سكوت أن يظل مركز عالم والديه، أراد أمه وأباه له وحسب، أراد أن يكون الشخص الوحيد الذي أحياه.

رن هاتف بيل عند وصول رسالة نصية.

قال بيل: "هيا بنا يا صديقي علينا الذهاب، لقد ولدت أختك".

طرق بيل الباب بهدوء بعد صعوده ثلاثة طوابق ثم فتحه ليسمح لسكوت بالدخول أولاً. استلقت كاري على السرير وهي تحتضن بطانية وردية لامعة. أضاء وجهها المنتفخ عند دخولهما، واختفت عيناها تقريباً وهي تبسم بسعادة.

قالت بصوت ضعيف ومتعب: "ها قد أتى رجلاي. أصبحت بخير الآن".

استجمع بيل كل قوته كي لا يركض إلى فتاته ويأخذها بأمان بين ذراعيه. كان المخاض طويلاً وشاقاً، وطُرد بيل من الغرفة عندما انخفض ضغط دم الطفلة، عندها قرروا إجراء ولادة قيصرية.

ظل يراقب بينما أحاط الأطباء بسريرها وهم يركضون معها على طول الممر ويختفون في ممر آخر. شعر بالعجز وقلة الحيلة عندها. بقي بيل وحده ليس لديه ما يفعله سوى الانتظار ومواساة سكوت.

همس لها: "أنت عظيمة. لقد فعلتها يا كاري. انظري".

مدت الطفلة أليز ذات الوجه الوردي والمثالي ذراعيها. فتحت فمها وهي تتشاءب، وأصدرت صوتاً خفيفاً أشبه بصوت القطة الصغيرة. صدر ذلك الصوت عن شفيتها المجعدتين.

نظر سكوت إلى المولودة الجديدة بعينين واسعتين، وسقط الحيوان المحشون الذي اشتراه هو وبيل من محل الهدايا على الأرض. مدّ إصبعه الصغير باتجاهها ولمس خدها.

همس: "إنها صغيرة جدًا".

حملة بيل إلى السرير بجانب والدته، فأعطته كاري أليز بلطف؛ أمسكها بيديه وأسند رأسها. نظر سكوت إلى عيني أخته، وبطريقة ما حصل تفاهم بينهما. لم يفهم بيل الرسالة، لكنه فهم أن الرسول هو نفسه الذي زاره في المرة الأولى التي أمسك فيها سكوت بين ذراعيه.

ما كان قبل تلك اللحظة لم يكن أبدًا ما بعدها.

كانت تلك نقلة نوعية خارقة للطبيعة.

همس سكوت لأخته الصغيرة، "سأعلمك كل شيء عن القطارات والبيسبول أيضًا".

قال بيل وخدها يرتجفان: "يا صديقي، لم يسبق لي أن سمعت شيئًا أكثر شجاعة من هذا". لقد حاول يائسًا ألا يبكي، ليكون بنصف شجاعة ابنه. تابع: "ابق بجانب أليز، حسنًا؟ إنها بحاجة إلى أخيها الأكبر الآن. اعتنِ بطفلتنا الصغيرة، حسنًا؟".

راقب بيل كاري وهي تنحني، وتقبّل رأس ابنهما، والدموع تتساقط على شعره الكثيف، تلك الخصل العنيدة حتّى الآن. نظر كاري وسكوت في ترادف مرة أخرى، يشاهدان شيئًا أمامهما، تمامًا كما فعلا من قبل.

فتح بيل فمه باندهاش. أعاد تقويمه بسرعة، وضع مرفقيه أمام الحاسوب، ثمّ دفن رأسه بين يديه. لقد بدا وكأنه رجل مهزوم في حالة من الإحباط - لكن موقعه الجديد جعل أذنه أقرب إلى المتحدث حيث استمع إلى الصمت القادم من الآلة مغمضًا عينيه، مستمعًا لتأكيد ما اشتبه به.

هناك! ها هي ذا. تغيرت ضوضاء الخلفية بشكل طفيف للغاية، قعقعة المحرك النفث التي تزداد خوفوتًا مع كل لحظة.

شاهدا الطائرات وهي تقلع. كانا بالقرب من المطار.

نقر بن المسدس بنفاد صبر على لوحة القيادة، فجعلت الضوضاء ببيل يقفز من مكانه. خبأ يده بعيداً عن الأنظار وبدأ بنقر شيفرة مورس بالزر الموجود على الميكرفون اليدوي بأسرع ما يمكن.

قاطع سام تركيز ببيل وقال: "لقد حان الوقت لإلقاء الأسطوانة".

"لن أرمي أي..."

رفع سام المفجر. "إذاً هذا خيارك؟ تريد أن تنجو الطائرة؟".

أجاب ببيل سريعاً، "لا". ثمّ لمس حاسوبه، كما لو كان بإمكانه لمس عائلته

وتابع، "لا، هذا ليس خيارى".

قال سام: "سيكون هذا خيارى إن لم ترمِ الأسطوانة".

بقي فم ببيل مفتوحاً ومعلقاً في الهواء، محاولاً العثور على كلمات مناسبة

باستثناء تلك التي وجب عليه قولها.

مد بن المسدس، وعدل سام قبضته على المفجر..

قال ببيل: "حسناً، سأفعلها".

الفصل الثاني والعشرون

وقفت جو في مقدمة الطائرة تراقب فريقها من المتطوعين.
أسند الرجل الطويل رأسه إلى المقعد، وأغمض عينيه.

تساءلت جو كيف يمكنه النوم في مثل هذا الوقت. بدا كل شيء حوله غريبًا.
وفقًا للائحة، كان اسمه جوسيب غورولي، ولم تجد كيلبي شيئًا بعد بحثها عنه عبر الإنترنت. لم يكن لديهم سبب لعدم الثقة به عدا شعورهم الفطري. لكن اليوم، كان لذلك القرار تداعيات كبيرة.

شاهدت دادي وهو يُطلع ركاب صف مخرج الطوارئ فوق الجناح، وتأكد من فهمهم لكيفية عمل الأبواب والمكان الذي ينبغي عليهم وضع أنفسهم فيه أثناء الإخلاء. وزعت يده الحازمة الأدوار بثقة: أنت وأنت - قف في آخر الممر وساعد الناس. أنت - اهرب من الطائرة وادعُ الناس إليك. أوامات الرؤوس إلى الأعلى والأسفل.

سحبت جو صينية عليها زجاجات مياه صغيرة من المطبخ، وأعطتها إلى المتطوعين الستة الجدد أثناء مشاهدتها لراكبة أصغر سنًا تمر بجانب بيغ دادي في طريقها إلى الخلف. إلى أين هي ذاهبة الآن؟ هزّت جو رأسها محبطة لأن الجميع كانوا مذنبين حتى تثبت براءتهم. تعارض ذلك مع نظرتها النموذجية للإنسانية.

قالت وهي تمر بجانب رجلي أعمال شابين جلسا في المقعدين بجوار الممر في الصف الأول: "اخلعا ربطة العنق إنها تشكل خطر اختناق". امثل الشبان على الفور لما طلبته منهما.

تم توزيع المياه، وأعدت الصينية الفارغة إلى مكانها قبل أن تنحني خلف ستارة المطبخ لتفحص هاتفها. لا شيء جديد من ثيو.

وضعت هاتفها في جيبتها، وأخذت الإمدادات الخاصة بها قبل أن تخرج من المطبخ وتحدث إلى المتطوعين.

قالت جو: "حسنًا يا سيداتي وسادتي، دعونا نفعل ذلك".

اجتمع المتطوعون برئاسة جو. تقاطعت الأيدي، توحد التركيز، واستعدوا للمعركة تحت قيادة جو. لم يقاطعها أحد ولا حتى ديف.

قالت: "إن أدواتنا محدودة، لذا يجب علينا العمل بما لدينا. الأفضلية التي نتمتع بها هي أننا مستعدون ومنسقون فيما بيننا، حسنًا؟".

أومأت جميع الرؤوس.

"هدفنا الأول هو الاحتواء. نريد أقل كمية ممكنة من هذا السم في الهواء".

شعرت جو بشيء من الذنب وهي تتحدث، لم تكن بحاجة إلى شرح سبب أهمية احتواء الغاز، لكنها أغفلت حقيقة الزمن المحدود لأقنعة الأوكسجين، شكّلت الساعة الموقوتة التي لا يمكنهم فعل أي شيء حيالها ضغطًا إضافيًا لم يحتاجوا إليه.

مدت ذراعها، وتدلّت من يديها أكياس قمامة رمادية متينة.

قالت جو: "هذا أفضل ما أمكننا الحصول عليه". وسلمت كيسًا إلى كل شخص، وشرحت كيف ستسير الأمور.

جلس ستة منهم وقد ارتدوا أقنعة الأوكسجين الخاصة بهم، سوف تحمل جو زجاجة أوكسجين محمولة. وقفت أمامهم عند الحاجز مباشرة أمام باب غرفة القيادة في انتظار فتحه، كانت ستلاحق الأسطوانة بعد أن ترمى لأن الأوكسجين المحمول الخاص بها سيسمح لها بالحركة. بعد أن تمسك بالأسطوانة سترميها داخل الكيس الأقرب إليها في ذلك الوقت. سيقوم حامل الكيس بربطه وإغلاقه في أسرع وقت ممكن ثم سيرميها في الكيس الأقرب إليه.

ستأخذ جو بعدها الكيس المزدوج وستضعه في المرحاض وسيغلق الغطاء،
ثم ستغلق الباب.

أومأت الرؤوس أمامها.

"حافظوا على أفتعتكم، مفهوم؟ احبسوا أنفاسكم إذا اضطررتم لخلعها لسبب
ما. ثم أعيدوا تشغيله بسرعة. ونحن نعمل كفريق واحد ولا يمكن ترك أي شخص
مكشوفاً لفترة طويلة".

غمغم أعضاء الفريق وأعلنوا موافقتهم وانحنوا إلى الأمام، وكانوا مستعدين
للمرحلة التالية، من الخطة، بدوا متحمسين ومصممين على المساعدة، ولكن ماذا
لو كان شريك الإرهابيين واحداً منهم؟ ماذا لو كانت قد أعطت يدها للتو للشخص
الذي كانوا قلقين بشأنه؟ نظرت جو إلى فريقها وأدركت: ليس لديها أي خطة لهذا
الاحتمال المظلم.
"هل هناك أسئلة؟".

الفصل الثالث والعشرون

سمع ثيو صوت طقطقة في سماعة أذنه.

أتى صوت من سيارة الاتصالات: "أنتم لن تصدقوا هذا يا رفاق. تلقينا للتو معلومات مفادها أن القبطان هوفمان يتواصل مع برج المراقبة الجوية سرًا باستخدام شيفرة مورس".

أخبرهم بيل أن عائلته كانت في سيارة مركونة، كبيرة بما يكفي ليجلسوا جميعهم في الخلف. لم يعرف الموقع الدقيق، لكنه علم أنهم في مكان ما بالقرب من مطار لوس أنجلوس.

قال إنهم ينظرون من النافذة الخلفية للسيارة، يشاهدون الطائرات وهي تطلع.

بعد أن أنهت جو إحاطة متطوعيتها بالمعلومات، جمعت آخر أكواب الدرجة الأولى التي كانت في خارج المطبخ قبل دخولها إلى المطبخ وإلقاء نظرة على المقصورة الرئيسية. أو شك داداي وكيلي على الانتهاء من الجولة الأولى من تنفيذ التعليمات. راقبتهما جو من زاوية عينها بينما كانت تخاطب أعضاء فريقها، وقد تفاجأت بمدى سرعتها في إنهاء المهمة.

في معظم الأيام، مثل اتباع الركاب في الطائرة للأوامر صراخًا، لا يحب الركاب أن يُخبروا بما يفعلون. لكن اليوم بدا الأمر وكأن كيلي وبيغ داداي لا يحتاجان إلى تصحيح تصرفات أحد. بعد عقود على بدء مسيرتها المهنية، فهمت جو أخيرًا لم قاوم الركاب في معظم الأحيان تنفيذ الطلبات الصغيرة مثل وضع الحقيبة بعيدًا، أو رفع ظهر مقعدهم، أو لماذا تجاهلوا عرض الأمان. كان نفس الدافع الذي منعهم

من قول الأشياء التي أرادوا قولها، والقيام بالأشياء التي أرادوا فعلها، أي أن يتصرفوا كما يريدون.

سيفعلون ذلك غدًا، في المرة القادمة، لاحقًا، ولكن الآن بعد فوات الأوان، أدركوا أن وجود الغد لم يكن أبدًا مضمونًا. لقد امتثلوا للأوامر الآن عن طيب خاطر، وحتى في محاولة يائسة منهم، فعلوا كل ما في وسعهم لكسب المزيد من الوقت لأنفسهم.

وضعت جو الأواني الزجاجية في حاملة مقسّمة في عربة المشروبات. أسقطت الأقنعة، تم إطلاع المتطوعين على الخطة، امثل جميع من في المقصورة للأوامر، وكان المطبخ آمنًا. ألقت جو نظرة خاطفة على الركاب بينما اقتربوا من نهاية تحضيراتهم متسائلة عما إذا كان قد فاتها أي شيء. تحوّل هؤلاء الغرباء إلى عائلة واحدة ما دفع جو إلى الرغبة بالبكاء. ربما كان ذلك بسبب نفاذ الوقت. أو ربما بسبب رؤية جو لرجل يخبر امرأة مسنة بجانبه بشكل عفوي أنه لن يتركها عندما يحين وقت الإخلاء. ربما لأنها رأت ولدًا مراهقًا - أكبر من أن يتم اعتباره قاصرًا غير مصحوب بذويه، لكنه مع ذلك يسافر بمفرده للمرة الأولى - تواسيه وتطمئنه العائلة التي جلست في الجهة الأخرى من الممر، استطاعت جو رؤية كبريائه المراهق يتلاشى لأنه سمح لنفسه بالشعور بالأمان الذي لا يستطيع أحد توفيره سوى الوالدين. ربما كان ذلك لأنها رأت الغرباء يمسكون بأيدي بعضهم ويصلون معًا.

أصبحت النفوس على متن الطائرة عائلة واحدة مثالية بعيوبها. كانت الحياة القصيرة لهذه العائلة على وشك الانتهاء، وباعتبارهم مجموعة فسوف يواجهون الموت معًا.

أرادت جو أن تأخذ الطائرة بين يديها مثل لعبة، أن تقبلها بلطف، ثم تضعها على الرف عاليًا في مكان آمن. شعرت بالفخر لكونها مع هؤلاء الأشخاص، ولأنها أضافت صوتها إلى الكورس. ربما أدت هي وكيلى وبيغ دادي أذوارًا مختلفة عن البقية، لكنهم كانوا جميعًا في هذا معًا.

ظهر ضوء أخضر مع رنين عالٍ ومنخفض. أمسكت جو بالهاتف الداخلي وسألت، "هل انتهيتم يا رفاق من مهامكم؟".

أجاب دادى على الطرف الآخر من الخط: "نعم يا سيدتي".
"وأنتم جميعًا مستعدون؟".

أكد دادى لها أنهم مستعدون ثمّ قال: "وأنت تدينين لي بخمسة دولارات".

"لا بد أنك تمزح، من؟".

"انظري إلى الممر، الزوجان في الصف الثالث عشر".

استدارت جو، وحاولت إخفاء ضحكتها. لقد وقف زوجان في منتصف العمر في الممر يكافحان لإزالة سترات النجاة المنفوخة.

قالت جو: "تبارك قلباهما". ثمّ ضحكت ولم يكن ذلك مفاجئًا بالنسبة إليها في الواقع.

انخفضت الطائرة قليلًا ما جعل التهديد وشيكًا.

قالت جو: "حسنًا، ضعنا الأفتحة أولًا، ووجهها الركاب بعدها. ثمّ أريدك أنت وكيلى في الخلف، في مقعديكما، جاهزين للهبوط، هل فهمتما؟"
"لكن...".

قاطعتها: "قد يكون هذا الهبوط قاسيًا وآخر ما نحتاجه هو أن تُحلقا في الأنحاء، أضف إلى ذلك أننا لسنا بحاجة إليكما هنا، لدي فريقي وستعامل مع الأمر. لكنكما تعرفان هذه الطائرة وأنتما تعرفان ما يجب القيام به في حالة الطوارئ. سيحتاجكما الركاب على قيد الحياة من أجل هذا. فهمتما؟".

تهند دادى: "مفهوم ولكن ليكن بمعلومك، أنا لست مرتاحًا لأنك هناك بمفردك مع ذلك الرجل".

نظرت جو إلى جوسيب، وأفصحت أنها لم تشعر بالارتياح أيضًا، فقد وقف على بعد مسافة قصيرة منها.

أجابت محاولة تخفيف هول الموضوع لتبدو أكثر اقتناعًا مما كانت عليه في الواقع: "لن أكون بمفردي، إذا حاول فعل شيء ما فلدي طائرة كاملة مليئة بالدعم. كل الركاب بصفنا، ألا تتذكر؟".

تمتم داداي بموافقته، من الواضح أنه لم يكن مقتنعًا، وكذلك هي. لكنهما علما أنه ليس لديهما خيار آخر. بعد إنهاء المكالمة، فتحت جو الكابينة العليا الأولى، وأخرجت زجاجة الأوكسجين المحمولة. سحبت الحزام من فوق رأسها، مرّت الزجاجة فوق جسدها بشكل مائل. أخرجت القناع الأصفر من الحقيبة، لوت الصمام عكس اتجاه عقارب الساعة حتّى ظهر الرقم 4 في النافذة الصغيرة على عنق الزجاجة، وضعت إصبعًا داخل القناع، وشعرت بتدفق الهواء قبل شمه. كان عديم الرائحة. وضعت القناع، ثمّ أحكمت شد الأحزمة الواسعة، ووضعت القناع البلاستيكي فوق جسر أنفها. ثمّ أدارت الزجاجة حولها حتّى استقرت على ظهرها. ألقّت نظرة إلى الخلف لترى أن كيلبي ودادي أنبيا مهمتهما.

أثناء سيرها في الصف الأول، ساعدت متطوعها في ارتداء أقنعتهم، وسحبت الأنابيب لبدأ الأوكسجين بالتدفق. لقد كان تمرينًا هادئًا وحتى حميميًا. لكن الوضع تغير عندما عادت إلى مكانها في مقدمة الطائرة ونظرت إليهم. لا يمكن للأعين أن تكذب.

غطت الأقنعة وجوه الركاب، لم تستطع جو معرفة ما إذا كان أحدهم ما يبتسم أم يعبس. إذا كان يجعد أنفه أو يخرج لسانه. يطرح سؤالًا عليها أو يصرخ للتنبيه. تم توجيه كل حركة، كل نية، كل عاطفة من خلال العيون.

بدأت جو باختبار مطابقة التعليمات النهائي. إيماءة هنا وإبهام إلى الأعلى هناك. أصبحت مقصورتها جاهزة، وأوشكت كيلبي وبيغ داداي على الانتهاء في المقصورة الرئيسية. أمأّت جو برأسها إلى بيغ داداي في منتصف الطريق عبر المقصورة.

أحنى رأسه ردًا عليها وتراجع، باتجاه المطبخ الخلفي ليستلم مكانه.

استدارت جو عند الحاجز حيث لفت شيء ما انتباهها. إنه ضوء ينعكس على جناحين بلاستيكيين لامعين. جلس الفتى الصغير الذي زار بيل وبين في غرفة القيادة قبل الرحلة في الصف الأول من المقصورة الرئيسية. أمسك والده بيده ليشعره بالأمان والحماية. تدلت قدما الفتى من حافة مقعده وفي نهايتهما حذاؤه الصغير؛ سوف تمر سنوات عديدة قبل أن ينمو بما فيه الكفاية لتصل قدماه إلى الأرض. أشرقت عيناه الخضراوان وطغت على القناع الذي غطى وجهه الملائكي.

تفحص والد الفتى حزام الأمان للمرة العاشرة على الأغلب. استطاعت أن ترى الرجل وهو يجهز نفسه معنويًا للإخلاء. فك حزامي المقعدين وأمسك بالفتى بين ذراعيه بينما اتجه نحو المخرج، وتثبت بجسده وهم ينزلق إلى بر الأمان. عاش الرجل في المستقبل، ولكن لم يكن الفتى معه. كان لا يزال في الطائرة، لا يزال هنا وفي هذه اللحظة. نظر حوله إلى الأفتحة المتمايلة والأضواء المتلائة. أمكن لجو تخيل فمه الملائكي تحت القناع مدهوشًا. لم يشعر الفتى بالخوف بل غلبت عليه الدهشة.

بعد أن شهدت على ذلك، وجدت جو أن اللحظة كانت ثقيلة الوطأة ومؤلمة، لكنها لم ترد المعاناة أكثر أثناء حملها لهذا العبء. رن جرس مرتفع، ثم تدرج صوته نحو الانخفاض عبر المقصورة وأضاء ضوء أخضر. نظرت جو إلى الجزء الخلفي من الطائرة وهي تتجه نحو الهاتف، متسائلة لماذا عاود بيغ دادي الاتصال بها.

"هل كل شيء على ما يرام؟"

أجاب بيغ دادي: "نعم يا سيدتي".

انتظرت أن يقول شيئًا آخر.

سألته بعد أن بقي صامتًا: "هل معدلات الأوكسجين جيدة لديكم؟"

"نعم يا سيدتي. ربطناها على كتف واحد بشكل قطري على ظهورنا، وأنتِ؟"

أجابت جو: "أجل، فعلت الشيء نفسه". ثم راقبت كيلبي في الجزء الخلفي من

الطائرة وهي تشد الحزام على خزان الأوكسجين الخاص بها، وقد وقف بيغ دادي

إلى جانبها يتكلم بواسطة الهاتف. تابعت جو أثناء تعديلها لأضواء المقصورة لتجعلها أكثر إشراقاً بدرجة: "على أي حال، لا شيء جديد للإبلاغ عنه". نظرت إلى جو سيب، وأخفضت صوتها.

مرة أخرى، انتظرت بيغ داداي ليقول شيئاً ما، لكنه بقي صامتاً. احتاجت جو إلى التركيز فقالت: "حسنًا، يجب أن أذهب. سأراك هناك يا عزيزي".

نادى بيغ داداي: "جو!" صاح لها قبل أن تتمكن من إغلاق المكالمة. عرفت جو بيغ داداي لسنوات عديدة. لكن عندما استمعت إليه يكافح لإيجاد الكلمات المناسبة، أدركت أن هذه كانت المرة الأولى التي سمعته فيها مقيد اللسان. نظرت إلى الخلف وشاهدته يمسح خده.

همس: "جو، ليس لدي أي شخص لأتصل به الآن". غطى وجهه بيده الأخرى، ثم كرر ما قاله وانهالت الدموع.

ارتعش صوت جو وهي تقول له: "حسنًا، لقد اتصلت بي وأنا أجب". سمعت جو صوت تنهد حزين في أذنها، على الرغم من أنها شعرت أنه حاول السيطرة على نفسه لكنه فشل. دمعت عيناها على الرغم من بذل قصارى جهدها لمنع نفسها من البكاء.

شاهدت جو كيلى وهي تأخذ منديلاً من الحمام وتعطيه إلى بيغ داداي. أخذ المنديل منها ثم أشار بإصبعه إليها.

"إذا أخبرت أحداً عن هذا أيتها السيدة الشابة، سأخبر مكتب التحقيقات الفدرالي أنك كنت تعملين مع الإرهابي".

سمعت جو كيلى وهي تضحك، فقالت جو: "لا تقلق يا داداي فسرك في أمان معنا".

أخرجت جو هاتفها الخلوي بعد أن أنهت المكالمة عبر الهاتف الداخلي، وبدأت تكتب رسالة نصية لثيو.

سحب بيل أسطوانة السم من الحقيبة، ووضعها بعناية على لوحة القيادة. هناك أسطوانة أصغر حجمًا في أسفل حقيبته.

سأل بن: "ماذا عن المسحوق الذي كان من المفترض أن أستخدمه لقتلك؟". ضحك سام وبيل كلاهما.

أجاب بن: "إنه مجرد سكر مطحون وضعه على الخبز المحمص الفرنسي". شعر بيل بالتاج على أسنانه الخلفية ينكسر تحت ضغط فكه.

قال بن مشيرًا إلى العلبة الفضية أمام القبطان: "أنه بالتأكيد سكر. اسمع، لا يمكنني أن أموت، كان على شخص ما أن يكون هنا ليحرص على اتخاذك القرار، لو لم تنتهك القواعد، ما كنت لأفصح نفسي، ظننت أنك سممتي وزيفت موتي. ولكن اضطرت للبقاء قيد الحياة للتأكد من أنك نفذت عملية الاصطدام بالطائرة".

هز بيل رأسه محاولًا الاستيعاب وقال: "لكن ماذا لو اخترت الطائرة؟ ولم أسممك، وهبطنا على ما يرام وعائلتي..." لم يستطع إنهاء الفكرة.

أجابه بن: "لو كان هذا خيارك كنا سنهبط دون وقوع حوادث، وكنت سأطلق النار على رأسي لاحقًا هذه الليلة".

انحنى بن قائلًا شيئًا لسام، ولم يكن باللغة الإنكليزية، أحنى سام رأسه أيضًا، مكرّرًا العبارة نفسها.

"سنموت نحن اليوم كما ترى، أنا وسام على حد سواء وذلك أمر مؤكد. ولكن الآن، سيحول موتنا هذا حياتنا إلى هدف".

هز بيل رأسه مشتمرًا وقال: "الانتحار هو ميتة الجبناء".

رفع سام الهاتف إلى مستوى وجهه، ارتجف خداه وهو يحاول الحفاظ على رباطة جأشه.

قال: "إن هذا لا علاقة له بالدين. الجبناء الوحيدون هم أشخاص مثلك خائفون من مواجهة حقيقة كيفية المحافظة على سلامتك وامتيازك ولكن بأي ثمن؟".

لم يسمع بيل كلمة مما قاله، بل ركّز عينيه على الحاسوب ليرى ما كان فوق
كتف سام. عكس الضوء أشعته على شيء ما في الزاوية الجديدة
للكاميرا... عوارض خشبية؟

تنفس بيل الصعداء. لقد فهم كل شيء الآن.

منذ سنوات مضت، عندما انتقلت كاري من شيكاغو إلى لوس أنجلوس،
استأجرا عربة نقل من شركة. لم تكن بحاجة إلى أي شيء كبير الحجم باعتبار أنها
باعث معظم أثاثها، لذا كانت العربة التي يمكنها أن تنقل ستة عشر راكبًا التي
عرضتها الشركة مثاليًا. اضطر بيل للدخول والخروج مئة مرة على الأرجح. بقيت
شظية في يده لمدة أسبوع بسبب العوارض الخشبية التي استخدمها لرفع الأشياء.
كانت عائلته في عربة نقل.

الفصل الرابع والعشرون

سمع ثيو إلى صوت المروحية وهي تحلق فوق المركز التجاري للحي بينما أضاء كشافها شوارع جنوب غرب لوس أنجلوس. وبحثت ذهابًا وإيابًا عن إبرة في كومة قش.

"في محيط ثلاثة أميال؟"

أخرج العميل الخريطة، وأضاءت الشاشات الموجودة داخل عربة الاتصالات. ظهرت مشاهد جوية ويرية للمنطقة المحيطة بمطار لوس أنجلوس الدولي. قالت ليو: "لا، لنبدأ بالثاني".

وقف ثيو وذراعه متقاطعان بجانب ليو خارج العربة، بينما نظرا من فوق كتف العميل الآخر، قُربت الصور على الخريطة وانتقل التركيز فيها استجابة للأزرار التي كبسها.

بالرغم من أن منطقة البحث لا تزيد عن ميلين، قد تستغرق النقاط الأفضل لتحديد حركة المرور في مطار لوس أنجلوس أيامًا. عبر الأحياء، والفنادق، ومراكز التسوق، ومواقف السيارات، والمرائب.

كان نطاق الاحتمالات للمكان الذي يمكن أن تكون فيه الأسرة هائلًا والنقطة الإيجابية الوحيدة هي حقيقة أنه وجب عليهم البحث من ثلاث جهات فقط. فقد كان المحيط يحد بالكامل الجهة الغربية من المطار، قالت ليو: "أريد وحداتنا شمال وشرق وجنوب مطار لوس أنجلوس. ابدأوا بالقرب من المنطقة المحيطة قدر الإمكان، فتشوا كل شارع، ثم وسعوا نطاق البحث، اطلبوا من شرطة المطار البحث في المرائب ومراجعة أشرطة المراقبة".

أوماً ثيو والعملاء الآخرون برؤوسهم، وبدأوا بالتحدث عبر أجهزة الراديو،
وبالنقر على هواتفهم.

ألقت ليو نظرة سريعة على المروحية وقالت: "سوف تلقي الوحدة الجوية
نظرة شاملة، وستراجع نحن لنحاول حل اللغز معاً".

وقفت فرقة المتفجرات في الجانب الآخر من الساحة ولا زالوا يعملون على
سيارة عائلة هوفمان رباعية الدفع.

قالت ليو عبر الراديو: "هل لديكم أي معلومات لي؟".

نظر ثيو عبر ساحة ركن السيارات، استدار أحد العملاء الموجودين بالقرب
من السيارة، وأشار إلى ليو بإبهامه إلى الأسفل.

رَن هاتف ليو، وقرأت الرسالة قبل مشاركتها مع المجموعة: "تكاد المرحلة
الأولى من الإخلاء في واشنطن تنتهي".

علم ثيو أن ذلك يعني إجلاء كبار المسؤولين الحكوميين، وتأمين عائلة
الرئيس، وأن جهاز الاستخبارات السرية جاهز لنقل الرئيس إلى ملجأ البيت
الأبيض في أي لحظة.

لم يقل أحدهم شيئاً، فكر ثيو بلوجستيات تلك العملية. كان الوضع برمته
يتضخم، وعدد الأشخاص المتأثرين يزداد بوتيرة سريعة.

سأل ثيو: "ماذا عن... الناس العاديين؟ هل يعرف عامة الشعب؟ هل هناك أي
بيان رسمي؟".

هزت ليو رأسها: "لن نحتاج إلى أي بيان، إذا تمكنا من العثور على الأسرة".
صدر فجأة ضجيج في آذانهم.

"عربة نقل! رسالة مورس أخرى، يقول إنهم في عربة نقل".

شعر ثيو بوخز في أصابع يده المصابة بينما مرت جرعة أدرينالين مليئة بالأمل
عبر النهايات العصبية المصابة. التفت ليو إليه وقالت: "اتصل بكل شركة نقل في
المنطقة، وأخبرني بما يمكنك العثور عليه".

ابتعد ثيو عن المجموعة، تحقق من الوقت، وأجرى حسابًا سريعًا، اكتشف أن الطائرة كانت على بعد أقل من ساعة من وجهتها النهائية. سيحدث الهجوم بالغاز قريبًا.

خفق قلب بيل بأمل جديد. لم يستطع التركيز على موقع عائلته بالضبط، لكنه كان يُضيق الاحتمالات. إذا سارع مكتب التحقيقات الفدرالي، إذا وجدوا عربية النقل قريبًا، ربما لن يضطر بيل إلى إلقاء أسطوانة الغاز السام في المقصورة. نعم، سيظل هناك سلاح موجه نحو رأسه، لكنه أراد التعامل مع كل شيء في وقته. احتاج أن يضمن أمان عائلته أولاً. يمكنه حل الأمور الباقية بعد ذلك.

نظر إلى عائلته، لكنه اضطر إلى إغماض عينيه. لم يستطع تحمل مشاهدة زوجته، ويداها مقيدتان، وتكافح لتهدئة طفلة تبلغ من العمر عشرة أشهر تمر بنوبة غضب. أبقى عينيه مغمضتين لكن ازداد صراخ أليز المتواصل حدة؛ ابنته الصغيرة التي لا حول لها ولا قوة.

حقيقة أنها لم تعرف ما كان يجري غير عادلة، ولم يكن جهلها سوى النعيم، تساءل بيل عما إن كانت تحتاج إلى تغيير حفاظها.

فتح عينيه عندما سمع صوت كاري، تجعدت جبهتها من القلق وهي تهز الطفلة، لكن ذلك لم يحدث فرقًا. وضع سكوت أصابعه على قدمي أخته، ودغدغها بخفة، ومدّ لسانه لها، أغمضت الطفلة عينيهما، وسالت الدموع على خديها.

قال سكوت مستخدمًا الاسم المستعار الذي أطلقه عليها، وارتفعت نغمة صوته وهو يتحدث مع الطفلة، "لا بأس يا أليز. هل تشمين ذلك؟ نار المخيم؟ لتتخيل أننا نخيم مع أبي في الغابة". حبس بيل أنفاسه.

قال سكوت: "سنصنع حلوى الخطمي المشوي، وسننظر إلى النجوم، هيا تخيلي معي يا ليزي".

أسقط بيل ذراعه اليسرى ببطء، ليمسك بالميكروفون اليدوي، وتأكد من أنه كان أسفل الكرسي حيث لا يستطيع بن رؤيته، بدأ بالنقر بصورة ممنهجة. صرخت أليز بصوت أعلى.

أمسك سام بالطفلة، لهثت كاري، وضمت الطفلة إلى جسدها، لكن سام مدّ يديه كمبادرة تهدئة وليس كتهديد، دفعت الطفلة أمها، وتوجهت نحو الرجل بمبادرة أشبه بطعنة خيانة، أفلتتها كاري من بين يديها على مضض.

اقشعرّ جسد بيل وهو يشاهد ابنته على صدر ذلك الرجل، وضعت خدها على السترة الناسفة حيث هزّها من جانب إلى آخر، تسارع إيقاع حركة سام بينما اهتزّ جسد أليز، فرك ظهرها في حركة دوائر صغيرة وتشابك المفجر مع أصابعها.

بدأ سام يغني لحنًا حزنيًا، لكنه جميل. كانت الكلمات غريبة، لكن بالنسبة إلى الطفلة، لم تكن هناك كلمات لها معنى على أي حال.

بدأ بن في الغناء بصوت مرتفع بما يكفي لسمعه بيل. تحولت صرخات أليز بعدها بوقت قصير إلى أنين، توقف جسدها الصغير تدريجيًا عن الارتجاف، وبدأت في الاسترخاء. بينما كان يغني المقطع الأخير من أغنيته، كانت الحركة الوحيدة الموجودة في الغرفة هي حركة سام وهو يهز الطفلة بلطف.

لم يقل أحد شيئًا في لحظة السلام المميزة هذه، تساءل بيل إن ندم الرجلان على اختياراتهما. ندما على وضع هذه الطفلة الرضيعة، هذا الطفل الصغير، وهذه المرأة في الوضع الذي هم فيه الآن. ربما لم يفت الأوان. حتّى مع كل ما حدث بالفعل، لعلّ بيل قد يتمكن من إيجاد طريقة لإخراجهم من هذه المصيبة. كان على وشك الكلام للاستفادة من أهمية هذه اللحظة ولكن بن سبقه إليها. "بيل، حان الوقت".

ضغط ثيو على الزر الأحمر لإنهاء المكالمة. كانت تلك هي شركة النقل السابعة التي يتواصل معها. ووصل إلى سبعة طرق مسدودة.

نظر إلى الجهة المقابلة من الساحة، ورأى ليو والعملاء يتحركون بمهمة، ولكن لم يبد أن هناك أي حاجة ملحة.

كانت فرقة المتفجرات تحزم أمتعتها، وفتحت جميع أبواب سيارة عائلة هوفمان على مصراعها بينما تفحصها العملاء. عندما شاهد كلا الفريقين في العمل، علم أن أفعالهما كانت عقيمة مثل عمله. اهتز هاتفه الذي أحكم قبضته عليه.

الهجوم هنا على وشك أن يبدأ، لكنني أردت أن أخبرك كم أنا فخورة بك، سيكون كل شيء على ما يرام يا ثيو. أحبك كثيرًا.

لم يرد ثيو أن يكون في موقع السيطرة، ولم يرد أن يكون جزءًا من هذه المهمة، ولم يرد أن يكون الطفل الصغير الذي أعلن نفسه رجلًا بعد الآن. الكبار يتعاملون مع المواقف؛ يصلحون الأشياء. حاول ثيو فعل ذلك منذ أن طردتهم والدته من منزلهم في منتصف الليل، لكنه لم يعد يريد فعل ذلك بعد الآن.

الأمر تحت السيطرة يا خالدة. لقد سيطرنا على الأمور برًا، سيطري عليها أنت هناك في الجو. أحبك أيضًا.

خطرت في باله فكرة: "أمل أن يختار القبطان التضحية بعائلته". أخفض ثيو رأسه خجلًا لأنه يشعر بالذنب.

في الجهة الأخرى من الساحة، بدأت ليو والعملاء بالتحرك. كان هناك شيء ما. انطلق ثيو راکضًا، وكان الفريق قد انتهى تقريبًا من حزم أمتعته بحلول الوقت الذي وصل فيه.

"ابحثوا عن أي منطقة عامة في محيط ميلين تسمح بإشعال نيران المخيمات. فكروا في المنتزهات و..."

سأل ثيو روسو: "ما الأمر؟".

وردت رسالة مورس أخرى. قال الطيار إن الأسرة كانت تشم رائحة دخان. دخان ذو رائحة نار تخيم. حاول ثيو تصور المناطق المحيطة بالمطار من الأعلى.

إلى الشرق، هناك خط الفنادق في سينشري بوليفارد. ربما أشعل أحدهم موقد نار في الفناء؟ شمل الجنوب منطقة سكنية بالكامل تقريبًا وبعيدًا جدًا عن مدارج الطائرات. وكان في الشمال أيضًا منطقة سكنية و...

صاح ثيو عندما خطر الجواب بباله، "دوكويلر!". بدأ يركض نحو أقرب سيارة لكنه لم ير أحدًا يتبعه فتوقف.

قالت ليو دون أن تشيح بنظرها عن الشاشات في سيارة الاتصالات: "ما هو دوكويلر؟".

أجاب ثيو سريعًا: "إنه شاطيء في نهاية المدرج، سأشرح لك في الطريق لكن علينا أن نتحرك الآن".

توجه العملاء لإنهاء حزم أمتعتهم، لكن ليو أوقفتهم بيدها.

التفتت نحو ثيو بعد توجيه العميل الذي يعمل على الشاشات لسحب جميع المعلومات التي يمكنهم العثور عليها حول الشاطيء وقالت: "سنرى. انظر". أشارت إلى المعلومات التي بدأت تظهر على شاشات العرض وتابعت "نحن نراقب المكان لكن ليس لدينا موارد لإرسال عملاء إلى كل موقع يراودك حدس بشأنه".

"لكن ليس لدينا وقت...".

"ليس لدينا وقت لارتكاب الأخطاء، أليس كذلك؟". كانت نبرة ليو حاسمة.

ثم عادت إلى عربة الاتصالات.

فغر ثيو فاهه مندهشًا، وثق تمام الثقة أنه يعرف مكان العائلة، إنه شاطيء عام يقع في الطرف الغربي من مدارج الطائرات لمطار لوس أمجلوس. أقلعت الطائرات فوق سماء المنطقة مباشرة وكانت هناك حفر نار على الشاطيء. عرف أن ليو ستكتشف كل ذلك من خلال بحثها وتأكد من أنها ستصل إلى النتيجة نفسها التي توصل إليها بالفعل.

في النهاية، سوف يسلكون هذا الدرب، ولكن بمجرد وصولهم إلى هناك، ستود ليو القيام بالاستطلاع قبل أن يتمكنوا من تطوير المنطقة وإنشاء محيط بحث.

لم يكن هناك شك في ذهن ثيو أنه بحلول ذلك الوقت سيكون الأوان قد فات. حاول أن يبدو هادئًا وقال: "سيدتي، أعتقد...".

تدخل أحد العملاء الآخرين، وخاطب ثيو بصوت منخفض: "أنا أعلم ما تمر به يا رجل. لكن عليك البقاء هادئًا. دعها فقط تمارس عملها".

حدق ثيو في حيرة من أمره قبل أن يلقي نظرة خاطفة حوله.

حدق العملاء الآخرون إليه، علم أنهم لا يتحملون المسؤولية التي تتحملها ليو أو الارتباط الشخصي بالقضية مثله.

لم يكن لديهم سبب للمخاطرة، وهذا ما سهّل عليهم مواكبة رئيستهم. كان تلقي الأوامر أمرًا سهلاً عليهم.

"ثيو".

التفت إلى الشخص الذي نادى باسمه، إنه روسو. نظر العميل إلى يد ثيو التي كانت لا تزال تمسك بالهاتف النقال.

قال ثيو: "آسف. لكنها خالتي، أعلم ما أتحدث عنه؟".

تمتم العميلان بتفاهم وابتعد ثيو عن المجموعة. بعد بضع لحظات، ألقى نظرة خاطفة وراء كتفه.

لم يكن أحد يشاهده، لقد عادوا جميعًا إلى مهامهم الخاصة.

ثبت ثيو نظره، ومشى باتجاه السيارة رباعية الدفع القريبة، لم يحاول أحد إيقافه، لأنهم لم يتخيلوا أبدًا أن هذا العميل كان سيفعل ما أو شك على القيام به، لم يشعر بأي تردد عندما جلس في مقعد السائق، وشغل المحرك، تلاشت رغبته في أن يكون في مكان آخر وليس مسيطرًا تمامًا على الوضع. كان يعلم أن هذا يعني نهاية حياته المهنية. لكن التقاعس والجبن لم يكونا ما تقدم لأجله على أي حال.

لم ينظر ثيو إلى الوراء بينما كان يخرج من ساحة ركن السيارات.

الفصل الخامس والعشرون

ابتسمت جو عند قراءة نص ثيو.

وضعت هاتفها في جيبها، ووقفت بمفردها، وأولت ظهرها لكل من جلس، واستعدت أمام غرفة القيادة مباشرة. تلت صلاة لابن أختها والأسرة وفرق الإنقاذ على الأرض.

بالقرب من سطح الطائرة، أمكنها سماع صوت الهسهسة الهوائية لقناع الأوكسجين للطيار وهو يُطلق من صندوقه.

علمت أن بيل كان يحمي نفسه من الغاز السام كما هو الحال تمامًا في المقصورة. لكن قناعه من النوعية العسكرية، وهذا يعني أنه يمكنه أن يخلق شفتًا هوائيًا محكمًا، ويغطي كامل وجهه، وأن يضخ دون عناء تيارًا لانهائيًا من الأوكسجين إلى رئتيه. بعيدًا كل البعد عن الأفنعة البلاستيكية الرخيصة المنتجة بكميات كبيرة والتي ثبتها الركاب على وجوههم بحزام مطاطي. لم يكن هذا الفرق منصفًا.

سمعت صوت الهسهسة مرة أخرى، وافترضت أن قناعه قد وُضع الآن. لقد حان الوقت، وسيبدأ الهجوم في أي لحظة.

عدّل بيل القناع على وجهه، واستدار ليشاهد بن يضع شريط قناع الأوكسجين الخاص به فوق رأسه، ويطلق فتح التنفس على جانبي قطعة الفم. احكم القناع على وجهه بدقة ليحمي عينيه وأنفه وفمه.

...

هزّ بيل الأسطوانة في يده، وصدرت قعقعة كرة محرض اصطدمت صعودًا وهبوطًا في الداخل. مع تصاعد الضغط، شعر بالوحش وهو يتوسل إليه ليطلق سراحه.

في انتظار أن ينتهي بن من تعديل قناعه، أوقف بيل الاهتزاز مؤقتًا كإشارة.
أشار القبطان بإبهامه إلى الأعلى.

ما هو صوت النقر ذاك؟ تفحصت عينا جو الباب، لكنها لم تجد جوابًا. ماذا لو كانت افتراضاتهم خاطئة ولم تنفع أكياس القمامة؟ ماذا لو لم تستطع السيطرة على الموقف؟ ماذا لو أعاقها الغاز على الفور؟ ماذا لو استسلمت ولم تستطع حتى القتال؟ ماذا لو كان هناك متواطئ بين الركاب للتأكد من نجاح الهجوم بالغاز؟ نظرت من فوق كتفها إلى المتطوعين الستة، أشارت لهم بإبهامها إلى الأعلى، ابتسمت بينما ردّ كل منهم بالمثل. لم تكن لوحدها.

راقبها جوسيب تقف في الزاوية الخلفية من الدرجة الأولى باهتمام. رفع ذقنه ببطء. هل كانت تلك علامة على التضامن أم على التهديد؟ لم تعرف جو ما الذي عناه، لذا رفعت ذقنها ردًا عليه، وعنت بهذه الحركة المعنيين على حد سواء.

ذكّرت نفسها بأن هذه كانت مقصورتها، وأنها كانت في الموقع المسيطر. عادت إلى الباب وتنهدت، أغضبته رائحة أنفاسها البائسة، الدافئة والرطبة على القناع البلاستيكي. ذكرتها بأنها مجرد بشر. وأرادت أن تكون أكثر من ذلك الآن.

لذلك في تلك اللحظة الأخيرة قبل المعركة، قررت أنها ستفعل ذلك. وقفت جو باستقامة أكثر، وأغمضت عينيها. تضيّق تركيزها إلى أن تحول إلى نقطة سوداء؛ سكون قبل الحرب. لقد أدت انحناء ذهنية لأجيال من الآلهة والمحاربين والناجين الذين عبروا في حمضها النووي، مدركين الآن أنها تنتمي بالفعل إليهم.

صدر صوت انفتاح باب معدني.

فتحت جو عينها.

فُتح الباب وتأرجح إلى الداخل، تدفقت سلسلة من الأزرار المضيئة من السقف إلى الأرض، وكانت نوافذ غرفة القيادة عبارة عن بقعة أفقية من الظلام. التفّ القبطان هوفمان إلى الخلف في مقعده، وعكست أضواء المقصورة الأرجوانية الدرع البلاستيكي لقناعه. كانت هناك حركة من الداخل، وطار شيء في الهواء.

استطاعت جو رؤية تفاصيل الأسطوانة، لأنها غادرت يد بيل. فضية اللون، صغيرة بما يكفي ليسهل التعامل معها، انبعث منها بقايا بخار أبيض اللون تبدد كلما ابتعد عن المصدر.

مدّت جو يديها لتحرص على الإمساك بها، لم تفارق عينها الكرة أبدًا كما يقول المثل، شاهدتها تطفو باتجاه قبضتها. بمجرد أن اصطدمت بيديها، ارتطم بها شيء من الخلف، وألقى بها بقوة على الأرض. صرخت وهي تراقب الأسطوانة وهي تبتعد عن متناول يدها. اصطدمت بالحاجز، تدرجت إلى الجانب الآخر من المطبخ، واستقرت تحت عربة. حلقت يدا بيل إلى فمه، وضربت القناع الذي نسي أنه كان يضعه.

جو.

دوى صراخها في رأسه حتّى بعد توقفه. مزّق هذا الصوت - صراخ رعب بشري خالص، ألم بشري، غضب بشري - ضميره.

لقد فعلت هذا يا بيل، أنت السبب وراء ما يحدث لها ولهم.

انحرفت الصورة في عقله. كانت جو مستعدة كما وعدت الجميع. مترقبة، مستعدة، مسلحة - ومصدومة.

لم ترَ الرجل قادمًا ولم يستطع بيل أن يصرخ ليحذرها، لقد أغلق الباب بالفعل بقوة، وعمّت أصوات الجنون والفوضى على الجانب الآخر.

نظر إلى بن، الذي انحنى إلى الأمام، وهو يحرق من النافذة.

لهث المساعد الأول بشدة مثله.

صرخ بيل: "قل لي من كان هذا".

لم يقل المساعد الأول شيئاً، ولا سام أيضاً.

حدث كل شيء في وقت واحد، على الرغم من أنه حدث بالحركة البطيئة.

اصطدم رأس جو بالباب عندما باغتها المهاجم.

ركل الباب، وهو يصرخ ويصدم كتفه فيه بشكل متكرر. كانت جهوده غير

مجدية، لأنه عبارة عن سطح لا يمكن اختراقه، كان الباب مغلقاً. لم يتم اختراق

غرفة القيادة. شعرت جو بتيار من الراحة يسري عبر جسدها. التفت إليها الرجل

عند الباب وأمسكها من زيتها الرسمي، رفعها من مكانها إلى أن حاذت وجهه.

صرخت جو من فوق كتفها إلى أول رجل في درجة رجال الأعمال في الصف

الأول الذي جاء لمساعدتها: "لا، الغاز!" ركض إلى المطبخ بحثاً عن العبوة.

لف ديف يديه حول حلق جو وضغط بقوة. لقد أساءت الحكم عليه. ظنت

أنها قد كسبته، وأنه كان جزءاً من الفريق. لكن اتضح أنها كانت مخطئة.

جحظت عينا جو، وهي تراقب الرجل وهو يبحث بشكل محموم عن العبوة،

يستدير ويدور في المطبخ. حاولت أن تشير له، لتوجهه، لكن ديف ضرب جسدها

بعنف. شعرت أنها بدأت ترتجف بسبب نقص الأوكسجين. مع ذلك، تساءلت

وهي تراقب الرجل وهو يبدأ في الارتعاش إن كان هذا هو مفعول الغاز السام

بالفعل.

"عليّ النهوض إلى هناك".

تدفقت رغوة بيضاء من فم ديف وهو يصرخ في وجه جو. سألت من ذقنه

المغطى بالعرق. دمعت عيناه المحترقتان بالدماء وهو يرمش محاولاً مقاومة شعور

الاحتراق. راقبته جو وهو يستسلم ببطء للغاز، وظهرت بشور صغيرة على رقبتة

بجوار الأوردة البارزة والنابضة.

صرخ في وجهها: "لن يحصل ذلك وأنا موجود".

انسحب الرجل بعد محاولته الفاشلة إلى قناع الأوكسجين الخاص به مرة أخرى. بينما قفز الرجل الثاني إلى الأمام ليتولى زمام الأمور عنه. ركع على ركبته، وبدأ يبحث تحت العربة الخطأ.

حاولت جو الإشارة إلى الجهة اليمنى، لكن أصبحت رؤيتها مشوشة. بدأ أن دماغها غير قادر على إرسال رسالة إلى يدها. كان بصرها يختفي ويعود، يذهب في رحلة إلى الظلام، ويعود مرة أخرى. لا يمكن أن تكون قد انقضت عشر ثوانٍ منذ أن أغلق الباب، لكنها شعرت وكأنها عشر سنوات.

صرخ ديف بينما ارتخت قبضته، بدأ الغاز السام يسيطر عليه.

ضربه فجأة جسم غير حاد على وجهه. تحررت جو من قبضته، وأمسك بها أحدهم قبل أن يرتطم جسدها بالأرض. سقط ديف عند قدميها.

نظرت جو لتجد نفسها في أحضان جوسيب، أمسك بيده مجلة ملفوفة. استخدمها مرة الثانية مثل عصا البيسبول، وضرب بها ديف مفقداً إياه الوعي.

دفعت جو نفسها بعيداً عن قبضته بقوة لم يكن يتوقعها على الأرجح، متجاوزة الرجل الثاني بينما عاد للحصول على الأوكسجين من القناع. ركضت باتجاه العربة الأخيرة. أطلقت مكابح القدم، سحبتها إلى الأمام، وضربتها بالقفل الثانوي. فقدت توازنها، وسقطت إلى الخلف على الحاجز، انزلقت العربة إلى مكانها مرة أخرى، وما زالت العبوة عالقة تحتها. تدفق السم الأبيض كالشبح.

فهم جوسيب ما تريده، ففك القفل الثانوي. وضع يده الضخمة فوق يدها، وحررا العربة، وتدحرجت العبوة في سحابة من الغاز السام.

ركل جوسيب العبوة بعيداً عنهما، جثت جندي البحرية السابقة منتظرة في الجزء العلوي من الممر في وسط المطبخ. وضعت العبوة في كيس القمامة الخاص بها، وربطتها بقوة لدرجة أن جو خشيت أن يتمزق الكيس. استدارت وأسقطت الحزمة في أحضان زوجها الذي كان ينتظرها مع الكيس الثاني، ربطتها بقوة تضاهي الربطة الأولى وبعقدة مزدوجة.

سحب جوسيب جسد ديف عبر المطبخ، ما فتح الطريق إلى الحمام. تقدمت جو، وأخذت الكيس من المسعفة بينما أشارت في الوقت نفسه إلى مقعدها. أوأمت المرأة برأسها، وتراجعت إلى الخلف فأمدتها زوجها بقناع الأوكسجين. ضغط القناع على وجه زوجته لمساعدتها على ارتدائه بينما كانا يلهثان طلباً للهواء النقي، فتح جوسيب باب الحمام، وألقت جو إليه بالكيس. أسقطه في المرحاض، وأغلق الغطاء بقوة قبل أن يغلق الباب. دفعته جو بعيداً عن الطريق، وسقطت على ركبتيها أمام الحمام. وضعت بطانية مبللة بالماء أخذتها من الدرجة الأولى في الشق الموجود أسفل الباب. كان ذلك خط دفاعهم الأخير.

سقطت على يديها وركبتيها، ولم تلاحظ أن خزان الأوكسجين الخاص بها قد انزلق حول جذعها وتدلى من جسدها. انقطع الشريط المطاطي عبر وجهها وغطى قناعها أذنها اليسرى الآن. عملت بأسرع ما يمكن، ولكنها شعرت أن يديها مثبتتان على الأرض. هل كانت تتحرك؟ لم تعرف بصراحة. كان هناك شيء بداخلها يعرف أن الغاز السام كان يحكم قبضته حول عقلها، اصطدمت بعدها بباب غرفة القيادة، وأصدرت صوتاً مكتوماً.

أمسكها جوسيب، ورفعها باستقامة. حرّك القناع، ووضعها بقوة على فمها وأنفها. أوأماً ليخبرها أن عليها أخذ أنفاس عميقة. قلّدت جو، كان الهواء البارد أشبه بالصفعة على الوجه.

أصبح جوسيب أحمر اللون بشكل غير طبيعي، واحتقنت عيناه باللون الأحمر. شهقت جو شهيقاً كبيراً قبل أن تنزع قناعها، وتضغط عليه بقوة على وجهه. لهث جوسيب داخل القناع البلاستيكي، وشفط الهواء قدر الإمكان. تسربت الدموع من زوايا عينيه وأوأم لجو.

وقف على قدميه، وسحبها عندما أمسكت بذراعه، وأشارت نحو المقاعد، أوأماً جوسيب برأسه، وأخذ نفساً عميقاً آخر قبل إعادة القناع إلى جو. رفع ديف عن الأرض مثل دمىة من القماش، وألقاه في مقعده الشاغر.

راقبت جو جوسيب، وهي تعيد وضع قناعها. أرادت أن تبكي فرحًا لأنه تبين أنه لم يكن شخصًا سيئًا كما توقعت.

نظرت جو حولها، وحاولت تقييم الموقف. كان أول رجل في مقصورة رجال الأعمال يتقيأ في أحد أكياس القمامة، وقد غطى القيء بالفعل الجزء الأمامي من قميصه. بدا الرجل الثاني وكأنه مريض أيضًا، وجسمه كله أحمر اللون ومبلل بالعرق. اهتز وارتجف ممسكًا بمسندي الذراعين، تمامًا كما فعلت جنديّة البحرية في الصف خلفه. نظرت إلى زوجها وقاست نبضه، جلس جوسيب في الممر، يتنفس بصعوبة واضحة، ويتفحص البثور والطفح الجلدي الذي بدأ بالتشكل على يديه وذراعيه.

انحنى ديف إلى الأمام بجانبه، وهو لا يزال فاقدًا للوعي، لكنه تنفس من خلال القناع الذي وضعه جوسيب على وجهه.

وراء حاجز المقصورة، جلس باقي الركاب في مقاعدهم وهم يضغطون الأقنعة على وجوههم. مدّ معظمهم أعناقهم محاولين رؤية ما يحدث. انحنى الكثير إلى الأمام، وشبكوا أيديهم، وأغمضوا أعينهم.

تشبثوا بعضهم ببعض، والدموع تنهمر على وجوههم. أطلق شخص ما من بينهم صوت أنين.

أمكن لجو رؤية كيلبي وبيغ دادي في الخلف على مقعديهما. انحنيا إلى الأمام من جانبيين متقابلين من الطائرة ونظرا إليها وهي تقف في الممر الأوسط. كانا يائسين ويحتاجان إلى المساعدة.

رفعت جو ذراعها المرتعشة، وأشارت بإبهامها إلى الأعلى.

تقاطعت النجوم المتلاثلة في عينيها. انتشر شعور بالخدر في وجهها. هزت أنفها وشفتيها في محاولة لزيادة تدفق الدورة الدموية.

تقطر العرق من القناع أسفل ذقنها. إنه عرق، أليس كذلك؟ ماذا لو كان لعابًا يسيل؟ أم أنها كانت تزيد من فمها؟ لم تستطع تأكيد ما شعرت بأنه شلل يتطور ببطء لأنها لم تكن قادرة على لمس وجهها.

بقيت جو تفكر باحتمال مزعج وهو بقاء الخطة ب أمرًا محتملاً على متن الطائرة. لكنها سمحت لنفسها بالشعور بارتياح بسيط عندما علمت أنها على قيد الحياة، وأنهم جميعًا ما زالوا على قيد الحياة. انتهى الهجوم بالغاز السام.

في الوقت الحالي، كان مفهوم الوقت غامضًا، لذا لم يكن لديها أي فكرة عن ما تبقى من الاثنتي عشر دقيقة من الأوكسجين بعد الهجوم. كانت واثقة من أنها لم تتجاوز الاثنتي عشر دقيقة كاملة، لكنها قريبة منها. سيتم التخلص من أي سم تسرب في الهواء قبل أن تصبح الأقنعة عديمة الفائدة. بعد ذلك بوقت قصير، كانوا سيهبطون، وسيقابل الطائرة فريق التحكم بالمواد الخطرة بالإضافة إلى الفرق الطبية المستعدة لتولي زمام الأمور.

سيكون كل شيء على ما يرام.

أومأت جو برأسها.

لقد انتهى كل شيء.

الفصل السادس والعشرون

مكتبة

t.me/soramnqraa

اهتز جسد كاري بالكامل.

بدأ الأمر كرعشة، ولكن بعد أن ألقى بيل الأسطوانة، تطور الأمر ليصبح شيئاً أكثر حيوانية، شيئاً قهرياً أكثر. بدأت أليز في البكاء مرة أخرى حيث سقطت دموع كاري على وجه الطفلة. غمرت وجه سكوت في حضنها، ولكنه بدأ يجلس الآن بعد أن انتهى الهجوم. سحبته كاري إلى الأسفل، ارتجف جسده تحت ثقلها وبدأ يبكي مع أخته. لهثت كاري من أجل الهواء.

حاول سام إسكات الطفلين، لكنه زاد من ضجيجهما، وزاد من الفوضى في ذاك المكان الضيق. لقد تم دفعهم بعيداً جداً.

قاوم سكوت محاولات كاري الباردة لإيقافه، وجلس منتصباً.

توقف الضجيج لفترة كافية ليسمعها الجميع، قال: "أمي؟".

حدّق سكوت إلى حضن والدته، الذي كان مظلمًا، ورطبًا بعض الشيء. ونظر

إلى الأعلى مرتبكًا. وقال: "لا يفترض بالأمهات أن يتبولن في سراويلهن".

شعرت كاري بالاحراج، لم تكن لتتحمل النظر، لذا أشاحت بنظرها بعيدًا،

نحو سام مباشرةً.

قالت ولم تكن تمتلك الطاقة لتتوسل: "أريد أن أذهب إلى الحمام".

قالت بصوتٍ منخفض: "دعني أحفظ كرامتي. ليس أمام طفلي على الأقل. لو

سمحت...".

قاطع بكاء الطفلين أي شيء حاولت قوله، نظر سام إلى حضنها المبلل ثم إلى

المخاط الذي يسيل من أنفها. وضعت يدها على كم قميصه الذي لفته، ولم

يسحبه. كانت بالكاد تهمس.

قالت: "من فضلك يا سام".

نظرت إلى عينيه، للحظةٍ فقط قبل أن تنظر إلى الأسفل مدعنة.

قال سام لسكوت: "حسنًا. امسك أختك". أخذ الفتى الطفلة مستغربًا. نظر

سام داخل العربة ليجد حبلًا في الزاوية. قال: "انحنِ إلى هنا، امسك هذا".

مرر الهاتف إلى كاري بينما كان سكوت يتدحرج بسرعة على الأرض

المعدنية وأخته في حجره. انتقل الطفلان معًا إلى الجانب الآخر من العربة بعيدًا عن

الباب الخلفي. ربط سام الحبل حول عمود من الحافة المعدنية الداخلية للعربة ثم

ربط الطرف الآخر من الحبل حول خصر سكوت النحيف. حاول الفتى جاهدًا رفع

أليز بعيدًا عن الحبل.

شد سام الحبل عدة مرات. وأحكم العقد فقط.

قال بهدوء لسكوت مشيرًا إلى وجهه: "سأقفل العربة، إياك والإقدام على أي

شيءٍ بطولي. إذا حاولت - سأطلق النار على رأس والدتك".

أصفر وجه الطفل من الخوف.

حدث كل هذا خلف كاري بينما كانت تحديق إلى الكاميرا وهي تحاول إيجاد

طريقةٍ لتخبر زوجها بما لا تستطيع قوله بصوتٍ عالٍ. لكن بيل لم يعرها أي اهتمام،

ونظر خلفها نحو الرجل الذي كان يقيد طفليه.

تذكرت.

قبل زفافهما. الأريكة، الكتاب المقدس القديم، خط والدها.

إذًا... سوف يموت الجميع. وهذا ليس منصفًا؟

نعم.

قالت بينما كان سام يحكم ربط الطفلين: "بيل". شعرت بالاختناق، ولكنها لم

تبك. تابعت: "إذا طلبت مني أن أتزوجك؟ الآن؟ حتى مع كل هذا؟ سأقول نعم.

نعم بكل تأكيد".

عبس بيل، وأدار رأسه قليلًا إلى الجانب.

عندما شاهده يحاول تجميع الرسالة معًا، انبثقت الذكريات. جلوسهما إلى جانب بعضهما في السينما، ملامسة يدها ليده بالخطأ. ضبطه وهو يحدق بها في الحفلة، سماعه يدعوها حبيبته للمرة الأولى. ابتسمت، وتصالحت مع نفسها وقرارها، عندما كان يبيل على الجانب الآخر من الشاشة. وتيقنت أنه يفهم.

اهتزت الكاميرا وهو يمسك بجانبى حاسوبه المحمول.

تلثم قائلاً: "لا أستطيع يا كاري... اللعنة..."، محاولاً معرفة كيفية قول ما يجب أن يقوله دون أن ينطق أيضًا.

مرر يديه من خلال شعره، ونظر حول غرفة القيادة قبل أن يتوقف ويحدق بثباتٍ إلى الكاميرا. جلس منتصبًا، واقرب إلى الأمام، وتحدث بنبرة حازمة وثابتة. قال: "تزوجيني مرة أخرى يا كاري. أسألك الآن مثلما فعلت حينها، هل تقبلين الزواج بي؟ لكن لا تقولي نعم وحسب. بكل ثقةٍ وتأكيد. ليس بعد. تمهلي. كوني صبورة. فكّري ما إذا كنت أستحقك، أعدك أنني سأفعل ما بوسعي، كاري، أعدك، لا تقولي نعم حتى تتيقني أنني أستحقك".

ابتسمت كاري بحزن. وقالت: "لطالما كنت...".

قال سام: "حسنًا، لتتابع".

أخذ الهاتف من يديها ووضعها على أرضية العربة.

كانت الكاميرا ثابتة، مصوبة نحو السقف، ولا تظهر شيئًا.

نظر يبيل إلى الشاشة التي لم تكن سوى لون رمادي غامق غامض، دون أن يرمش، وكان المؤشر الوحيد على أن المكالمة ما زالت جارية، هو تنفس سكوت الثقيل.

كان هناك صوت مفتاح يتم إدخاله وفتله.

لقد حُبس الطفلان في الداخل، وكانا مقيدين ووحيدين، وكانت كاري بعيدة عن الأنظار في قبضة مجنون. وكان -والدهم والذي هو زوجها- على بعد آلاف الأميال وتزداد المسافة مع كل دقيقة.

اعتقد يبيل: "ستفعل شيئًا ما".

"لا بد أن كاري ستفعل شيئًا ما".

الفصل السابع والعشرون

قاد ثيو السيارة وشغل المصابيح الوامضة والصفارة وهو يشقّ طريقه إلى جادة سيولفيدا متجهًا نحو المطار. أفسحت السيارات له الطريق، لكن ازدحام لاكس جعل المناورة شبه مستحيلة. ليس هناك لحظة في أي يوم لم يكن فيه الطريق مكتظًا بالسيارات، فقد كان موقع المطار وتصميمه المروعان يثيران الجنون حتّى في أفضل الظروف. حاول ثيو أن يحافظ على هدوئه أثناء القيادة بالنقر بقلق على المقود. كانت المخاطر أكبر من مجرد تفويت رحلة جوية اليوم.

بدأ هاتفه يرن، إنها المديرية ليو، رفض ثيو المكالمة، وأطفأ شاشة هاتفه. مرت دقائق. حاول تشتيت نفسه بحساب المسافة التي يجب قطعها إلى هناك، وشم محبطًا بعد أن أدرك أنه لم يصل بعد إلى جادة سينشيري. سيوصله هذا الطريق إلى النفق الذي يمر أسفل الطرف الشرقي من المدرج ليصله بالطريق السريع من دون أن يضطر إلى المرور بجانب مسار المطار الطويل، نحو المدخل الرئيسي من...

شتم نفسه بينما استنتج ذلك قائلاً: "أيها الأحمق".

التف ثيو إلى الورا من دون أن يتحقق من وجود حركة سير. ابتعدت سيارةٌ قادمةٌ من طريقه، مطلقَةً بوقها بينما انحرفت سيارةٌ أخرى لتتجنبها.

ضغط ثيو بقدمه على دواسة الوقود، فصرت العجلات استجابةً لذلك، بينما انطلقت العربة إلى الأمام، بعيدًا عن المطار.

انطلق مسرعًا في الشارع، بينما تنحت السيارات يمينًا، بعيدًا عن طريقه، فرصد سيارةً سوداء مع أضواء وامضة عالقة في الازدحام وهي تسير في الاتجاه المعاكس.

قال ثيو لنفسه: "لا بد وأنك تمزحين يا ليو"، بينما خفف من سرعته إلى الحد الأقصى، وأوقف عمل المصابيح وصفارات الإنذار.

استرق النظر سريعاً ريثما مر بجانب السيارة، دون أن يلفت الانتباه... فرأى اثنين من زملائه يمدان رأسيهما بحثاً عن منفذ بين السيارات. ولم ينتبها إلى وجوده.

هل كانا ذاهبين للمؤازرة؟ أم أنه وفي منتصف العملية، مع وجود أرواح في خطر، كانت ليو مستعدةً لإزهاق اثنين من أرواح عملائها بإرسالهما لإيجاد ثيو وإعادةه؟ لم يثق بها بما يكفي لينتظر ويكتشف ذلك. فزاد من سرعته، تاركاً إياهما وراءه.

هبّت نسمة هواءٍ باردةٍ وعليلة قادمة من المحيط، ما أدى لتباين محير مع الحرارة المنبثقة من العربة، نظرت كاري إلى الخارج نحو مياه المحيط الهادئ المعتمة. تكسرت الأمواج على الشاطئ في إيقاعٍ متواصلٍ غير منسّق، سيكون المد والجزر غداً كما كانا في اليوم السابق وكما سيكونان في اليوم التالي. وجدت سكيناً في معرفة أن الأرض ستستمر بالدوران وأنها، في النهاية، لا تهتم.

قذفت نار المخيمٍ شراراتٍ برتقالية إلى السماء مع قرعة جميلة في طرف المنطقة الآخر، بعيداً على الشاطئ. كان هناك شخصان يستلقيان وهما يضعان أقدامهما على الحافة الإسمنتية من حفرة النار خلف أسنة اللهب. شمّت كاري بعمق رائحة الحنين الدخانية، وشعرت فوراً بفوهة مسدسٍ باردة تضغط على مؤخرة عنقها.

قالت: "ما كنت سأصرخ، كنت فقط... أتلذذ باللحظة".

سحب سام ذراعها من الجهة الأخرى وقال: "دعينا ننتهِ من هذا".

سارا مبتعدين عن العربة نحو الطرف الآخر من المرآب. كان مصباح الطريق معطلاً في تلك الزاوية. أخذت كومة من الرمل ومعدّات البناء المتروكة مبعثرة أسفلها شكل ظلٍ مربعٍ تحت ضوء القمر. حطّ نورسٌ فوق مصباحٍ آخر، كان

يحرّك رأسه وهو يشاهد هما يمران. فكّرت كاري في الأمر من وجهة نظر الطائر: شخصان، يرتديان سترتين ناسفتين، يتحركان بهدوءٍ في الظلام. عصفت رياحٌ مالحة بشعرها ووجهها فارتعشت.

قالت: "عندما كنا في المنزل، قلت إن كان لديك خطط، ثمّ توفي والدك".
أوماً سام برأسه قائلاً: "كنت أنا وبين مستعدين. كنا قد حصلنا على كل الأوراق والتأشيرات. ادخرنا المال لعشر سنوات. حجزنا تذاكر الطيران، ثمّ بعد أربعة أيام كان يُفترض بنا أن نغادر، إلّا أنه مات".

قالت: "لذا بقيت أنت وسافرِين من دونك؟".
أوماً سام، داسا الرمال تحت أقدامهما. مشى أمامها بمسافةٍ كافيةٍ لها لترى مقبض المسدس يبرز من جانب بنطاله وراء ظهره.
سألته: "هل كرهته؟".

التفت سام وتساءل: "بِين؟".
أجابت: "نعم، حين تركك وسافر".

أوشكا على الوصول إلى نهاية المرآب، وكومة الركام المتروكة.
قال سام بلا مبالاة: "كلا. على الإطلاق. أنا من طلبت منه أن يسافر. أراد أن يبقى، لم يظن أن ذلك منصفًا، وهو حقًا لم يكن منصفًا، أخبرته أن يذهب، وجعلته يأخذ المال أيضًا. سيُسَهّل ذلك الأمر عليه. قلت إنه يجب أن يبدأ وتكون له الأولوية، وسأنضم إليه حين أستطيع. وبعد سبعة عشر عامًا فعلت ذلك، لكنني حينها، لم أستطع المغادرة وحسب".

قالت: "لكن عائلتك. ماذا حدث لها؟ ماذا حدث لأحمد؟".
خلف اسم الشقيق الأصغر الجرح الأعمق بعد أن لفظته، عرفت فورًا أن لذلك أثرًا كما توقعت، فثبتت في مكانها.

نبضت أوردته بشكلٍ واضحٍ على جانب رقبته، بينما التفت إليها، وأوقف نفسه قبل أن يضرها.

ارتعدت وحاولت الهرب، لكنه أمسك بها من أسفل فكها وجذبها إليه، كانت أصابعه تلف حول عنقها. وتسحبها نحوه، أدار رأسه جانباً، كانت شفثاه تحومان حول أذنها.

خلفت أنفاسه رطوبةً دافئةً على خدها، فتأوهت لاإرادياً عندما توغلت أظافره في جلدها.

همس سام في أذنها: "إياك وذكرا اسمه هنا".

لا تقاومي، لا تقاومي، لا تقاومي. حاولت كاري ييأس أن تتغلب على غريزتها الدفاعية. أغمضت عينيها، وركّزت على صوت الأمواج المتكسرة. تراخت قبضته شيئاً فشيئاً حتى أفلتها.

تعثرت إلى الورا، ثمّ تنفست بعمق، انحنت واضعةً يديها على ركبتيها وأشاحت بنظرها بعيداً.

أشار سام نحو الكومة.

قال: "أسرعي".

تحولت الإشارة إلى اللون الأصفر، فزاد ثيو من سرعته، وبسرعة خاطفة تحقق من الاتجاهين، تحولت الإشارة إلى الحمراء قبل بلوغه التقاطع، لكنه عبر على أيّ حال.

وجد أن طائرةً قد أثار عاصفة على مدرج لاكس الشمالي وهي تقلع إلى يساره. تفقد ثيو سرعته. وإذ هي خمسةٌ وسبعون ميلاً في الساعة. كان الحد الأقصى للسرعة خمسةً وثلاثين. فضغط ثيو بقدمه على الدواسة ليرتفع مؤشر السرعة عن الثمانين وهو ينظر إلى الطائرة بينما ارتفعت عجلاتها عن الأرض.

توازي طريق ويستشستر باركواي مع المطار. كانت حركة المرور خفيفة، وتباطأت بعض السيارات التي كانت على الطريق طواعيةً وانعطفت يميناً عند سماع السائقين لصفارات الإنذار ورؤيتهم للأضواء الواضحة. مسح ثيو المنطقة

بعينه بحثًا عن دلالاتٍ بصريةٍ تنعش ذاكرته. فقد مرت سنواتٌ على آخر مرّةٍ عبر فيها هذا الطريق، لقد بدت المنطقة مختلفةً عما يتذكرها.

كانت عائلته تذهب إلى شاطئٍ توز في طفولته.

في الستينيات، كان شاطئٍ توز مكانًا لركوب الأمواج، ولكن بعد بناء الأرصفة الصخرية لمنع تآكل الشاطئ، لم يعد هناك أمواجٌ تستقطب الناس. الآن، أصبح الشاطئ خفيف الأمواج ومسارًا متعرجًا للدراجات، للسكان المحليين، بالإضافة إلى عدد قليل جدًا من السياح.

ضرب ثيو المحيط المقبض بقبضته، فسرت موجةٌ من الألم في ذراعه المصابة. كان سعيدًا بالألم. فقد شعر أنه استحققه لأنه كان في غاية الغباء، لأنه استغرق وقتًا طويلًا لاستيعاب الأمر.
إن شاطئٍ توز مرتبٌ بدوكويلر.

صادف ثيو ضوءًا أحمر آخر عند اقترابه من نهاية الطريق. تباطأ قليلًا، بحثًا عن حركة مرورٍ قادمة، فلم يرَ شيئًا.

انعطف يمينًا عند الإشارة الحمراء بسرعة، ملقيًا نظرةً خاطفةً على اسم الشارع وهو يلتفت حول المنحنى.
بيرشينغ. اعتقد أن الشارع قد...

سمع صوت الفرامل قبل أن يرى السيارة.

صرخت الإطارات، قبل ثانيةٍ واحدةٍ من اصطدام السيارة الأخرى به بأقصى سرعة، حيث اصطدمت بالعربة من الجانب خلف باب السائق. فخرجت السيارة عن السيطرة حتى اصطدمت بشيءٍ آخر - شيءٍ كبير، معدني - وهذا ما أدى إلى دوران السيارة في الاتجاه المعاكس.

سمع صوت فرقةٍ صاحبة، وانهمر حطام الزجاج عليه، تبعه اندفاعٌ من الهواء البارد.

للحظة، توقف كل شيءٍ من حوله، ولم يتحرك ثيو، إذ كان مبتلًا وساكنًا.

حلّ حزام مقعده بأصابع ملطخةٍ بالدماء، وأمسك بمقبض الباب. لم يتحرك الباب فقد كان عالقًا، افترض أن السيارة قد علقّت مقابل الهيكل السفلي لسيارةٍ أخرى. سعل ثيو بينما تسرب الدخان إلى الداخل من خلال النافذة المحطمة. أدرك ثيو أن جسده برمته يؤلمه عندما حاول الزحف إلى المقعد الخلفي - لكنه تابع الزحف، جرّب البابين الخلفيين، لكنهما كانا مقفلين بدورهما. كانت النافذة الخلفية أشبه بشبكة عنكبوتٍ من الزجاج المكسور. صعد ثيو فوق المقعد الخلفي، حيث أصبح قادرًا على بلوغ قدميه، وانحنى في حيز الشحن الضيق. تثبت ثيو جيدًا بذراعه السليمة، وسحب ساقه اليسرى وركل الزجاج. تحطمت النافذة حول ساقه عند الضربة الثالثة، خرج ثيو من مؤخرة السيارة، وتنفس بعمق من الهواء النقي.

ركض شخصٌ غريبٌ إليه وقال: "هل أنت بخير؟ يجدر بك الجلوس. هنالك سيارة إسعاف في طريقها".

سمع ثيو كل شيء، لكن لم يلحظ شيئًا من ذلك بينما كان يتفحص المكان. رأى ثلاث سيارات، إحدهما منقلبة على جانبها، ودراجة نارية محطمة بالكامل، وقد تناثر الزجاج المكسور والمعدن الملتوي في كل مكان. رقد العديد من الناس على الأرض وهم يئنون. ووقف المارة بجانب سياراتهم، عاجزين عن تقديم المساعدة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

عاجز.

عائلة هوفمان.

كان عليه أن يكمل طريقه.

ابتعد ثيو عن الرجل الذي كان يحاول إقناعه بالجلوس وتوجه نحو السيارة المقلوبة. جثا زوجان شابان على ركبتيهما على الأرض وهما يتحدثان مع السائقة التي كانت عالقةً داخل السيارة ولا تزال مربوطةً بمقعدها. كانت واعيةً لكن الدماء تغطيها، طلبوا منها ألا تتحرك.

سأل ثيو: "هل هي بخير؟".

أوماً، وقال الزوج: "أعتقد ذلك". تم سماع صفارة الإنذار من بعيد. فقال الرجل للسائقة: "تماسكي، المساعدة في طريقها. سيخرجونك، حسناً؟".

ارتفعت أصوات صفارات الإنذار. يمكن أن تكون سيارة إسعاف، ويمكن أن يكون مكتب التحقيقات الفدرالي. وكان على ثيو الإسراع أيضاً. مشى إلى دراجة نارية ملقاة على جانبها على الأرض وسط الحادث. كان المفتاح لا يزال في مكان التشغيل.

جلس ثيو على الدراجة، وركبها قبل أن يتمكن أي شخص من إيقافه. أصدر المحرك خرخرةً ودار بأعجوبة. زوده ثيو بالقليل من الوقود، وعندما أفلت القابض، انطلقت الدراجة.

لم يركب ثيو دراجة منذ أن تعلم على دراجة زميله السابق في السكن، لكنه تذكر الأمر بسرعة.

سرعان ما انطلق مع الريح على الدراجة النارية في الشارع، وتهاقت الأبواق عليه، وهو يراوغ ويتجول بين السيارات التي يتجاهلها.

كان من الصعب تجاهل ذراعته، عنت الطريقة التي أراد أن يقود وفقها، أن القيادة بيد واحدة كانت مستحيلة. كاد الألم الذي شعر به وهو يمد ذراعته اليسرى من الحمالة أن يفقده السيطرة على الدراجة. شعر بالارتياح لأن الإصابة لم تكن في يده اليمنى التي عملت على مقبض الوقود وفرامل العجلة الأمامية. بينما كانت قبضة اليد اليسرى ضعيفة على المقود، بالرغم من محاولته جاهداً للحفاظ على ثباته وعلى المسار الصحيح. فقد ظل الإطار الأمامي يتحرك بشكل غير مستقر.

مسح ثيو الشوارع المُقبلة بعينيه، وتأكد من أنه يجب أن ينعطف يساراً عند التقاطع التالي. كانت هناك سيارة واحدة أمامه: حافلة صغيرة تنتظر مرور عداءٍ حتى تتمكن من الانعطاف. أعطى ثيو الدراجة القليل من الوقود وزاد من سرعته، فاستطاع ثيو أن يلتف من الجانب الداخلي للحافلة وهي في منتصف انعطافها

يسارًا. صرخت إطارات الحافلة وهي تنحرف إلى اليمين. وقفز العداء على الرصيف، متدحرجًا بعيدًا عن الطريق.

اهتزت الدراجة النارية للحظاتٍ قبل أن تستعيد توازنها حيث انطلق ثيو في الشارع داخلًا المنطقة السكنية.

لقد كان الحي كما تذكره ثيو تمامًا: متعرجًا وكثير المرتفعات، لقد اجتاز بالدراجة متاهة الشوارع التي تؤدي إلى الساحل وهو يعلم أن هناك منعطفًا آخر إلى اليسار، وبعده منعطف آخر إلى اليمين من شأنه أن يتصل بتحويلةٍ توصل إلى طريق بمحاذاة الشاطئ، وتنتهي بالوصول إلى مواقف سيارات دوكيلر.

كل ما كان يحتاج إليه هو الوصول إلى الشارع الصحيح.

تباطأ ثيو، ونظر في الاتجاهين، ثم اخترق إشارة توقف لصعود تل شديد الانحدار. لم يكن لديه وقتٌ للقيادة بحذر، ولكنه كان يدرك تمام الإدراك أنه لا توجد أحزمة أمانٍ، الآن وأنه لم يكن يعتمر خوذة.

ركّز على الشارع التالي أمامه وهو يقود دراجته على الجانب الآخر من التل. اعتقد أنه بلغ مراده، ولكن عند مروره في الشارع الأول، خطر شيء على باله.

إنه الشارع الاول. لقد كان هو. إنه الشارع الذي مرّ به للتو.

ضغط ثيو بقوة على المكابح وشدّ المقود. خلف الإطار الخلفي بقعة سوداء على شكل نصف دائرة أثناء دوران الدراجة حول نفسها. أعاد ثيو تشغيل المحرك، وانطلق للخلف إلى أعلى الطريق نحو الاتجاه الصحيح، ليرى سيارةً تعبر التل أمامه تمامًا.

نظر ثيو إلى المصابيح الأمامية القادمة، وانحرف إلى اليمين بينما انحرفت السيارة بالفرامل إلى الاتجاه المعاكس، وبالكاد استطاعت تفادي الدراجة النارية. انحرفت السيارة إلى الرصيف، واصطدمت بصنبور إطفاء الحريق بحادثٍ صاخب.

أنزل ثيو قدمه في محاولةٍ يائسة للسيطرة على الدراجة، وهي تتأرجح على الطريق. نظر من فوق كتفه نحو نبع الماء الذي اندفع في الهواء أمام السيارة المحطمة وسائقها الذي يصارع الوسادة الهوائية.

أكمل ثيو طريقه.

اجتازت الدراجة المنازل التي يبلغ ثمن كل واحد منها ملايين الدولارات التي تصطف على جانبي الشارع. عرف ثيو أن المحيط يقع على الجانب الآخر. في المقدمة، ملأت الرمال الطريق بالقرب من عمود إنارة يعرض لافتةً زرقاء عاكسة في منتصف الطريق. كتب عليها شاطيء، مع سهم. فزاد ثيو من سرعته.

إنه يكاد أن يصل فما إن يبلغ التحويلة الطرقية، يصبح طريقه واضحًا.

سيتمكن من الوصول إلى العائلة في دقائق.

إن كان هناك.

بدأت الشكوك تراوده وهو يفكر في كل ما حدث منذ أن غادر مكتب التحقيقات الفدرالي. ماذا لو كان مخطئًا؟ ماذا لو لم تكن الأسرة هناك؟ حاول إخراج تلك الأفكار من رأسه. كلا. لا بد أنهم هناك. يجب أن يكونوا هناك.

لقد أوشك على الوصول إلى الشارع. زاد ثيو من سرعته عند المنعطف لكنه سرعان ما ضغط على الفرامل. كاد جسده يمر فوق المقود ريثما تتوقف الدراجة النارية، وكاد يصطدم بالحاجز الأمني الذي يمنع دخول العربات إلى التحويلة. تم وضع أعمدة معدنية بارتفاع الخصر متقاربة بما يكفي بحيث لا يمكن للدراجة أن تمر من خلالها. لقد كان طريقًا مسدودًا.

صاح ثيو: "كلا"، كبح صوته بفعل صوت الأمواج المتلاطمة على الشاطيء أمامه.

توقف والدراجة بين قدميه، يلهث متجاهلاً الألم. ملأت ذكرى المنزل الذي انفجر في وقت سابق من اليوم ذهنه، تلتها صورةٌ لعائلة هوفمان.

جلس ثيو على الدراجة، ولف المقود بشكلٍ مستقيم، وانطلق.

مسح ثيو المنطقة بينما كان يقود عبر الحي، وبحث عن خطة احتياطية. فلا يزال دوكويلر بعيدًا جدًا سيرًا على الأقدام.

لقد احتاج إلى الالتفاف حول خط المنازل لبلوغ التحويلة.

تم إيقاف جرافة بجانب حاوية قمامة في موقع بناءٍ أمامه. أسرع ثيو متأملاً. ضيق عينيه عند اقترابه من المكان حتى وصل إلى الطبقة الأرضية ووجد دعائم خشبية وفولاذية ترتفع من أساسٍ اسمنتي. ولكن الأهم هو ما رآه من خلال وبعد كل ذلك: الشاطئ والتحويلة الطرقية.

قفز ثيو على الرصيف دون تفكير، وقاد الدراجة النارية فوق المنحدر الخشبي المؤقت الذي وضعه العمال على الأساس. تباطأ بينما كان يقود بحذر عبر المنزل المرتفع، متوجهاً يساراً ويميناً لتجنب الأنابيب المعدنية المبنثقة من الأرض حيث سيكون المطبخ والحمامات. في الجزء الخلفي من الإنشاء، تم وضع الأنابيب الزائدة فوق سقالات معدنية.

اتسعت عينا ثيو عندما كان يحكم على الخلوص. مرّ ثيو تحت الأنابيب منخفضاً قدر المستطاع. بالكاد استطاع تخطيها، ولكن بصرف انتباهه، انهارت حافة إطار السقالة تحت قدمه. فانحرفت الدراجة بعنف إلى جانبها، وألقي ثيو بعيداً، وهبط على الرمال على بعد مسافة قصيرة. بدأت السقالات والأنابيب في الانهيار في جوقة مرعبة من المعدن الخارج عن السيطرة والذي يصطدم ببعضه بينما سار ثيو عائداً نحو الدراجة، وسحبها وابتعد بها. حفر حذاء ثيو في الرمال وهو يدفع الدراجة النارية نحو التحويلة. فسمع محرك الدراجة يبدأ بالخرق وقال: "إياك أن تفعلها". وبينما كان يمشي على الدراجة، بدت وكأنها تتأوه احتجاجاً، ولاحظ ثيو مسماراً يخرج من الإطار الأمامي. أعطها ثيو بعض الوقود، فمضت الدراجة قدماً.

تمسك بالمقود، ولاحظ أن ذراعيه بدأتا تهتزان، وذراعه اليسرى قد خدرت تماماً. لقد تناسى كل ما يدور بخلده. الأضرار التي لحقت بجسده، ونهاية مسيرته، والدمار الذي تركه خلفه، وصورة السياسي وهو يهز رأسه ويشق به قبل انفجار المنزل. أجبر ثيو نفسه على تجاهل كل شيء. كان بحاجة إلى التركيز على الأسرة وما يمكنه فعله لمساعدتهم.

لقد تسطح الإطار الأمامي بالكامل، واحتك الإطار المعدني بالاسمنت. تصاعد القليل من الدخان من المحرك دلالةً على تعطله، فبدأت الدراجة بالترنح نتيجةً لذلك. بدأ أن المحرك يلفظ آخر أنفاسه، فقد كانت الدراجة تتحرك بقوة الدفع وحسب. نظر ثيو إلى الأعلى مهزومًا، ثم رأى مبنىً ليس بعيد. إنه موقع صيانةٍ محلي أو شيءٌ من هذا القبيل - فعلم أن ما وراء ذلك كان شاطئ دوكويلر.

أسقط ثيو دراجته النارية على الرمال، وشرع يركض، واستل سلاحه في غضون ذلك، اتضح شكل المبنى عند اقترابه: بناءٌ يحجب المحيط، ولكن مع مساحةٍ مفتوحة لمركبات صيانة المدينة وغيرها من المعدات في جانبه الخلفي. التفت التحويلة الطرقية حول الجانب الخلفي. ما وراء المبنى مباشرةً: الحافة البعيدة لموقف السيارات الأول لدوكويلر.

حمل سلاحه في وضعية الدفاع أثناء مروره خلف المبنى. بدا خاليًا، باستثناء بضع شاحنات وجرار كبير بمجرفة شاطئية مثبتة في الخلف. لا مصابيح مضاءة، ولا أحد بالجوار.

أبطأ خطوته، وشق طريقه إلى نهاية المبنى موليًا الحائط ظهره. نظر بحذر حول الزاوية، ومسح المنطقة بعينه بحثًا عن عربة متحركة، لكنه دُهل لما رآه عند نهاية موقف السيارات. كانت هناك امرأةٌ منحنية ويداها على ركبتيها ورجلٌ يقف فوقها. كان بإمكان ثيو رؤية السترتين الناسفتين اللتين يرتديانها من تلك المسافة البعيدة.

التقط ثيو أنفاسه بينما كان يتفحص المكان، وحدد مكان العربة. لكن ما الذي تفعله كاري والمشتبه به؟ أشار الرجل إلى كومة أثناء وقوفها، مما بدا وكأنها حواجز بناء مهملة. فتحرت نحوها.

التف ثيو حول الزاوية واختبأ خلف العربة. حاولت كاري، وهي تمشي نحو الكومة، حلّ زر بنطال الجينز لكن يديها المقيدتين جعلت الأمر مستحيلًا. فشلت أصابعها المهتزة في الالتواء بشكلٍ كامل

إلى زاوية حرجة. التفتت إلى سام.

سألت بخنوع: "عذرًا، هل يمكنك المساعدة قليلًا؟".

نظر إلى بنطالها المبلل والزر الذي يعتليه، بدا مضطربًا ومحرَجًا بينما كان يتوجه لتقديم المساعدة. نظرت بعيدًا عندما وضع يديه بالقرب من خصرها. لقد عانى مع الزر أيضًا؛ فقد كان عالقًا، وكانت يده مشغولتين، وضع المفجر في جيبه، وأمسك الزر المعدني الصغير، وأخرجه من خلال الفتحة في ذات اللحظة التي دفعت كاري ركبها بقوة بين قدميه. جحظت عيناه وصرخ، وانتفض جسده من الألم. اندفعت كاري إلى الأمام، وأخذت المفجر من جيبه، وقفزت إلى الخلف مبتعدةً عنه.

تبادلا النظرات وقد جحظت عيونهما، وكانا يتنفسان بصعوبة. أمسكت كاري بالمفجر بين كفيها المقيدتين، والتفتت أصابعها حول الجهاز كما أمسك سام برقبته. وأخبرتها النظرة على وجهه أنه على الرغم من مخططاته، ومن كل إجراءاته الاحتياطية، لم يكن يتوقع شيئًا كهذا.

بمجرد أن تضغط على الزر، سيكون الطفلان بأمان، وستتمكن الطائرة من الهبوط. كانت ستمنح بيل الغفران. كان هذا ما يجب أن يكون الحال عليه. كانت تلك الطريقة الوحيدة.

سألته: "ماذا حدث لأحمد؟".

رفع حاجبيه، قبل أن تسيطر عليه نظرة الهزيمة المؤلمة. كأن الكشف لشخصٍ ما عن مكنوناته كان أصعب من خطف عائلتها، أصعب من تفجير طائرة.

قال سام بنبرةٍ مظلمةٍ ومريرة: "لقد جئت إلى لوس أنجلوس في أيلول 2019".

"وكأنني في النعيم. الشمس، المحيط. كلها كانت جميلةً للغاية. كنت على ما يرام. كنا جميعنا كذلك. أخيرًا. كان كل شيء، كل الحياة... رائعة.

أمر رئيسكم بانسحاب القوات من شمال سوريا بعد شهر، من وطننا الصغير كردستان.

وهذا ما أعطى تركيا الضوء الأخضر للهجوم. جاءوا للنيل من شعبنا في غضون أيام". هز رأسه وضحك بمرارة وتابع: "لقد تعرضنا مجدداً للخيانة، وتم التخلي عنا".

بعد أن ضحينا كثيراً، وقاتلنا إلى جانبكم، ودحرنا داعش من أجلكم، فقدنا أحد عشر ألفاً من مقاتلي وحدات حماية الشعب الكردي لمحاربة داعش برفقتكم. أحد عشر ألفاً. وأنتم ماذا فعلتم، ختمونا.

عندما رأيت وبن قريتنا في الأخبار، استغرقتنا ثلاثة أيام قبل أن نتمكن من التواصل مع أي شخصٍ هناك. هل تعلمين ماذا حصل لأفراد عائلتينا؟".
لم ترد.

"لقد ماتوا جميعاً، لقد أرسلت صورهم إلينا حتى نتمكن من التعرف إلى الجثث. إن آخر صورة امتلكها لأمي كانت صورة جثتها المتفخخة والمتعفنة. والبثور على شفتيها. والحروق على جلدها.

كان أحمد، أخي الصغير، مرمياً إلى جانبها، والزبد يحيط بفمه، إنه عبارة عن صديد أصفر ناجم عن المواد الكيميائية، آخر ما حاول أخي القيام به هو حماية والدتنا".

ترقرقت عيناه بالدمع، وحدق إليها، فأحكمت قبضتها على المفجر.
سأل: "هل كنتم على علمٍ بسحب القوات؟ والهجمات التي ترتبت على ذلك؟".
شعرت بالخزي حتى احمرت وجنتيها. فهزت رأسها.
أوماً سام برأسه عدة مرات، وعقد ذراعيه. وقال: "حسناً، أنا متأكد من أنك كنت مشغولةً. ربما كان لديك موعد نهائي في العمل.
تمرين بايسبول لسكوت.

أراهن أن الأصدقاء كانوا قادمين لتناول العشاء. أو ربما كنت قد شاهدتها في الأخبار، ولكنك لم تعيري الأمر أي اهتمام. إنها مجرد دولة فقيرة. يا لهم من شعبٍ مسكين. وتحدث مثل هذه الهجمات هناك فقط، هكذا تجري الأمور".

بدأ صوته يرتفع.

"أعرف كيف كان ردّ فعلك لأنني رأيت ذلك. كنت هنا. وكان بين كذلك. كنا بأمان. كنا في بلد لا تحدث فيه مثل هذه الهجمات. وشاهدنا جميع من حولنا يحصلون على مرطباتهم الخضراء ويذهبون إلى صالة الألعاب الرياضية. شاهدناكم تلتقطون الصور الذاتية وتذهبون في إجازات.

"لقد شاهدت امرأة ناضجة تنحب بجنون، وتتقلب على العشب بشكل هستيري، لمجرد أنها رأت سيارة تصدم كلبًا. وكل ما كان في مخيلتي هو تلك النظرة على وجهها عندما عرفت بخبر إبادة قريتي. ضجرة. لا مبالية. هذا ما يُدعى بالتمييز".

احتد عند نطقه لتلك الكلمة، وأجفلت كاري عندما سمعت الحقيقة.
كان المفجر بينهما.

"لطالما كان أحمد، أخي الصغير، السبب في عدم استيائي لخسارة كل تلك السنوات. كان أكثر ما كنت فخورًا به في حياتي. وقد سُلِب مني، سُلِب مني لأن هذا البلد يعتبره، ويعتبر شعبنا برمته، نكرة. يعتبرون أفراد شعبي مجرد فقراء يمكنهم فعل ما يريدون بهم".
امتدت موجةً، وتبعها أخرى.

قالت كاري بصوت عالٍ ولكنه مليء بالحنان: "لقد فهمت سبب قيامك بذلك يا سام، لكن هذا لا يبرر ما تفعله".

لم يرد، واكتفى بتحريك رموشه.

تابعت: "لديك كل الحق في أن تغضب يا سام، إن كنت مكانك كنت سأغضب، لكن ذنبك لا يمكن...".

صرخ: "ذنبى؟ ذنبى؟! وماذا عن ذنبك أنت؟ أنت ولا مبالااتك، وتراخي هذا البلد والطريقة التي تفكرون بها...".

قاطعته قائلة: "لكن يا سام! لقد كنت هنا معنا!".

لاحظت كاري خطأها على الفور. لقد كان يلوم نفسه في كل لحظة على تركهم، لأنه لم يكن قادرًا على حمايتهم، لأنه تخلى عنهم أيضًا، لأنه يعيش حياة مريحة بينما يعانون من الشقاء، اتضح كل هذا على وجهه، حطمته مرارة الشعور بذنب ما بعد النجاة أمامها مباشرة.

كل ما بإمكانه أن يفعله هو أن يوميء برأسه، لقد تغير شيء ما بداخله. أخيرًا قال: "أنت محقة، أنت محقة بالفعل. ولكن هل هذا يغير رأيي؟". ضحك ونظر حوله إلى ما يحيط به، وهز رأسه بقوة وبجنونٍ بعض الشيء. وأشار إلى المفجر. تابع: "كانت خدعتك الصغيرة لطيفةً، وألعاب عقلك الذهنية ذكية. لكنك نسيت أنني ما زلت أملك عصفورًا في يدي. لا يزال الطفلان بحوزتي".

سرت القشعريرة في جسد كاري.

تابع: "وهذا يعني... أنني لست بحاجة إليك".

مد سام يده إلى الخلف، وأخرج السلاح، ووجهه إلى رأسها، أسرع من قدرتها على مجاراته.

فتحت غطاء الأمان البلاستيكي للمفجر، وحركت إبهامها نحو الزر. دون أي تفكير.

انطلق عيارٌ ناري. فطارت طيور النورس في سماء الليل.

تلوى سام والدم يخرج من جرح الرصاصة في فخذه الأيسر. صرخ، وسقط على ركبتيه، وسقط المسدس إلى جانبه.

ركلته كاري، لينزلق السلاح عبر الرمل إلى الإسفلت بعيدًا عن متناوله. فرأت شابًا يرتدي سترة واقية من الرصاص يجري إلى أسفل التل باتجاههما.

صاح: "مكتب التحقيقات الفدرالي!".

قطع صرير الإطارات المشهد. التفتت كاري لتجد عربتين سوداوي اللون تسرعان إلى موقف السيارات باتجاه العربة المتحركة.

انطلق سام، راکضًا بشکلٍ غریبٍ علی الشاطی، والرمال تتطایر، مخلفًا أثرًا من الدماء علی خطاه.

نادی علیها عمیل مکتب التحقیقات الفدرالی وهو یقتحم الشاطی: "أنا سأحضره، اذهبي!".

مزقت کاري شریط الفیلکرو فی سترتها وهي ترکض مسرعةً نحو العربة. حررت نفسها، وتوقفت وقتًا کافيًا لوضع السترة بحذرٍ علی الأسفلت، ووضعت المفجر إلى جانبها، رفعت ذراعيها للتعريف عن نفسها علی أنها لا تشكل تهديدًا للعملاء المسلحين الذين كانوا يتدفقون من العربتين.

صاحت کاري: "إنه يحتاج إلى مساعدة! الرجل الآخر. إنهما هناك علی الشاطی. أسرعوا!".

الفصل الثامن والعشرون

سُمع صوت إطلاق نار متقطع في الهواء من الجانب الآخر للشاشة في غرفة القيادة، انحنى بيل وبن إلى الأمام يائسين.
نادى: "أمي!".

خلع بيل قناع الأوكسجين الخاص به، وترافق ذلك مع صوت تسرب الغاز، كانت احتمالات تسرب الغاز أسفل الباب بما يكفي لإيذائه ضئيلة - وفي لحظة تشتت، أمسك بيل بجانبى شاشة الحاسوب المحمول.
قائلًا: "لا بأس يا صديقي، أنا هنا".

ملاً عطاس الفتى الرطب غرفة القيادة. ونادى: "أمي. أرجوك يا أمي".

اصطدم شيء ما بالعربة، فصرخ الطفلان وقفز الطياران.

قالت كاري بصوتٍ خافت: "سكوت! ها قد أتت والدتك، أيها الصغيران، أمكما هنا".

علت أصوات اصطدام المعدن بالمعدن من خارج الشاحنة، وكانت العربة تهتز نتيجة كل ضربة. صرخ كلٌ من كاري وسكوت حتى انفتحت أبواب العربة فجأةً واندفع الضوء الأصفر إلى الداخل. قفز شخص غير معروف إلى العربة، راکلاً الهاتف حاجبًا رؤية الكاميرا.

كررت كاري وهي تبكي: "لا بأس. كل شيء سيكون على ما يرام".

أعاد ثيو مسدسه إلى قرابه، لم يستطع ثيو إطلاق النار أثناء تحركهما بالرغم مما يحصل. فقد كان الرجل يرتدي سترة ناسفة.

اقترب ثيو شيئًا فشيئًا أثناء مطاردته على الشاطئ حتى أصبح قريبًا بما يكفي

ليلمسه. تمكن من القفز على ظهر المشتبه به بواسطة اندفاع سريع أخير، فانهار الرجل تحت وطأة الوزن حيث سقط كلاهما على الأرض. تطايرت الرمال البيضاء في الهواء، والتصقت بجلديهما بينما تصارعا من أجل السيطرة.

التف المشتبه لكي يلکم ثيو، تاركًا معدته مكشوفة. فاغتنم ثيو الفرصة ودفع بمرفقه في جذع الرجل، فأصابت اللكمة أمعاء المشتبه به أسفل الضلوع مباشرةً. تلوى الرجل من الألم وهو يتأوه.

رأى ثيو عملاء الدعم من طرف عينه، بالرغم من المسافة البعيدة، وهم يركضون نحوهما. وقد أضاءت المصابيح الأمامية المثبتة على خوذهم الشاطيء. انقلب ثيو على ظهره، وسحب الرجل فوقه، ولف ساقه اليسرى على خصر المشتبه به. ثبت ثيو جسد المشتبه به في مكانه مزلقًا قدمه اليسرى تحت ركبة الرجل اليمنى قبل أن يعقد ذراعيه حول رقبته. تم تثبيت المشتبه به بواسطة خنق خلفي قبل أن يتمكن من معرفة ما أصابه، ومع ذلك حاول ضرب ذراعي ثيو، لكنه لم يستطع الحراك بعد ذلك.

لا بد أن سلاح ثيو قد خرج من مكانه في مرحلة ما من القتال، لكنه لم ينتبه إلى ذلك، وقد حل الخدر البارد محل خفقان الألم المستمر الذي شعر به في ذراعه طوال اليوم، وافترض أنه كان في حالة صدمة من الأدرينالين. أوشك عناصر الدعم على الوصول، وتمكن ثيو من رؤية أنهم شهبوا أسلحتهم. صرخ ثيو: "لا تطلقوا النار!".

حدق إلى المصابيح الأمامية المهتزة على خوذهم. تشتت انتباه ثيو، ولم ينتبه أن الرجل أمسك قبضة من الرمال، وألقى بها في وجه ثيو، مما أدى إلى إصابته بالعمى. رمش ثيو بشراسة بينما كان يحرك ذراعيه محاولًا العثور على المشتبه به.

"انزل على الأرض! انزل على الأرض!".

اقتربت صيحات العملاء الآخرين، وهذا يعني أنهم أصبحوا قريبين.

صرخ أحد العملاء على البقية: "توقفوا!"، في اللحظة التي شعر ثيو أنهم بجانبه تمامًا. لقد أصبحوا متفوقين عليه عددًا، لكن الذعر في صوت العميل دلّ ثيو إلى أن هنالك خطبًا ما.

دمعت عينا ثيو بغزارة، لكن رؤيته بدأت تعود تدريجيًا. سحب قميصه من خصره، ومسح بحافته عينيه، ولا مست يده قراب المسدس. لقد كان فارغًا.

عندها عرف أنه في خطر.

وقف خمسة من عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي، موجهين أسلحتهم نحو الرجل، وهو يوجه سلاح ثيو إلى السترة الناسفة مباشرةً. شعر ثيو بالرعب؛ إذا ضغط الرجل على الزناد، سيموت الجميع.

قال ثيو بصوتٍ جاد وثابت: "ضع السلاح أمامك وسنلقي القبض عليك دون إلحاق مزيدٍ من الأذى".

ابتسم الرجل وكرر جملة: "مزيد من الأذى".

قال ثيو: "هذا صحيح. أعدك".

ضحك الرجل، وأظهرت ابتسامته المجنونة أسنانه الدامية. انحنى إلى اليمين ليريح ساقه اليسرى التي أصابها ثيو. أدار رأسه إلى المحيط للحظة قبل أن ينظر إلى النجوم شاهقًا بعمق: "تعديني... هل تعلم، في موطني لدينا قولٌ مأثور: لا صديق سوى الجبال. هل تعلم ما الذي يعنيه هذا؟".

قال ثيو ببطء: "لا أعرف ماذا يعني ذلك، ولكن لمَ لا تترك السلاح حتى تتمكن من التحدث عن الأمر".

ضحك الرجل. وتمتم بشيء ما.

قال ثيو: "عذرًا؟".

غمر الغضب وجه الرجل وبدأ بالصراخ: "أفهم لماذا تفعل هذا، ولكن هذا لا يبرر ما تفعله!" سألت دموعه على خديه.

لم يرد ثيو. لم يرد أحد.

نظر الرجل حوله إلى العملاء، ثم إلى الأسفل نحو السترة التي كان يرتديها وإلى المسدس في يده. بدا وكأنه بدأ يعي للمرة الأولى أين هو، وماذا كان يحدث. ظهرت نظرة ندم على وجهه، للحظة فقط، قبل أن يبدو أنه فقد صوابه مجددًا، كأن شيئًا آخر قد حدث له للتو.

ضحك مرةً أخرى، ولكن ليس بالطريقة الخرقاء نفسها، بل كانت ضحكة كاذبةً ومصطنعة.

وقال: "بالرغم من كل هذا، القرار لي".

تجعد حاجباه، وهو يفكر في الموقف. بعد لحظة، أطلق تنهيدة عميقة. نظر إلى النجوم في السماء، ووضع فوهة السلاح بعناية تحت ذقنه وضغط الزناد.

الفصل التاسع والعشرون

استطاع الطياران سماع الفوضى والحديث في العربية من الجانب الآخر للمكالمة، لكنهما لم يتمكنوا من رؤية أي شيء بسبب توجه الكاميرا نحو السقف حتى اللحظة.

ظهر أحدهم فوق الكاميرا فجأة. وقال: "سيدتي. هل تأذيت؟ هل تأذي الطفلان؟".

قالت كاري: "نحن بخير. نحن على ما يرام".

اهتزت الكاميرا، وامتلأت بالضوء عندما رفعها شخص عن الأرض خارج العربية. ظهرت امرأة، وشغلت ابتسامة النصر المرسومة على وجهها الشاشة بأكملها. قالت: "أيها القبطان هوفمان؟ أنا ميشيل ليو من مكتب التحقيقات الفدرالية، سيدي. إن عائلتك...".

سُمع صوتٌ خافتٌ لطلقةٍ واحدة، وانقطع الاتصال معها عندما أجفل بيل. انخفضت زاوية الكاميرا في الوقت الذي تحركت فيه ليو لمعرفة ما كان يحدث. كان هناك ارتباك واضطراب.

قال رجلٌ بالصوت الخشن للمذيع: "لقد مات الرجل الذي يرتدي السترة الناسفة، أطلق النار على نفسه".

تحرك الهاتف، وعاد وجه المرأة المبتهج للظهور.

قال: "انتهى الأمر! لقد نلنا منه يا سيدتي".

تنفست بحماسة شديدة أمام الكاميرا قبل النظر عن كثب إلى المشهد الخلفي في غرفة القيادة، فتلاشت ابتسامتها.

وسألت: "هل هذا مسدس؟".

صاح بن: "اقطع الاتصال، اقطعه!".

سمع بيل كاري تصرخ باسمه بينما كان يغلق حاسوبه النقال، فانتهت
المكالمة.

لم يتحرك بيل بتاتا، عندما شعر بفوهة المسدس بجانب رأسه. لكنه بالكاد
استشعر التهديد، وانتشر الدفء في جسده.

إذ كانت عائلته بأمان.

استدار ببطء، ونظر إلى بن.

لم يفسر تعبير الشاب الباهت شيئا، انهمرت الدموع بغزارة من عينيه وهو
يحدق إلى الحاسوب المحمول المغلق.

لقد مات صديقه المفضل، لقد أصبح وحيدا في هذا العالم، بدا الأمر كما لو
أن بن قد تغير إلى شيء جديد تماما. لقد تغيرت المجريات وهذا ما كان بيل خائفا
منه.

لم يرد بيل أن يكون أول من تحدث، وكان بحاجة إلى أن يتحرك يحذر، قد
تكون عائلته في أمان، لكن فوهة المسدس أخبرته أن الأمر لم ينته بعد. لا يزال على
بيل الهبوط بالطائرة على الأرض.

أخيرا، تكلم بن دون أن يرفع عينيه عن الحاسوب.

قال: "إن للأفعال عواقب يا بيل. سبق وأن قلنا لك...".

تباطأ، واستدار إلى يمين مقعده. سمع بيل صوت سحب يُفتح. فتش بن
حقيقية كتفه للحظة قبل أن يعود إلى القبطان.

نظر بيل إلى يد الرجل، ولاحظ كمية الهواء التي تدخل بصعوبة من فتحات
أنفه. إنها أسطوانة أخرى.

لم يستطع بيل الكلام، واكتفى بأن قال: "كلا".

انحنى بن. وكاد السلاح أن يلمس رأس بيل.

قال بن: "كلا. لا أعتقد أننا يمكننا اعتبار كلا خيارًا بعد الآن".

قال بيل: "لن أستخدم قنابل الغاز مرةً أخرى. لم يكن هذا جزءًا من الاتفاق".

قال: "كما لم يكن إخبارك للطاغم أو السلطات، أو قتلكم لأعز أصدقائي. قلنا

لك: إن للأفعال عواقب. خذ هذه الآن، وادفع ثمن أخطائك".

انحنى بيل للخلف مبتعدًا عن العلبة والسلاح. ورفع يديه في الهواء.

وقال: "أنا بالتأكيد لن...".

فك بن حزامه، وتخطى وحدة التحكم الرئيسية، ووقف فوق القبطان،

فاهتزت فوهة المسدس عندما ضُغِطت على جبين بيل.

شعر بيل بذراعيه المرفوعتين تهتان، ما من شك أن الأفضلية لبين، فهو يحمل

سلاحًا، وكان على بيل الكفاح للبقاء حيًّا لأن بن ينوي تحطيم الطائرة.

همس بيل: "حسنًا، حسنًا".

تحرك بيل ببطء، ومد يديه إلى الأمام للوصول إلى العلبة.

تراجع بن، وأبعد فوهة المسدس عن رأس بيل.

أمسك بيل بمعصم اليد التي كانت تحمل السلاح، ووجهه إلى الأعلى.

بذل قصارى جهده، لكي يحرر يديه، لكن وضعية جلوسه لم تكن مساعدة،

صاح بن وأفلت السلاح من قبضته، وترك إصبعه الزناد - لكنه تمكن من الاحتفاظ

بالعبوة في يده.

حاول بيل شدَّ معصميه بشدة، مع استمرار إطباق أصابعه حول معصم بن.

ضرب بن رأس بيل بيده الأخرى، التي كانت تمسك بالأسطوانة. كانت كرة

المعرض داخلها تشقق في كل مرة ضربت قبضته جسد بيل. ضربة بعد ضربة،

ملأت أصوات احتكاك المعدن واللحم غرفة القيادة.

سحب بيل بقوة، ثم دفع بقوة أكبر، وشعر أن قبضة بن على السلاح تضعف في

كل مرة. مرةً أخرى...

ضرب بن الأسطوانة المعدنية على جانب جبين بيل.

أصبحت رؤية بيل مشوشة من الألم، لكنه أبقى يديه مشدودتين على معصم
بن.

ضرب بن الأستوانة مرةً أخرى في المكان نفسه.

هذه المرة لم يعد بيل يرى شيئاً. سيطرت عليه غريزة البقاء في حالة ذهول
وتشويش، فرفع يديه لحماية رأسه، فترنح إلى الوراء بعد أن تحرر بن من قبضته.
شتم بيل، وشرع يُحرك ذراعيه خلفه، محاولاً الإمساك ببن. شيئاً فشيئاً استعاد
رؤيته، لكنها كانت مشوشة.

تهشمت كرة المحرّض. سمع بيل صوت انفتاح الأستوانة، وتبعه صوت فتح
الباب على الفور. صاح بن مع انطلاق صفير الغاز عند خروج السم من غرفة القيادة
إلى المقصورة.

الفصل الثلاثون

راقبت كاري المدبرة ليو وهي تطرح الأسئلة بشأن العربة.

سألت: "ما الذي تقصدينه بأن مساعد الطيار كان موجودًا فيها طوال الوقت؟".
قطع العميل روسو الجبل الذي رُبط به سكوت، فانهار الفتى في حجر كاري،
ولفّ ذراعيه حول جسدها، وأصبحت أليز بينهما، ضغط على والدته بقوة حتى
اشتكت الطفلة.

قالت كاري: "بلطف. كل شيء على ما يرام يا حبيبي. نحن بأمان".

قالت ليو: "أريد أن أعرف...".

قال روسو بهدوء: "امنحهم بعض الوقت يا ليو".

صرخت ليو: "لكننا لا نملك كثيرًا من الوقت".

قالت كاري وهي تترجل من العربة بطريقة غريبة وهي تمسك أليز، وتستدير

لتمسك بيد سكوت قبل أن يقفز: "إنها محقة، ما الذي تريد من معرفته؟".

قالت: "مساعد الطيار".

ردت كاري مشيرةً إلى الشاطئ: "يكون صديق سام". فكّرت جيدًا للحظة قبل

أن تتسرع بقول ما لديها. ثمّ تنهدت، وقبّلت أليز وأعطتها إلى روسو.

قالت: "هل يمكنك حملها؟ أعتقد أنها رأت ما يكفي اليوم". ثمّ انحنيت إلى

ابنها وقالت: "نحن بأمان الآن يا صغيري، لكن على والدتك أن تهتم ببعض الأشياء

لمساعدة والدك. لذا أريدك أن تبقى مع أختك، وتذهب مع العملاء، موافق؟".

طبعت قبلة أعلى رأسه، وشاهدتهما يتعدان عن مدى السمع قبل العودة إلى ليو.

فجأة شعرت بالإنهاك، فمسحت وجهها. وقالت: "يدعى بن. إنه سوريٌّ أيضًا. أو

كردي... "أخفضت صوتها محرجةً غير متأكدة، "وبحوزته مسدس".

سألت ليو: "لماذا لم يحطم الطائرة بنفسه؟".

هزت كاري رأسها وقالت: "لأنهما أرادا إرغام بيل على الاختيار، إما نحن أو الطائرة".

قالت: "والآن بما أن الخيار لم يعد موجودًا؟ هل ما زال سيرغم بيل على تحطيم الطائرة؟".

نظرت كاري إلى الشاطيء، وتمكنت من رؤية العملاء عن بعد، وهم يحيطون بجسد سام ويلتقطون الصور ويضعون العلامات ويوثقون ويسجلون.

قالت: "لا أعلم. لكننا قتلنا أفراد عائلته، لذلك أعتقد أن كل شيء ممكن".
لم تستطع كاري فك رموز النظرة على وجه ليو وهي تبتعد، ثم رفعت هاتفها إلى أذنها، توترت كاري لسماع ما كانت ستقول.

اقرب الشاب الذي يحمل السلاح، والذي طارد سام، وساعد كاري على الفرار، ومدّ يده. قدّم نفسه وسأل كاري إن كانت بخير.

احتضنت كاري يده في كلتا يديها. وقالت: "سأكون بخير عندما تهبط الطائرة".
كانت على وشك أن تشكره على ما فعله سابقًا عندما عادت ليو. حدق عميلاً مكتب التحقيقات الفدرالي إلى بعضهما.

أخيرًا، نطقت ليو: "لا تقل لقد قلت لك ذلك"، ومدت يدها.

نظر الرجل إليها للحظة قبل أن يمدّ يده.

تصافحا، لكن ملامح وجهيهما بقيت جامدةً ومترقبة.

تنهدت ليو وقالت: "لكن يا ثيو، لم ينتهِ الأمر هنا. هناك مشكلة".

اعتقدت كاري أن المرأة بدت مترددة بعض الشيء، لأنها أوضحت أن مساعد الطيار متورط. تجعد وجه ثيو بحزنٍ عندما أدرك أن الطائرة لا تزال في خطر. كانت كاري في حيرةٍ بشأن العميل الشاب الذي بدا وكأنه يأخذ الأخبار على الصعيد الشخصي، وضع يديه على ركبتيه للحظة قبل أن يقف ويمد يده إلى جيبه.

قال وهو يكتب بشراسةٍ على هاتفه: "إنها لا تعرف".

سألت كاري: "من لا يعرف؟".

تجاهلت ليو سؤال كاري وقالت: "هل تعلمين الموقع المستهدف في

واشنطن؟".

هزت كاري رأسها وأجابت: "لم يذكروا ذلك على الإطلاق".

أوقف ثيو كتابته مقاطعاً: "وهل نفذ هجوم الغاز؟".

نظرت كاري إلى الأسفل، وأومأت برأسها قائلةً: "كانت الكاميرا في غرفة

القيادة، لذا لم تتمكن من رؤية ما حدث في الطائرة. بل كنا نسمع وحسب".

شرد ذهنه للحظة، قبل أن يعود إلى هاتفه.

تمتم: "إنهم يسألون عن المساعد"، واستأنف كتابته بشكلٍ محموم.

سألت كاري وقد نفذ صبرها: "من يرأسها؟".

قالت ليو "الطاقم. مضيفي الرحلة. خالته جو واحدةٌ منهم. لقد راسلت ثيو.

هكذا علم مكتب التحقيقات الفدرالي بالذي يجري".

التفتت كاري إلى ثيو وبدأت مصدومة عندما سألته: "جو واتكينز؟".

نظر إليها وقال: "هل تعرفين خالتي؟".

لم تصدق كاري ذلك. أخبرته أن بيل وجو كانا يسافران معاً لسنوات، وأنها

وجو كانتا صديقتين. شعرت بالحزن والألم عندما أدركت أن جو كانت على متن

الطائرة.

قالت: "لن يتمكن بيل من التعايش مع نفسه أبداً. قام بتسميم طاقمه بالغاز،

قام بإطلاق الغاز على جو...".

قالت ليو: "مع كل الاحترام الواجب سيدي، لا نعرف أن هذا كل ما سيفعله".

مال رأس كاري ببطء وزمت عينيها.

سألت كاري بنبرة اتهامٍ حادة: "هل تعتقدين أنه سيحطم الطائرة؟".

نظرت ليو وقالت: "لقد صُوب مسدسٌ إلى رأسه، لا أعتقد أننا نستطيع...".

قالت كاري: "وقد صوّب مسدسٍ إلى رأسي أيضًا، أعلم بالضبط ما سيفعله بيل".
قالت: "أنتِ لا تعلمين ماذا...".

اهتز جسدها من الغضب وقالت: "أعلم بالضبط أي خيار سيتخذه زوجي،
أنتِ لا تعرفينه، أما أنا فبلى، سيهبط بالطائرة وسينجو الجميع".

أمعنت ليو النظر إلى كاري، قالت وهي تحرك رأسها نحو ثيو: "أخرجها من هنا".
قاد ثيو كاري بعيدًا، بعد أن طوّق كتفها بذراعه.

سمعا ليو تقول أثناء مغادرتها لعميل آخر: "صلني بغرفة العمليات. أنا أوصي
بالبروتوكول الثانوي".

التفت كاري قبل أن يتمكن ثيو من الإمساك بها.

سألت: "ما هو البروتوكول الثانوي؟".

رفضت ليو النظر إلى عينيها. كما فعل جميع العملاء.

اقتربت كاري من ثيو: "قل لي. ما هو البروتوكول الثانوي؟".

بادلها ثيو النظرة، لكنه لم يتكلم. كانت ترى عضلات جانب رقبتة ترتعش.

كانت كاري زوجة قبطان طيرانٍ محنّك، كان طيارًا وقت هجمات 11 أيلول.

لقد فهمت الوضع الحالي، عرفت ما يفترض أن يكون ردّ الجيش.

إنها تعلم. أرادت أن تسمعهم يؤكّدون ذلك. التفت ثيو بعيدًا نحو ليو، والشرر

يتطاير من عينيه بسبب الخيانة.

فهمت كاري.

قالت بصوتٍ يرتفع تدريجيًا مع كل كلمة: "لن تسقط تلك الطائرة".

قالت ليو مشيرة إلى العملاء لتهدئة روعها: "سيدتي، أنت بحاجة إلى السماح

للمحترفين التعامل مع هذا. سيدتي...".

صرخت كاري بجنون: "يجب أن تمنحوه فرصة".

عانى اثنان من العملاء كثيرًا لإخراجها. وظلت تردد: "أنتم لا تعرفونه! سيهبط

بالطائرة! أقسم بحياة طفلي، سيجد طريقةً ما!".

الفصل الحادي والثلاثون

وقفت جو في مقدمة الطائرة، تراقب مقصورة الركاب.

كان أول من لاحق الأسطوانة رجل في الصف الأول الذي كان يعبث بقناعه، فشدّ الأربطة وضبط المقدمة قبل أن يخلعه عن وجهه بالكامل. فوضعه مجددًا وتنفس بعمق واتسعت عيناه بقلق.

تسارعت نبضات جو، فقد انتهت الاثنتي عشرة دقيقة.

كان بإمكانها أن تشعر بأن الهواء لا يزال يتدفق في قناعها الخاص وهذا ما أشعرها بشيء من الذنب، ذكرت نفسها أنه مجرد بروتوكول. ضغ قناعك أولاً قبل مساعدة الآخرين. استمرت بتكرير هذه الجملة كل يوم، في كل عرضٍ للسلامة. حتى أنها ترددها دائمًا في طريق العودة مع دادي وكيلي: أنتما تعرفان هذه الطائرة وتعرفان ما يجب القيام به في حالة الطوارئ.

سيحتاجك الركاب على قيد الحياة من أجل هذه اللحظة. عرفت جو أنها لن تفيد أي شخص إذا ماتت، لكن كان من المستحيل ألا تشعر بالخزي من وجود أداة لا يستخدمها الركاب.

قال أحد رجال مقصورة رجال الأعمال بذعر: "انكسر قناعي، لا يمكنني التنفس".

قالت جو بحذر: "سيدي، أعتقد أن...".

لم تسمع باب غرفة القيادة يُفتح خلفها. حيث إن مشهد الأسطوانة الفضية التي مرّت فوق رأسها في المقصورة الرئيسية هو ما أخبرها أن الهجوم الثاني جارٍ. كانت جو تدور في مكانها عندما أُغلق باب غرفة القيادة.

عندما التفتت إلى المقصورة، شاهدت الأستوانة تهبط مع غيمة بيضاء تتكاثر فوقها قبل أن تندرج إلى أسفل الممر باتجاه الخلف. أصبحت بعيدة عن الحاجز الآن، قريبة إلى الجناح الآخر.

جمدت جو. هل يجب أن تركض خلفها؟ أم تحافظ على مركزها الدفاعي في حالة ظهور عبوة أخرى؟
ولكنها إذا...

ارتد دوي عالٍ في الخلف حتى مقدمة الطائرة حيث ارتطم مقعد القفز القابل للسحب بالحائط. ظهر دادي بعد ذلك بجزءٍ من الثانية، متقدمًا في الممر نحو الأستوانة.

فكت امرأةٌ جالسةٌ في الممر حزام مقعدها، وانزلت نحو النافذة، محاصرةً زملائها في المقعد.
حذت الصفوف الأخرى حذوها.

ركل شخص ما الأستوانة وتمايل رأس دادي وهو يحاول تحديد مكانها. تدافع الركاب بينما كانت العبوة تندرج نحوهم تحت أقدامهم حتى ظهرت بعد لحظات، وحلقت في الهواء بعد أن ألقى بها أحدهم من صفه. سارع الجميع لتجنبها أو لإبعادها عنهم، واستمر تيارٌ من السم الأبيض بالتدفق منها طوال الوقت، وملاً المقصورة المغلقة التي لا تحتوي الآن على أيّ أوكسجين ثانوي.

تسارعت نبضات قلب جو بشكلٍ شديدٍ ومؤلم. تنازعتها الرغبة في مساعدة دادي وحماية باب المقصورة. قالت لنفسها/بقي في وضعيتك واحمي المقدمة. دعيمهم يتعاملون مع الأمر في الخلف. يمكنهم هذا.

لكن رغبتها في المساعدة كانت ملحةً.
رأت جو الأستوانة تسقط في منتصف الممر أمام دادي عندما نظرت إلى الخلف. اندفع صارخًا، امتد جسده في الهواء قبل أن يسقط على الأرض، حاصرًا الأستوانة أسفله. تكوّر دادي على نفسه، ولف ذراعيه حول ساقيه. توقف تدفق

الغاز الأبيض... لقد حاصر الأسطوانة السامة داخل وضع الجنين الغريب.

توقف عن الحركة وصرخ بشيءٍ ما، فألقيت قطعةً من القماش الأحمر في اتجاهه بعد لحظات. بدت لجو وكأنها قميص.

فتح داداي القميص بجانبه على الأرض، قبل أن يمد ساقيه ويزحف فوقه بأسرع ما يمكنه. أرادت جو أن تهتف. لقد فهمت الأمر الآن. لقد وضع العبوة بين جسده والقميص. زلّق يديه تحت جسده للإمساك بالقماش، أثناء انزلاق أنبوبة الأوكسجين على ظهره، ولفه حول العبوة. كان بإمكان جو رؤيته وهو يحاول ضغط جسده على الأرض بكل ثقله أثناء مناورته تلك. فكرت بفخر هذا صحيح يا عزيزي، اخنقها.

كان يكافح ببراعة، لكن تحركاته بدأت تتباطأ وتبدو غير منسقة. كبحت جو رغبتها في الركض إليه. عرفت أنه يحتاج إلى المساعدة، كان بإمكانها سماع كيلبي في المطبخ الخلفي تفتح وتغلق الخزائن الأربع. عرفت جو أنها كانت تبحث عن أكياس القمامة، وتمنت أن تسرع كيلبي.

لفّ الأسطوانة بإحكام في القميص الآن، وشدّها الأب إلى صدره. كافح من أجل الوقوف على قدميه حتّى وقف رجلٌ مقابله وأسنده من تحت ذراعه. فعلت امرأةٌ على الجانب الآخر الشيء نفسه على الرغم من سعالها اللاإرادي الذي لا يهدأ. ضجّت المقصورة بأكملها بالصراخ والسعال.

مكتبة
t.me/soramnqraa

اللجنة يا كيلبي، هيا. يحتاج داداي إلى...

شعرت جو بالغيثان وسرعان ما تذكرت.

أن خدمات الطعام استخدمت الأكياس لوضع القمامة. أما ما تبقى، فقد استعملتها جو في الهجوم الأول، ولم يكن لديهم أكياس قمامة في الخلف. فقد وضعتها جو وطاقمها في المقدمة.

صاحت جو مشيرةً إلى الحقيبة المتدلية من جيب ظهر المقعد أمامها:

"جوسيب، خذ هذا و...".

ظهرت كيلبي من المطبخ الخلفي، ومدت شيئًا إلى بيغ داداي وهي تركض في الممر تجاهه.

التفت داداي، واستطاعت جو رؤية إبريق القهوة في يد كيلبي. كان الوعاء البلاستيكي واسع الفوهة، ولكن الأهم من ذلك أنه كان محكم الإغلاق. لم يكن جو يعرف ما إذا كانت الأسطوانة صغيرة بما يكفي لتتسع داخله، ولكن إذا حدث ذلك، فسيكون الإبريق مثاليًا.

أمسك داداي بالقميص المطوي، وحاول فكه، لكنه توقف، ونظر حوله إلى الركاب. رأتهم جو يتنفسون من خلال قمصانهم ويغطون أفواههم بأيديهم ويسعلون بشدة. لم يكن لديهم أوكسجين نقي.

سحب داداي الإبريق من يدي كيلبي، ومرّ من خلالها، متجهًا نحو مؤخرة الطائرة، ووضع القميص تحت إبطه.

صرخت كيلبي بشيء خلفه، ويبدو أنه يعلم ما يفعل.

مشى إلى الجانب. فمرت بجانبه وشدته وفتحت باب الحمام. دخل الأب وأغلقت الباب خلفه.

ظلت جو تنظر من أمام باب غرفة القيادة إلى المطبخ الخلفي. وقفت كيلبي خارج الحمام منتظرة، ووصل صوت تنفسها الثقيل حتى المقدمة. استدارت كيلبي إلى الأمام ورأت جو تنظر إلى الوراء، سحبت هاتف التواصل الداخلي عند الحائط. أجابت قبل أن يضيء الضوء الأخضر حتى. كان صوت كيلبي مليئًا بالذعر. قالت: "لم يكن لدينا أي...".

قالت جو وهي تحاول أن تبدو هادئة: "أعلم، أنتِ تقومين بعملٍ رائع. ما الذي تحتاجين إليه؟".

ردت: "لا أعلم. لا أعلم. لا شيء. أعتقد...".

انفتح باب الحمام، وخرج بيغ داداي من الحمام وتوجه إلى الخلف. تعثّر وسقط على حاجز المقصورة قبل أن يرتطم بالأرض. ركل الباب ليغلقه، وترك

إبريق القهوة وعبوة الغاز في الداخل. تركت كيلى الهاتف، وركضت نحوه، وجثت بجانبه. تراجعت على الفور، وكانت يداها تتجهان نحو قناعها وهي تركض مجددًا وتجري إلى الجانب الآخر من المطبخ.

استطاعت جو سماع القفل يفتح ويغلق من خلال الخط المفتوح بينما تدلت سماعة هاتف التواصل الداخلي من الحامل.

ظلت جو تنظر إلى الأمام والخلف مرارًا وتكرارًا، وهي تضغط سماعة الهاتف إلى أذنها، خشية هجوم آخر.

كانت قلقةً بسبب نفاذ الأدوات التي تمكنهم من مجابهة ذلك إذا حدث. ظهرت كيلى مجددًا، وهي تحمل زجاجة ماءً كبيرة. أبقّت جو الهاتف مضغوطًا على أذنها، وبالكاد تمكنت من سماع ما كان يحدث. قرفصت جو بجانب بيغ دادى.

سمعت جو كيلى تقول: "خذ نفسًا عميقًا واحبسه، ثم أرجع رأسك إلى الوراء وافتح عينيك".

فعل دادى ما قيل له، رفعت كيلى قناعه، وسكبت الماء على وجهه. بدأ جسده يرتعش استجابةً لذلك. أعادت كيلى القناع مرةً أخرى إلى وجهه، فرأت جو بيغ دادى يتنشق الهواء النقي. واستطاعت لمس الارتياح الذي شعر به، ولكنها شعرت بمقدار الألم الذي كان يشعر به من الأصوات التي كان يصدرها.

لقد استنشقت كمية كبيرة من الغاز السام، علمت أنه بحاجة إلى عناية طبية. تساءلت جو عما إذا كان يجب عليهم وضع أحد المسافرين السليمين في مقعد القفز الخاص به، وجعله يأخذ مقعد راكبٍ للهبوط والإخلاء.

هل هو قادر على إتمام واجباته؟ هل أصبح عاجزًا؟ بدأت تصلي أن يكون صديقها بخير، حتى يتمكن من الصمود حتى الهبوط.

نظر دادى إلى كيلى وتنفس بصعوبة، انتظرت جو. قال بصوتٍ خشنٍ وضعيف: "هل وصلنا؟".

الفصل الثاني والثلاثون

قال بن: "أوقف عمل الطيار الآلي".

حدق بيل إلى الأمام، وكان جسده مثبتًا بواسطة حزام الأمان. مدّ يده إلى اللوحة الموجودة فوق رأسه، وضغط زر الطيار الآلي، فانطفأ الضوء الأخضر فوقه. رنت ثلاثة أجراسٍ في غرفة القيادة. تم تعطيل الطيار الآلي. لف بيل أصابعه حول عصا التحكم إلى يساره، وأصبحت الطائرة تحت سيطرته الكاملة. عاد بصره سليمًا لكن رأسه لا يزال يؤلمه، تتفاقم معاناة التركيز بسبب الأصوات التي ترددت في رأسه.

تلك الأصوات الصادرة من المقصورة أثناء الهجوم الثاني.

توقع الطاقم الهجوم الأول. كانت الضوضاء مروعة، لكنها كانت تحت السيطرة؛ أصوات معركةٍ صعبة ولكن عادلة.

أما الثانية، فكانت مختلفة. كانت المعاناة ملموسة.

اللعة يا بيل. كن طيارًا. تجاهل كل شيء. افصل، اللعة.

كان الفصل هو السبيل الوحيد للبقاء تحت السيطرة أثناء الأزمة. تعامل مع المشكلة بالمنطق والعقل... تعامل مع ما تشعر به حيال ذلك لاحقًا. إنه أفضل ما في كل طيار منذ اليوم الأول.

لكن كل التدريبات في العالم لم تستطع إخراج أصوات الهجوم من رأسه بالكامل، وإلى جانب هذه الأصوات جاء صوتٌ واحد استدعى احتمالاً لم يرغب في التفكير فيه.

قال الصوت: اليوم، سوف تخذل عائلتك، وجو، والطاقم، والركاب.

لقد فشلت بالفعل وستستمر في ذلك.

أحكم بيل قبضته وأرخاها مرارًا وتكرارًا.

افصل يا بيل.

استرخى تدريجيًا. بدأ يتنفس من أنفه بدلًا من فمه، خفت الأصوات في رأسه حتى بقيت همهمة المحركات وحسب.

لم ينته هذا اليوم بعد.

لم يتغير مسارهم الأصلي، اقتربوا من جنوب غرب نيويورك، وحلقوا فوق ضواحي نيو جيرسي. ذات المنازل المطلة على المدينة. المكان الذي وقف الناس منذ سنوات في ساحات منازلهم الخلفية يشاهدون الدخان الرمادي يتصاعد من أفق وسط المدينة في صباح السماء الزرقاء المثالية. كانت جزيرة مانهاتن تتلألأ في الليل أمامهم مباشرةً على بعد.

كانت هذه قسوة من بن أن ينتظر كل هذا الوقت لتوجيه بيل إلى الخطوة التالية.

بدت واشنطن بعيدة جدًا الآن حيث أصبحت وجهتهم الأصلية على مرمى البصر.

قال بن: "حلق يدويًا نحو الهدف".

عبس بيل وسأل: "من الناحية الملاحية، كيف تقوم...؟".

توقف.

كلا.

لا لا لا...

لعن بيل نفسه. كيف له أن يكون غيبًا إلى هذه الدرجة؟ هل هو أعمى إلى هذا الحد؟

قال بن بوجهٍ خالٍ من التعابير: "نحن لا نوجه إلى العاصمة، أليس كذلك؟".

قال بيل بصوتٍ عالٍ: "بالطبع. لما قد تطلعتني على الهدف الحقيقي؟ لقد

افتترضت أنني سأخبر الجهات المختصة. لماذا تمنحهم خمس ساعاتٍ للاستعداد؟" هز بيل رأسه وحدث إلى مدينة نيويورك من النافذة التي أمامه. يبدو أنه فهم أن الأهداف المحتملة تسخر من قصر بصيرته.

سأله: "ما هو الهدف الحقيقي يا بن؟".

أضاء مبنى إمباير ستيت باللونين الأزرق والأبيض، وهو المعلم الأيقوني الذي يرتفع وسط الطرف الجنوبي، وهو أطول مبنى في الجزيرة: برج التجارة العالمية. تمثال الحرية.

ثم قال: "لا تقل لي إنه".

فهز مساعد الطيار رأسه.

حدث بن من النافذة إلى الأمام مباشرةً. ارتسمت ابتسامةٌ على وجهه. هز رأسه أمامه.

تبع بيل الجهة التي ينظر إليها، خارج النافذة فوق جزيرة مانهاتن. بالقرب من برج التجارة العالمية، وراء مبنى إمباير ستيت، إلى مجموعة من الأضواء الساطعة في برونكس.

بدأ بن في الغناء تحت أنفاسه: "خذني إلى مباراة الكرة..."

الفصل الثالث والثلاثون

وقف ثيو وكاري مقابل ساحة الانتظار، وقد تجاهلا العملاء الآخرين.

سارا قلقين في محاولة لمعرفة ما يجب القيام به.

تم الاستعداد لتطبيق البروتوكول الثانوي في العاصمة واشنطن وفقًا للأحداث في سماعه أذن ثيو. أصدر مكتب التحقيقات الفدرالي بيانًا عامًا رسميًا، وغمرت وسائل الإعلام الآن بصور السياح والمسؤولين الحكوميين وهم يسعون للاختباء. أطفئت الأضواء في البيت الأبيض، وتدفق جنودٌ مسلحون يرتدون معداتٍ تكتيكية داخل وخارج مبنى البنتاغون في الطرف الآخر للمدينة. كان الاستماع إلى التقارير الواردة مربكًا.

كانت هذه أزمتهم فقط، لكنها امتدت الآن من الساحل إلى الساحل. كانت تتحول إلى شيء آخر تمامًا.

كانت ليو وفريق لوس أنجلوس ينقلون كل ما يعرفونه إلى السلطات على الساحل الشرقي، لكن لم يكن لديهم الكثير ليقدموه.

لقد قدموا المعلومات التي لديهم عن المشتبه بهما، وأجروا عمليات بحث عن خلفيتها بأسرع ما يمكن. من المرجح أن تكون النتائج موضع نقاش في هذه المرحلة، ولكن بعد معرفة مشاركة بن، لم يخاطروا. كان من المقرر متابعة أي خيط محتمل؛ وهذا يشمل كل ما يخص بيل. عرف ثيو أن كاري لم تستطع سماع ما كان يُناقش في أذنه، لكن ذلك جعله يقف على قدميه على أي حال. إنها غريبةٌ عنه عمليًا، لكن بطريقة ما شعر أن آل هوفمان عائلته. وشعر بالخيانة لسماع مكتب التحقيقات الفدرالي يناقش أمر زوجها كتهديدٍ محتمل.

كان ثيو قد أرسل رسالة نصيةً إلى جو لإخبارها بأمرِ بن علي الفور. لكن جو لم ترد. نظر ثيو وكاري إلى هاتفه الخليوي، وانتظرا.
قالت كاري: "يبدو أن رسالتك وصلت".
ردّ: "بالتأكيد، لكن هل رأتها يا تُرى؟".
لم يكن لدى كاري أي جواب.

حذق ثيو إلى هاتفه، مصليًا أن تظهر هذه النقاط الثلاث على جانب جو من النص. حاول حجب الأفكار المظلمة، لكنها احتشدت في صمت. لا أحد يعرف ما هو السم، لم يكن لديهم أي فكرة عما حدث بالفعل هناك. على الرغم من كل ما عرفوه، لم تقرأ جو الرسالة أبدًا لأنها...
سلم ثيو الهاتف إلى كاري ونفض يديه.

قالت كاري في محاولة لطمأنته وطمأنة نفسها: "إنها مشغولةٌ فقط. لقد استلمت الرسالة. إنها بخير. هي فقط لا تستطيع الردّ، هل سمعنا أي شيءٍ آخر من بيل؟".
هز ثيو رأسه، لم يتواصل بيل عبر شيفرة مورس منذ رسالته الأخيرة بخصوص مكان العائلة، لم يبشر هذا بالخير بالنسبة للحجة القائلة إنه لا يزال صامدًا.
قالت كاري: "حسنًا، إنه مشغول أيضًا. طيران، وتنقل، وتواصل".
رفع ثيو رأسه مستغربًا وقال: "ماذا؟".

قالت: "طيران، وتنقل، وتواصل. إنه شعار الطيارين... أو شيءٌ من هذا القبيل؟ لا أعرف ما يمكن تسميته. إنها قائمة أولوياتهم.

حلق... قد الطائرة. انتقل... اعرف إلى أين أنت ذاهب. تواصل... تحدث إلى من تحتاج إليه. عادةً لا يكون فعل الثلاثة مشكلة. لكن في حالة الطوارئ؟" هزت كاري كتفيها وتابعت: "يفعلون ما في وسعهم. أعتقد أن التواصل هو عبارة عن رفاهية لا يستطيع بيل وجو بلوغها الآن".

استرجع عقل ثيو "معجزة على نهر هيوودسون". تذكر أنه كان يبحث عبر الإنترنت عن ملف تسجيل المحادثة بين مراقبة الحركة الجوية وغرفة القيادة لأنه كان مضطربًا

بسبب سُح ما قاله القبطان سولينبرغر خلال الحادث. لم تستمر الرحلة أكثر من ثلاث إلى أربع دقائق، واستمرت وحدة التحكم في إعطاء الخيارات التجريبية... لكن سولي بالكاد استجاب. وعندما فعل ذلك، كان رده قصيرًا ومباشرًا. "غير قادر". ثم أخيرًا، "سنكون في هيووسون". طيران، تنقل، تواصل. أصبح الأمر منطقيًا الآن.

لم يخضع بيل، لقد كان مشغولًا وحسب.

قال ثيو: "أنت تعلمين أنكِ على حق. أليس كذلك؟".

نظرت إليه وقالت: "عليك أن تخبرهم بذلك".

قال: "لن يستمعوا إليّ، لكنكِ على حق".

رمقته كاري بنظرة عتاب وقالت: "ومنذ متى أصبح كون المرء محققًا يعني أنه

يتم الاستماع إليه؟ يجب أن تعرف هذا أكثر من غيرك".

هزّ ثيو رأسه وقال: "لكنكِ على حق، وجو أيضًا. لكن لن يستمع أحد إلى أيّ

منكما في الوقت المناسب".

مسح ثيو وجهه محبطًا، وقع نظره على الهاتف في يد كاري.

نفس الهاتف الذي شاهد خالته تتحدث من خلاله من قبل في البث الذي

شاهده العالم بأسره.

قال ثيو ببطء، بعد أن اكتملت الفكرة في رأسه: "كاري، يجب أن نذهب".

فردت جو ساقها لتتوازن وتشبثت بجوانب متقابلة من الحاجز عندما بدأت

الطائرة في الاهتزاز.

رفضت ترك موقعها أمام باب غرفة القيادة، لم يكن هناك ما يشير إلى أن

هجومًا ثالثًا سيحصل، ولكن لم يكن هناك ما يشير إلى الهجوم الثاني أيضًا.

خيّم صمت مخيف على المقصورة خلفها، نظرت إلى الخلف بسرعة لتفقد

الركاب، فتسببت تلك الحركة الصغيرة بالقليل من الألم أسفل رقبتها. شعرت

بشيء في ساقها ونظرت إلى أسفل. كانت جواربها الطويلة تتأكل وتحترق مع ظهور

تقرحات مؤلمة على جلدها تحتها.

لقد تجاهلت كل شيء.

خرج دادي من الحمام، وجفف يديه. كان كماه ملفوفين، وكما الزي الرسمي الرمادي الداكن، كانا مبللين قليلاً. افترضت جو أنه كان يحاول غسل السم عن جلده. أمضت كيلبي الدقائق العشر الأخيرة وهي توزع زجاجات الماء على الركاب، وتطلب منهم غسل أعينهم، وأيديهم وجوههم، وأي مكان لامسه السم. طلبت منهم رفع قمصانهم فوق أفواههم وأنوفهم، أي شيء لتصفية الهواء، ولو قليلاً. لم تكن جو تعرف ما إذا كان الركاب قد استسلموا للسم أو إذا لم يتبق لهم أي قتال... لكنهم لم يقاوموا، ولم يطلبوا تفسيراً، ولم يطالبها أحد بشيء.

كانت فخورة بهم، جمعت الصدفة هؤلاء الغرباء معاً وتجاوبوا بشكل رائع، والشيء نفسه ينطبق على أفراد الطاقم، لم تستطع جو تخيل طاقم طيران أفضل من كيلبي وبيغ دادي، لم يصلوا إلى الأرض بعد، ولكن بسبب أفعالهم، جلس 144 شخصاً في مقاعدهم مصابين ويكافحون، لكنهم أحياء.

يتتهي هنا دورهم في الخطة. كان الأمر متروكاً لبيبل الآن.

بيبل.

القبطان. الرجل الذي اختطف عائلته، ما تعرفه جو، أن كارلي والطفلين قد ماتوا بالفعل.

شعرت بتوعك في معدتها في الوقت نفسه الذي انخفضت فيه الطائرة.

ترنحت من جانبٍ إلى آخر مع زيادة الانحدار.

كانت عضلات بطنها مشدودة لأنها تحاول الحفاظ على توازنها، ونظرت مقرصةً من نافذة الكوة الصغيرة على الباب إلى يمينها. كانت الأضواء على الأرض تزداد سطوعاً، حيث كانت الطائرة تتحرك بشكلٍ أسرع وأقرب من الأرض. كانت ستؤجل الأمر لأطول فترة ممكنة. لقد حان الوقت للجلوس في مقعدها وربط الأحزمة. كما أخبرت كيلبي ودادي تماماً... كان الركاب بحاجة إليها على قيد الحياة.

التوى خزان الأوكسجين وضغط على ظهرها، ومالت إلى الأمام لتنظر من النافذة مرةً أخرى. حلقت جو إلى مطار جون كينيدي مراتٍ لا تحصى. كانت تعرف الطريق جيداً.

كانت تعلم أنهم ينحرفون عنه.

بيل.

ما الذي قاله لها؟ أعدك بأنني لن أدع هذه الطائرة تسقط. لكن لم أجد له حلاً لذلك بعد. ترددت كلماته إلى جو كما لو كان يهمس بها في أذنها. لقد أكد لها أنه لن يحطم الطائرة. لكن بأي ثمن؟ كان قلبها يتألم من أجل صديقها والعبء الذي يحمله، والاختيار الذي كان عليه.

ارتطم الجزء الخلفي من رأسها بمسند الرأس بينما تركت قدميها الأرض. حاولت أن تبدو واثقة، وكأن ارتعاش الطائرة كان جزءاً من الخطة. لكن سرعتها عند هذا الارتفاع المنخفض والانحدار الجامح خارج المسار كانا يخبرانها بشيءٍ آخر. همست لنفسها بهدوء، دون أن يرى الركاب شفيتها تتحركان تحت قناعها: "بيل؟". أخفت المقصورة المعتمة دموعها. كان الأدلة تتزايد، هناك خطبٌ ما. ارتجف صوتها عندما نادى مجدداً: "أيها القبطان؟".

هل كان بحاجةٍ إلى مساعدة؟ أرادت أن تفعل شيئاً، وأرادت النهوض وإصلاح الوضع، وأرادت التحكم في ما سيحدث. تحركت لفك حزامها... لفعل ما، لم تكن لديها أدنى فكرة عما تريد أن تفعل... شعرت بهاتفها في جيبتها. أدركت أنها لم تتحقق منه من قبل بدء الهجوم الأول.

اهتزت الشاشة الرقمية الساطعة وسط الاضطرابات حيث كانت تكافح من أجل تثبيتها بما يكفي لتمكين من القراءة. وجدت العديد من الرسائل غير المقروءة من ثيو.

إن كاري والطفلين بأمان، والشرير لقي حتفه. مكتبة .. سر من قراً

ركلت جو الحاجز أمامها بكلتا قدميها، كانت قد ثبتت نفسها بمقعدها بكلتا يديها، وكان رد الفعل الجسدي الوحيد الذي يمكن أن تتعرض له، لم يسبق لجو أن شعرت بشيءٍ حقيقيٍّ كالنصر الذي سرى في جسدها بعد قراءة تلك الرسالة.

ثم احتدت نظرتها بعد ابتسامة ظهرت من جوانب قناع الأوكسجين الخاص بها وهي تقرأ رسالة ثيو التالية.

الطيار المساعد، متورط، لديه سلاح. قد يحتاج بيل إلى المساعدة.

لا يمكن للبنية البشرية أن تتحمل التخطبات الكثيرة في فترة قصيرة من الزمن. انتشر الخبر في جسدها مثل صدمة كهربائية. انزلق الهاتف من أصابعها، ووقع على أرضية المطبخ.

كان بن هو الخطة الاحتياطية. إنه التهديد الذي كانوا يبحثون عنه طوال هذا الوقت...

... كان أحدهم.

حدقت إلى الحاجز الزجاجي مذهولة، لم يخطر ببالها أن يكون الطيار المساعد متورطاً، لم تتساءل ولو لمرة كيف سيتعامل بيل مع هجوم على المقصورة صادرٍ عن طيارٍ آخر يجلس إلى جانبه، كان لدى المضيفات ما يكفي للتعامل معه. كل ما كان يحدث على الجانب الآخر من الباب تركته ببساطة على عاتق بيل. فشعرت جو أنها حمقاء لأن شيئاً واضحاً للغاية لم يطرأ على ذهنها حتى الآن. حاولت أن تربط الأحداث ببعضها، وما الذي يتعاملون معه الآن، في الوقت الذي كانت فيه الطائرة تنخفض.

فكّت حزام الأمان بخدر، ومدّت يدها لالتقاط هاتفها الخليوي عن الأرض. انزلق خزان الأوكسجين حول جسدها، مما أدى إلى تحويل مركز ثقلها. أسندت نفسها على الحاجز، وأمسكت بالهاتف وسحبت نفسها في وضع مستقيم. اهتزت يداها بعنف. كانت تفقد السيطرة.

وقفت جو. وأغمضت عينيها، وتنفست بعمق. لم يتته هذا بعد أيتها السيدة اليافعة. تشبهي جيداً الآن وتمالكي رباطة جأشك. بينما كانت ترفع سماعة هاتف التواصل الداخلي عن الأرض، رن جرسٌ مدوّ عبر المقصورة.

قالت: "انهض يا دادي، لدينا مشكلةٌ جديدة".

الفصل الرابع والثلاثون

كانت كاري تمشي بخطى سريعة عندما عبرت ساحة توقف السيارات، كان سكوت متأخرًا عنها بوضع خطوات، يحاول جاهدًا اللحاق بها. سأل الصبي: "أمي، إلى أين نحن ذاهبون؟".

ألقت كاري نظرة خاطفة من فوق كتفها. كان روسو عائدًا إلى العملاء الآخرين بلا مبالاة. لم يبدُ عليه الانزعاج عندما استعادت الطفلين؛ هو بالكاد سلّم أليز لأنها ثم ضغط على كتف سكوت مخبرًا إياه إنه كان شابًا شجاعًا. ليدير ظهره بعدها ويرحل بعيدًا، وهذا ما كان.

قالت كاري: "سنذهب لمساعدة أليك".

نظر سكوت نحو عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي بحيرة: "ألن يساعده؟". ردت كاري بتردد: "أوه، أجل يا عزيزي، سيساعدونه. نحن فقط سنجرب شيئًا آخر".

كانوا متجهين نحو النهاية البعيدة لساحة ركن السيارات حيث اصطفت أرتال عدة من مركبات الترفيه. فقد أخبرها ثيو أن تحضر الطفلين وتلتقي به هناك. بالكاد كانت تعرف ثيو، لكنها اليوم على وجه الخصوص ائتمنته على روعي طفليها.

تسارعت نبضات قلبها مع التفافها حول المركبات. بعض تلك المركبات كانت تنير مصابيحها وكان ملاكها يجلسون على كراسٍ قابلة للطي، يستمتعون بنسيم البحر من خلال نوافذهم الأمامية. كانت كاري بالقرب من نهاية الرتل عندما سمعت أحدًا يهتف باسمها، فما كان منها إلا أن أدارت رأسها يسارًا باتجاه الصوت.

أشار إليهم ثيو ليأتوا باتجاهه تمامًا عندما بدأ هاتفه بالرنين.

قال عبر الهاتف: "العميل بالدوين"، واستمع لوهلة قبل أن يجول بعينه عبر ساحة ركن السيارات، ثم يبدأ بالتلويح بيديه: "إني أراك، نحن في المقدمة، بجوار المركبة، إنني ألوح لك".

التفتت كاري لترى مركبة تتجه نحوهم. يعلوها عدد من لاقطات الإشارة وضحن استقبال كبير على السطح. مع اقترابها تمكنت كاري من ملاحظة علامة سي أن بي الحمراء مرسومة على جانب المركبة. توقفت المركبة بجانبهم، وانزلق بابها لتظهر فينيسا بيريز، وهي شابة عرفت كاري من خلال البث الحي المسائي، لتخرج بعدها وتمنح العائلة ابتسامة دافئة مريحة قبل أن تجحظ عيناها عند رؤيتها ثيو، مضرجًا بالدماء وقد أوسع ضربًا.

"ماذا حصل؟".

قاطعها ثيو: "لاحقًا". أخذ الطفلة من كاري التي صعدت المركبة مع سكوت وقبله، وتبعهما كل من أليز والمراسلة. أُغلق الباب وانطلقت المركبة.

سألت كاري: "إلى أين سنذهب؟". وهي تتمسك بإحكام بينما كانت المركبة تنعطف بشكل حاد. ليجيبها ثيو بعد صمت: "إلى المنزل".

قال داستي محررًا كرسيه جيئةً وذهابًا: "كوستال 416، أجيوا".

بصفته المشرف الأول على البرج، ورجلاً يتعامل مع المواقف الصعبة بكثير من الهدوء، كان داستي الخيار الواضح لإدارة الرحلة 416. ولكن مشاهدته لمسار المنارة عبر الرادار أمامه من دون تلقيه ردًا عبر السماعات جعلته يشعر بضيق في صدره. لقد عبّر عنه على أنه شعور "القلق" الذي يتحدث عنه الناس غالبًا. لم يعجبه الأمر.

لقد أُغلق المجال الجوي أمام جميع الرحلات الواردة باستثناء الرحلة 416. في مثل هذا الوقت من الليل، عادة ما كانت المدرجات مليئة بالرحلات الدولية المتجهة إلى أوروبا، والمسافرون القادمون إلى الغرب. حركة الركاب من

كافة المدن الرئيسية للساحل الشرقي، فأكثر من ستين مليون مسافر يسافرون من وإلى نيويورك عبر المدرجات الأربعة لمطار جون كينيدي كل عام. لكن المطار اليوم بدا كأنه مطار إقليمي هادئ.

داخل البرج كان الوضع مختلفًا. الأضواء الوهاجة بالأحمر والأزرق الصادرة عن طواقم النجدة في الخارج أنارت الغرف. وأظهرت الطاقة المحمومة لديهم، لكن المحترفين منهم ظلوا متيقظين.

قال داستي مجددًا: "كوستال 416، أجيوا".

لم يسمع ردًا.

تحقق من ساعته، إحدى عشرة دقيقة من دون رد.

أعاد إسناد ظهره إلى الكرسي، نظر عبر الغرفة إلى الضابط الجالس في المحطة الأخرى. كانت الأوسمة على بذلته تلمع تحت الأضواء. كان يضع سماعتين ثقيلتين رسميتي المظهر، وكانت تبدو أجمل من أي قطعة من المعدات الموجودة ضمن البرج، وكان يضغط بإحدى يديه على أذنه، ويمسك الميكروفون باليد الأخرى، إنه يرسل رسائل بلغة مورس.

تم نشر متحدثي الشيفرات العسكريين في أبراج العاصمة تحسبًا، على الرغم من أن الرحلة 416 لم تتواصل مع أي منها.

بالتواصل البصري مع داستي، هزّ متحدث شيفرة مورس رأسه. ونظر إلى الساعة، ثم كتب شيئًا على قطعة من الورق ورفعها: "18".

بدأ داستي بالشتم، ومسح بيده على وجهه المتجهم، مضت عشرون دقيقة ولم يحصل على ردّ، ونظر إلى نهاية الغرفة حيث بدا أن عدد الرجال الصارمين بالزي العسكري يزداد شيئًا فشيئًا.

لقد علم داستي أن الأمور لم تكن تبشر بالخير بالنسبة إلى الرحلة 416.

نظر إلى أجهزة التلفاز الثلاثة المعلقة على الجدار عبر النهاية البعيدة لغرفة البرج. عادةً ما كانت تعرض رادارات الطقس ومعلومات رحلات الطيران، أما

الليلة فقد كانت تعرض بثًا لثلاث محطات أخبار مختلفة، الشيء الوحيد الذي تجري تغطيته هو الكارثة المتكشفة. كشفت بعض شبكات الأخبار بعض المعلومات واللقطات الأساسية: عروضا متحركة لمسار الرحلة، مواعيد المغادرة والوصول، مواصفات الطائرة والأطر اللوجستية. الشاشات الأخرى أعادت عرض فيديو جو، الذي حولها من مضيئة طيران مجهولة إلى اسم معروف في زمن قياسي. تم تداول صورة لعائلة هوفمان: الأب، الأم، الابن، والابنة على شاطئ ما في وقت الغروب. أظهر بث حي من العاصمة واشنطن حركة المرور المتوقفة بسبب امتلاء طرق الدخول والخروج بالنازحين.

في الجانب الآخر من الغرفة، تمكن داستي من رؤية جورج في مكتبه. وقف مدير مراقبة الحركة الجوية خلف مكتبه وشد قبضتيه، مواجهًا القائد سوليفان المسؤول حينئذ. كانت تلك المرة الأولى التي يرى فيها أتباع جورج رئيسهم يفقد أعصابه أو يرفع صوته، ولهذا فقد أشاحوا بنظرهم وحاولوا تجاهل الأصوات. وشعروا كأنهم يخونون الرجل الذي احترموه طويلاً. ولكن صم الآذان لم يكن ممكناً وسرعان ما تبين لداستي وزملائه أن جورج كان يخسر الجدل.

"ستقوم بإسقاط تلك الطائرة، أليس كذلك؟"

ردّ سوليفان: "هذا ليس من شأنك، خطة الطوارئ ليست.."

يضرب جورج الطاولة بقبضة يده. الأمر الذي أخاف عناصر وحدات

التحكم.

"ستسقط رحلة تجارية مليئة بالمدينين أبرياء.."

صرخ الضابط الذي لم يعتد أن يعانده أحد: "هذا يكفي سيد باترسون، أنت وطاقمك ملزمون بتنفيذ إجراءات العمليات المعتمدة ولا شيء سواها، ما عدا ذلك فهو غير مصرح به وخارج نطاق صلاحياتك".

لم يرد جورج.

زمجر سوليفان: "هل تفهم؟"

ردّ جورج: "حاضر، سيحصل رجالك على الوصول التام لكل ما يحتاجون إليه".
فُتح الباب فجأة. تظاهر العاملون بأنهم منهمكون في العمل.
قال جورج بهدوء، بوجه أحمر يدعو للقلق، وبوجود ثلاثة ضباط خلفه
يرتدون زيهم الرسمي: "داستي، أريد منك أن تعلم هؤلاء الرجال أساسيات
العمل". عم الصمت أنحاء البرج.

قال داستي، محوّلًا أنظاره بين قائده وبين بقية الرجال: "لا أملك الوقت
لتدريب أشخاص جدد حاليًا".

قال جورج بينما كان يضع سماعاته، مخرجًا منظرًا من المكتب وملقيًا به
لأحد ضباطه: "لا أخالفك الرأي، افعلها بكل الأحوال".

لم ينبس أحد الموجودين ببنت شفة. كان الجميع يعلمون البروتوكول
العسكري الثاني المعتمد في مثل تلك الحالات. لكن مواجهة الوضع على أرض
الواقع جعلهم غير قادرين على الكلام.

هزّ داستي رأسه، متممًا لزميله: "هل أصبح الوقت متأخرًا لادعاء المرض؟"،
لوّح للرجال ليأتوا باتجاهه، لكنه أشار فجأة إلى التلفاز. ليلتفت الجميع.

بعد ابتعادها عن تغطية الأحداث في الموقع، بدأت وكالة سي أن بي بثًا إخباريًا
يقدمه مذيع من الاستديو الإخباري. نظراته التي تنقلت بين الكاميرا وبين الأوراق
أمامه، وتعابير وجهه، كشفت أنه يملك معلومات حصرية عاجلة، وفي لحظة غير
مسبوقة قام أحد الموجودين برفع صوت التلفاز.

"...زوجة القبطان بيل هوفمان، وهو الطيار في الرحلة المختطفة، كوستال
416. في هذه الأثناء يقوم أحد مراسلينا الميدانيين في لوس أنجلوس بلقاء معها، وقد
أخبرني أنها بصدد توجيه رسالة مهمة إلى الشعب الأمريكي، وللرئيس. سنصلكم
بهما حال جهوزهما. لم يتم إعلام وكالة سي أن بي ما..."

نظر داستي إلى جورج والضباط ليرى في وجوههم تأثير المشهد المتكشف على
الشاشة أمامهم. عاد إلى الرادار. بقدر ما كان داستي قلقًا فقد استمر بأداء ما كان يفعله.

تحدث مجددًا عبر الميكروفون: "كوستال 416، أجيوا"، بلهجة أقرب إلى الرجاء. كانت كاري تستند إلى المقعد بينما كانت العربية تصل إلى مكان تركز فيه. فتح المصور الباب الجانبي وقفز مسرعًا. خرجت فينيسا وتبعها سكوت. قفزت كاري بعدهما ثم التفتت لتأخذ أليز من يد ثيو. كانت الكاميرا جاهزة للتصوير بالفعل بينما كانت كاري تمشي مبتعدة عن العربية، متحدثه من خلال ميكروفون محمول باليد.

قالت فينيسا: "أنا هنا مع بقية عائلة هوفمان، السيدة كاري هوفمان وطفليها. يسعدني أن أخبركم أن العائلة بخير وأمان الآن. لكن حالة الرحلة 416 غير مستقرة بعد، ولدى السيدة هوفمان رسالة مهمة تريد مشاركتها مع كل من يشاهد، وخصوصًا مع رئيس الولايات المتحدة".

تنفست المراسلة بعمق، ثم أشارت إلى العائلة، لكنها توقفت. نظر المصور من فوق كتفه. مشاهدًا حالة الأسرة، وأدار عدسة الكاميرا وأنظار العالم باتجاههم. وقفت كاري ثابتة وبدت الصدمة على تعابيرها، في مكان بدا منزلها، أو ما تبقى منه. مشت بخطوات بطيئة إلى الأمام باتجاه حطام الانفجار... لا شيء. لم يبق من المنزل سوى الرماد. سمعت سكوت يعطس، فأمسكت يده.

رفعت فينيسا شريط التنبيه الأصفر لتمر العائلة من تحته. لم تنطق المراسلة بشيء، وعلمت كاري أن جميع من يشاهدون في منازلهم كانوا صامتين أيضًا. رأى الجميع المنزل وعلموا ما قد حدث، لكنها المرة الأولى التي ترى فيها العائلة ما حصل للمنزل، نظرت كاري عبر الطريق لترى شجرة البلوط في حديقتهم الخلفية. تخيلت كيف كانت تقف في المطبخ صباحًا، وهي تراقب أوراقها المتراقصة في النسيم، أما الآن فالشجرة محروقة، والمطبخ لم يعد له وجود. هزّت رأسها ببطء بينما كانت تحاول استيعاب ما تراه، لكنها لم تنطق بكلمة.

سألت فينيسا بلباقة: "سيدة هوفمان، هل أنت بخير؟"، وهي تُقرب الميكروفون منها، قامت كاري بنقل أليز إلى الجانب الثاني قبل أن تعيد إمساك يد سكوت.

التفتت إلى المراسلة، بعينين دامعتين مليئتين بالإصرار، وقالت: "سنكون بخير عندما تهبط الطائرة بسلام".

ابتسمت فينيسا: "سيدتي، ماذا تريدان إخبارنا؟".

هزت كاري رأسها، وأوقفت سكوت أمامها ووضعت يدها على كتفه قبل أن تتنفس بعمق.

قالت بتوتر: "سيدي الرئيس، أعلم أنك الآن في غرفة العمليات لتقرير ما يجب القيام به، وأعلم أنك تحصل على المعلومات فور وصولها، وأعلم أنك تعلم أنني أخرجت من المنزل مع طفلي تحت تهديد السلاح. وقيدنا وكممنا، وتم إلباسي ستره ناسفة. وأن..."، ارتعش صوتها لرؤيتها الدخان المتصاعد من الأنقاض، "منزلنا دُمّر. أعلم أنك تعلم أن مكتب التحقيقات الفدرالي أنقذنا. وأنا الآن بخير، وأعلم تمامًا أنك تعلم أن مساعد الطيار الأول، يحمل مسدسًا وأنه جزء من الخطة".

لم تكن كاري تملك أدنى فكرة عما شاركته الجهات الرسمية مع العامة حتى هذه اللحظة، ولكن تعابير وجه المراسلة كانت تدل بوضوح على أنها تملك معلومات جديدة.

"أعلم أن البت في قرار ما سيتم إجراؤه يعود لك وحدك. وهو قرار ليس من السهل اتخاذه، أعلم جيدًا أن الولايات المتحدة لا تتفاوض مع الإرهابيين". أحاطت كاري كتف سكوت بذراعها، ارتعش صوتها مجددًا: "وأعلم أنك على الأرجح ستختار إسقاط تلك الطائرة".

نظر سكوت إلى والدته. فعانقته بقوة أكبر.

"سيدي الرئيس. قبل أن تتخذ قرارك، وقبل أن تقوم بإسقاط رحلة تجارية مليئة بأرواح الأميركيين أبرياء، أريد أن أخبرك ما لدي من معلومات. ما لم ولن يخبرك به مكتب التحقيقات الفدرالي. ما لن تجده مكتوبًا في تقاريرك".

صممت كاري بينما سألت دمعة على خدها. وظهرت ابتسامة على شفيتها.

"أعلم ما سينقذ تلك الطائرة. أملك الفرصة الأفضل لأولئك المسافرين الأبرياء للنجاة. أعرف كيفية إعادتهم اليوم سالمين إلى عوائلهم". سالت دمعة أخرى. "ولكن الخيار لن يكون سهلاً، سيكون الخيار الصعب، لأنه سيتطلب منك تجاهل كل المعلومات، والثوق في الحقيقة. لأن الحقيقة هي كالتالي: فرصة النجاة الأفضل للرحلة 416 هي على متن الطائرة".

عضت كاري شفتها السفلى، وحدقت لبرهة إلى الفراغ، محاولة إيجاد طريقة لصياغة ما ستقوله.

"عندما اختطفت عائلتي، كان على بيل الاختيار ما بين الطائرة وبيننا، هل تعلم ما كان جوابه؟ عندما كان السلاح موجهاً رأسي طفلينا، وعندما علم أن منزلنا قد فُجر، هل تعلم ما كان جوابه؟" هزت كتفيها بابتسامة. "لقد رفض. لم يتخذ قراراً. لم يستسلم لأنه يعلم أيضاً أننا لا نتفاوض مع الإرهابيين".

رفعت شعرها بيدها: "أترى؟ هنا أخطأ أولئك الرجال التصويب، هم لم يفهموا معنى الواجب. بيل، زوجي، القبطان هوفمان رجل واجب. أفهم ذلك تمامًا. سيدي الرئيس، بصفتك رجل واجب أيضاً، أعلم أنك تدرك ذلك أيضاً. إنني ممتنة كل الامتنان لرجال مكتب التحقيقات الفدرالي الذين وصلوا إلينا في الوقت المناسب. لأنني أعلم زوجي. وأعلم دوماً وأقسم اليوم أيضاً أنه ما كان ليسقط تلك الطائرة لينقذنا. أما الآن؟ بعد أن علم أن عائلته بخير؟". أفلتت ضحكة مكتومة من بين شفتيها. وانتصبت قامتها قليلاً. "من غير الممكن ألا يجد زوجي طريقة لجعل تلك الطائرة تهبط بسلام".

عدّلت وضعية أليز على خصرها، وأمسكت كتف سكوت بقوة.

"سيدي الرئيس. لأجل والد طفلي، ولأجل كل أب وأم وابن وابنة على متن تلك الرحلة، أرجو منك اتخاذ الخيار الشجاع، ومنح فرصة لتلك الطائرة وأولئك المسافرين، أما إذا اتخذت الخيار الضعيف، الخيار السهل، وأسقطت تلك الطائرة، نعلم تمامًا ما سيحصل. ولكنني أطلب منك التحلي بالشجاعة والإيمان، أطلب

منك اختيار الثقة برجل نبيل، رجل واجب. أعلم يا سيدي أن إيمانك ستم مكافأته".

عم البرج صمت مفاجئ قبل أن تبدأ المهمة بين الموجودين. كان الجو مشحونًا بالأمل، وربت داستي على ظهر مسؤولية التحكم.

"هل سيكون غريبًا لو صفقت لها بحرارة؟".

تجاهلته مسؤولية التحكم، تنبته فجأة، وأشارت إلى رادار داستي.

تمتم داستي: "اللعنة.. جورج؟ الرحلة 416 خرجت عن مسارها".

قال المتحدث بالشفيرة: "صمًا!". تحول البرج بأكمله إلى حالة توتر غير

معهودة. راقب الجميع وهو ينصتون إلى سماعتي رأسه، ملأت وجهه ملامح

التركيز الشديد، وفجأة انفرجت أساريره عندما فهم ما يجري، فاتحًا شذقه واسعًا.

"الهدف ليس واشنطن، الهدف هو ملعب اليانكيز".

الفصل الخامس والثلاثون

على شاشة الرادار أمام بيل، ظهرت عدة علامات متصالبة على أثرهم. أربع طائرات أف-16 كانت ضمن مجال إطلاق النار على الرحلة 416. فرك بيل وجهه بإحباط، لقد علم أن الأمور ستصل إلى هذه الخطورة عندما اكتشف انخراط بن في العملية. وذاك كان ما منعه من الرد برسالة مشفرة، وبهذا فقد أصبح في مواجهة خطرين محدقين به. قال بيل: "هذا ليس منصفًا".

نطق بن بدون النظر إليه: "ماذا يا بيل؟ ما هو الشيء غير المنصف؟". اهتزت الطائرة عند عبورها مطبًا هوائيًا، وكانت أضواء الأحياء تتلألأ أمام ناظري بيل من خلال نافذته بينما كانت الطائرة تنعطف يسارًا. كانت ليلة صافية، لكن الرياح كانت شديدة ما جعل الطائرة تتخبط. "كوستال 416، أجيئوا".

مجددًا، سمع النداء المتكرر الصادر عن مسؤولية التحكم عبر سماعتي الرأس، لكن لم يتحرك أي طيار للرد. لقد تجاهلا النداءات منذ هجوم الغاز الأول، وحتى خلال بقية الرحلة الجوية. لم يبقَ هناك الآن سوى هذين الرجلين. لم تسعف الكلمات أفكار بيل المتخبطة: "ليس عادلاً أنه... أنني هنا. وأنت هنا. أنني عشت حياتي، وأنت عشت حياتك. ليس من العدل ألا يعير أحد اهتمامًا لقومك. هذا ليس صحيحًا. وإنني متأسف لهذا". لم يرد بن.

استدار بيل لمواجهة مساعده الأول مباشرة. "أقسم لك يا بن إنني سأقضي ما تبقى من حياتي لأعمل على إصلاح هذه الأخطاء. لا يمكنني تغيير ما أصابك. ولا

يمكنك ذلك أيضًا. لكننا لن نجني خيرًا من تحطيم هذه الطائرة. أنت أدري بتلك البلاد، وتعلم ما سنفعل لرد الدين، أنت تعلم من سيكون المتضرر من كل ذلك".
حدّق بن عبر النافذة.

أكمل بيل: "لكننا إن لم نحطم الطائرة، فسندقر على العمل معًا، سأثقف نفسي، سأتعلم ما يجب عليّ أن أتعلّمه، وعندها قد يستطيع كلانا إصلاح بعض الأمور".
كان المسدس بينهما تمامًا. لم ينطق أحد. التفت بن ونظر إلى وجه القبطان، ونظر بيل إلى عينيه مباشرة، أمل أن تكون كلماته الصادقة قد وجدت طريقها لإيمان وأحاسيس بن.
"بن، لا نزال نستطيع القيام بشيء".

أمسك بالرسالة بين شفتيه، سحب بن مقبض الباب باتجاهه بعد معاناة مع المفتاح العالق. أصدر القفل صريرًا، وكذلك الباب عندما دخل إلى المقصورة ساحبًا خلفه حقيبة السفر. أثار مصابيح المطبخ، حوض غسل الأطباق كان مليئًا بالصحن القذرة، رمى الرسالة على طاولة المطبخ بجوار صحن حبوب لم يتم إنهاؤه.
تنهد متعبًا من يومه الرابع ومن حياته.

قال بصوت مرتفع، واضعًا قبعته على المشجب، ومعطفه الرسمي على ظهر الكرسي: "ظننت أنك ستتصل بأحدهم لإصلاح الباب أثناء غيابي، القذارة تملأ المكان يا رجل".

أحضر زجاجة جعة من الثلاجة، وجلس على الطاولة، فتح الرسالة ممزقًا المغلف وتاركًا ما تبقى بجانب الصحيفة.
الصحيفة.

حك رأسه. لم يتلق هو أو سام أي أوراق.
التقط الصحيفة ليرى أن تاريخ النشر يعود ليوم مختلف. تحتها كان يوجد صحيفة أخرى. كل الصحف كانت مطوية ومعلمة بحبر أحمر. وكل الأخبار كانت عن انسحاب الفرقة.

لاحظ أن سام لم يقل شيئاً مذ عاد إلى المنزل، التفت بن ليجد النور مضاءً في غرفة سام، والباب نصف مفتوح.
"سام؟".

لم يرد أحد.

رفع صوته عابراً غرفة الجلوس: "سامان". طرق على الباب، لكن أحدًا لم يجبه، فتح الباب ليجد الأثاث غارقاً بالدماء حتى أسودّ لونه. لو لم ير آثار الدماء على ساعدي سام لما استطاع بن استيعاب المشهد أمامه.

صرخ بن: "يا إلهي!!"، اندفع نحو صديقه ثم تراجع إلى الخلف، ودار على عقبه. "اللعة!!"، هرع إلى المطبخ، وأمسك هاتفه طالباً النجدة، ثم عاد مسرعاً إلى الغرفة وهو يُطلق سيلاً من الشتائم.

كانت عينا سام صافيتين تنظران بثبات على الرغم من تنفسه البطيء وجلده الشاحب. وكان بن يدور حوله جزعاً يصرخ عبر الهاتف.
صرخ: "أسرعوا!!"، وأنهى المكالمة.

أمسك أغطية السرير، ولقّها حول رسغي سام محاولاً إيقاف النزيف. حدق الصديقان إلى بعضهما محاولين تخيل ما يفكر به كل منهما.

كان صوت سام ضعيفاً وبطيئاً: "أتذكر عندما أحضرنا المشروبات تلك المرة في ذاك المكان على الشاطئ؟ المكان حيث الفناء الخارجي. حيث كانت توجد أغطية لتدفئتنا عندما يصبح الجو باردًا؟ لقد تناولنا المحار، وكنت تحاول التقرب من الفتاة الجالسة بجوارك عند البار. عندما ظهر حبييها فجأة".

ابتسم بن بهدوء وهز رأسه.

"عندها فقط، وفي ذاك المكان، في تلك اللحظة تمامًا هو جمعت قريتنا".
أغمض بن عينيه.

"لقد تركناهم هناك".

انهمرت الدموع من عيني بن المغمضتين، وسقطت على صدر سام.

همس سام: "لا يمكنني فعل ذلك بعد الآن، لا شيء من كل ذلك".

تأوه بألم، شدّ بن قبضته على رسغيه.

قال سام: "لماذا؟ لماذا تمنعني؟".

ضغط بن فكّيه بإحكام، أنفاسه يملؤها العار والغضب، وللمرة الأولى عقد العزم على تنفيذ ما خطط له سام.

"لأنني غاضب من أنك ستركني وحدي هنا، ستشارك الأمر".

قال بيل: "بن، لتتخذ قرارًا، معًا والآن. دعنا نختر مساعدة قومك وليس إيذاءهم. يمكننا فعل ذلك".

لم يعلم بيل إن كان بن يفكر بجديّة في عرضه، لكن انتباه الشاب كان مشتتًا، لم يجدر به اتباع مبدأ التعاطف كأسلوب، لقد أدرك بيل أنه كان يحاول التقرب من بن، وضمه إلى صفه، وإقناعه بصيغة تمكنهما معًا من جعل الطائرة تحط بسلام.

"كوستال 416، هنا الضابط في سلاح الجو الفريق سوليفان يتكلم نيابة عن رئيس الولايات المتحدة الأميركية".

أجفل الطياران لسماع الصوت العنيف الذي صرخ من خلال مقصورة الطيار: "كونا على علم بأننا نعلم أن المساعد الأول بن ميرو يشكل تهديدًا، إذا لم تستجيبا مباشرة فإننا جاهزون للتصريح بقصف الطائرة، وقد أُعِدَّ من أندر".

نظر بن عاليًا إلى السماء، رفع ذقنه وصرّ على أسنانه.

"لم يكن الأمر متعلقًا بالاصطدام يا بيل، لم يكن الأمر متعلقًا بك أو بالمسافرين أو بعائلتك. لم يكن متعلقًا حتى بالاختيار". هز رأسه. "كل هذا من أجل إيقاظ الناس، والقيام بأمرٍ مأساوي كفاية لجذب انتباههم، أمرٍ لا يمكنهم تجاهله، لم يكن الأمر شخصيًا".

التفت إلى بيل بملامح سوداء مية.

"كان هذا سابقًا. أما الآن؟ فأريدك أن تحترق".

الفصل السادس والثلاثون

عندما دخل بيغ داداي إلى الصف الأول، التهبت جو.

قال داداي: "أعلم. ستكون وحمة عظيمة".

خارج حدود قناعه، كان وجهه أحمر بالكامل، منتفخًا ومغطى بالبثور. وكانت راحتا كفيه ملفوفتين بالقماش الطبي من حقيبة الإسعافات الأولية، وقد تصبغ بياض عينيه باللون الأحمر.

وقف جوسيب بجانب جو يحمل قينة أو كسجين محمولة إضافية كبقية الطاقم. وتفحص بيغ داداي الرجل من رأسه إلى قدميه.
قالت جو: "إنه معنا".

نظر بيغ داداي نظرة خاطفة إلى ديف، كان منهارًا وفاقدًا للوعي. وقال: "حسنًا، لا بأس، ولكن لم يقف هنا؟".
قالت جو: "لأنه يغطيني".
"عفوا؟".

"لقد عرفنا هوية الخاطف، إنه بن وهو مسلح".

غمز داداي لها.

لقد امتهنا الطيران معًا كل حياتهما، وكانا يعلمان جيدًا أن الشيء الوحيد الممكن الاعتماد عليه هو الطاقم الذي سيؤمن التغطية. كان الطاقم كالعائلة، والعائلة لا تعمل من تلقاء نفسها.

تشبث بيغ داداي بأطراف الحاجز ليثبت نفسه، فاحصًا الأرضية ومحددًا إليها.

"يا داداي، لا نملك الوقت لـ..."

انحنى، وأطلق سيلاً من الشتائم، وعندما وقف مجدداً، أغمض عينيه المحقونتين بالدماء. قال بيغ دادي بصوت عميق لم تسمعه جو من قبل: "أنا بخير، ما هي الخطة؟".

شرحت جو الخطة بسرعة ووضوح. كان على دادي الجلوس على المقعد المطوي الخاص بجو ليقود عملية الإخلاء من المقدمة حال هبوط الطائرة. وكان على جوسيب التغطية، وتعيّن على جو دخول غرفة القيادة باستخدام رمز الدخول. حدق دادي إليها: "ثم ماذا؟ بن يحمل مسدساً يا جو، نحن لم نناقش حتى فكرة رمز الدخول كخيار، لأنها ليست خياراً. أنت تعلمين أنهم سيمنعون..."

أحكمت جو شد قبضتها: "أعلم ذلك، ولكن عليّ المحاولة، عليّ الوصول إلى هناك لمساعدة بيل أو لإيقاف بن. أو..." اصطدمت جو بمقعدها: "اللعنة يا دادي، اجلس".

أمسك دادي هاتفه، واتصل بالدعم بينما كان يشد أحزمة مقعده. وبينما كان يشرح الوضع لكيلي، كانت جو توضع وتؤمن حاملة الطعام، ممسكة بيدها أنبوباً بلاستيكيّاً أحمر طويلاً متفتح النهاية.

رفع دادي حاجبيه وغطى سماعة الهاتف بيده: "بن يحمل مسدساً، وأنت تسلحين نفسك بمطرقة الجليد؟".

"أتحمل منجلاً في مكان ما؟".

بقي جوسيب صامتاً بجانب جو، وهو يواجه صعوبة في التنفس، كلاهما تعرض للغاز السام خلال الهجوم الأول، وعلى خلاف دادي، كان تأثير السم واضحاً عليهما.

وضعت جو يدها على عضلة يده الأمامية وقالت: "سيد غورولي. لقد حان الوقت. قف هنا وأولني ظهرك، انظر إلى المسافرين، وأوقف أي شخص يحاول اجتيازك بكل الوسائل المتاحة، الأشخاص الوحيدون الذين يمكننا الوثوق بهم هم مضيفات الطيران". وضغطت على ذراعه.

هزّ جوسيب رأسه واتخذ موضعه، وشبك ذراعيه، وباعد بين قدميه، وانتصب على طول قامته. لقد بدا كأنه جبل ضخّم، ثابتًا على الأرض وغير قابل للاحتراق. بوقوفها بين قوتين غير قابلتين للتحرّيك، جوسيب والباب، فقد تملك جورهاب الأماكن المغلقة.

تنفست بعمق، وركّزت على شاشة الأرقام العمودية أمامها. أغمضت عينيها، وحاولت تخيل ما كان على وشك الحصول.

كانت على وشك إدخال الرمز السري المكون من ستة أرقام، ولكن لحظة.

داخل غرفة القيادة سينطلق إنذار منبهاً الطيارين إلى محاولة أحدهم اختراق الباب. وبهذا سيكون لديهما خمس وأربعون ثانية لمنع محاولة إدخال الرمز. عندها فقط سيبقى الباب مغلقًا حتى الوصول. أما إذا لم يمنعوا محاولتها فسيظهر ضوء أخضر على لوحة المفاتيح وسيكون لدى جو خمس ثوان فقط لفتح الباب، بعد مرور الثواني الخمس سيغلق الباب تلقائيًا مجددًا.

مضيفو الطيران الثلاث لم يأخذوا بالحسبان استعمال لوحة المفاتيح كخيار، رئيسي لأنهم لم يعلموا أن بن يشكل تهديدًا، ولأن الطيارين يمكنهما إحباط عملية الدخول بسهولة لو أرادوا ذلك. الفكرة الكاملة من وجود لوحة دخول كانت في الحالات النادرة حيث يكون الطياران عاجزين عن أداء مهمتهما، كحالة فقدانهما الوعي.

كان واضحًا أن الخطة فاشلة بنسبة كبيرة، والآن فقد تبقى خيار واحد فقط. فتحت جو عينيها، ومدت يدها إلى لوحة المفاتيح، ولكن شيئًا ما منعها من ضغط الأزرار، وارتجفت أصابعها أمام مجموعة الأزرار بتردد جنوني.

على الجانب الآخر من الباب كان مشهد من الخيانة والعنف. بن يملك سلاحًا، وما من طريقة لمعرفة ما يمكن أن يحصل في الداخل، وما من مجال لمعرفة ما ستواجهه.

لقد كانت على وشك الاصطدام بهذه الحقيقة بشكل أعمى. مسلحة بمطرفة
جليد بلاستيكية.
"جو".

نظرت إلى بيغ دادي، الذي جلس على المقعد المطوي بجانبها.
"من الطبيعي أن تشعرني بالخوف".
أومأت برأسها، وبدأت إدخال الرمز.

الفصل السابع والثلاثون

شق الخفافيش⁽¹⁾.

ركلة حرة غير مباشرة.

ظهر متوسط الميدان بوبي أديلسون عند خط التبديل، نافخًا لبانته على شكل فقاعة. أدى بعض تمارين الإحماء، وركل عشب الميدان.

"ابقَ يقظًا يا بوبي. إنها مجرد لعبة عادية. أخرج كرة واحدة فقط".

في الواقع هي لم تكن مجرد مباراة. بل كانت المباراة السابعة من السلسلة، اليانكيز متقدمون بنتيجة مباراتين لمباراة، كان لدى فريق الدودجرز عدائين في زوايا الملعب وكان ضاربهم الرابع على وشك التنفيذ. خرجت كرتان. وأشارت النتيجة إلى التعادل بهدفين لمثلهما. كان اليانكيز على بعد ضربة واحدة من التتويج بالسلسلة، وهي البطولة الوحيدة التي لم يستطع بوبي تحقيقها طوال مسيرته.

هزّ الرامي رأسه، كإشارة لملتقط الكرة، وأومأ إلى الآخر.

التحرك على زاوية عين بوبي شتت انتباهه.

"ركز يا بوبي".

مزيد من الحركة عند الزاوية الأخرى، هناك شيء غير طبيعي.

نظر إلى المدرجات على يسار الملعب.

كان المشجعون يغادرون الملعب، وكذلك المشجعون في المدرجات على يمين الملعب. لم يكونوا خارجين فحسب، بل كانوا يهربون متدافعين باتجاه السلالم المؤدية إلى الرواق الرئيسي. نظر إلى المدرجات العلوية، وإذ بالمشجعين

(1) يستخدم المصطلح في لعبة البيسبول ليعني "فورًا، دون تردد".

يتركون مقاعدهم ويخرجون إلى أروقة الملعب الداخلية. هتافات البهجة تحولت إلى هتافات غاضبة وصرخات مرعوبة خلال لحظات.

تسلل الخوف إلى أعماق بوبي لرؤيته لاعبي الاحتياط متوترين بالقدر نفسه، أشار متوسط الميدان الأيمن بإصبعه أمامه وطقق يهرول. ما دفع بوبي للقيام بالمثل، جميع اللاعبين من كلا الفريقين كانوا يتجمعون. خرج صوت مسجّل من مكبرات الصوت.

"سيدي وسادتي، رجاءً حافظوا على هدوئكم. لسلامتكم فإننا نقوم الآن بإخلاء ملعب اليانكيز، الرجاء إيجاد أقرب مخرج رئيسي أو ثانوي والتوجه إليه صعوداً أو نزولاً عبر الممرات. يرجى الابتعاد عن الملعب حال خروجكم. سترشدكم السلالم ومنحدرات الخروج للخارج، الرجاء عدم استعمال الأدراج الكهربائية أو المصاعد خلال..."

التفت بوبي إلى شاشة العرض، وبدأ بالركض خلفاً. كانت الشاشة تظهر خطة عملية الإخلاء، بوجود شخصيات كرتونية تقوم بإرشاد المشجعين ومساعدتهم على الخروج.

عندما وصل إلى نقطة التجمع، أخبره حكم اللوحة أن عليهم الخروج من أرضية الميدان من خلال مخرج اللاعبين والتوجه مباشرة نحو حافلات الفريق.

التفت بوبي إلى كابتن فريق الدودجرز وهمس: "ما الذي يحصل؟".
"تلك الطائرة؟ أعتقد أنها تستهدف الملعب".

جحظت عينا بوبي دهشةً. لقد علم الجميع بأمر الرحلة 416. مسؤولو المعدات في النادي أخبروا المدربين، الذين أخبروا اللاعبين بدورهم، وكانوا يتابعون آخر المستجدات طوال فترة اللعب. في عالم التواصل الاجتماعي لا يمكن إغفال أخبار بالغة الأهمية كذلك. حتى لو كنت تلعب المباراة النهائية.

كان المشجعون حولهم يتدافعون للخروج، وانسدت الممرات في كافة أقسام الملعب بينما كان المشجعون يصعدون فوق المقاعد ويقفزون من أعلى السور. الازدحام على المخارج كان خانقًا والأروقة العريضة اكتظت بفوضى البشر. تخيل بوبي فقط فظاعة مشهد الجماهير خارج الملعب.

أحد مشجعي الدودجرز هرب من خلال أحد الممرات دافعًا الناس جانبًا، ولم يتردد بدفع امرأة وابنها الباكي من أمامه ليسقطا على الأرض، ليسحبه أحد الرجال من قبة كنزته ويوسع وجهه لكُمًا، وأسرع رجل ثالث لمساعدة المرأة وابنها على الوقوف.

خلع بوبي قفازيه، ووضعهما تحت إبطه، عندما رأى الطبيعة البشرية أمامه بحسناتها وسيئاتها، عدّل قبعته، ونظر إلى المدرجات حوله، ما جعل حالة الخوف والهلع الملحوظ تملّكه أيضًا، وعندها لاحظ ثنائيًا طاعنًا في السن.

كان العجوزان ينزلان عبر الممر مقتربين من أرضية الملعب. وتوقفا على بعد خمسة صفوف أعلى مقاعد الفريق المضيف، دخلا وكان الرجل يراقب خطوات زوجته التي داست بقايا الكؤوس وأغلفة الطعام.

جلسا ونظرا حولهما مستمتعين بالمشهد الخلاب من مقعديهما الجديدين. لقد كان تطورًا بارزًا، طوّق الرجل العجوز ذراعه حول عروسه التي التهمت حبة بوشار وهي تضحك. لقد كانت ترتدي قبعة فريق اليانكيز، على الأرجح أن هذه القبعة تعود لتاريخ لم يكن معظم لاعبي الفريقين قد ولدوا فيه ونصف الطاقم الإداري. أما العجوز فقد ارتدى قفازًا قديمًا مستعملًا.

قال الحكم مصفّقًا بيديه: "حسنًا، فلتتحرك".

صرخ بوبي: "انتظر!". التفت الجميع إليه. بما أنه كان كابتن الفريق فقد كان لكلمته ثقلها: "كم نملك من الوقت؟".

نظر الحكم إليه نظرة تساؤل: "خمس دقائق؟ عشر؟".

هزّ بوبي رأسه: "أنت تعلم جيدًا أن هذا الوقت غير كافٍ للإخلاء".

غمزه الحكم.

قال بوبي: "بالله عليك، أفضل الترتيب؟ في ملعب اليانكيز؟ هجوم إرهابي؟ تلك ليست مصادفة. بل هي رسالة". نظر إلى الهرج الحاصل حوله. "أتريد إخباري أنك تريدنا أن نكون جزءاً من تلك الرسالة؟".

نظر اللاعبون إلى بعضهم، وإلى الملعب. ابتسم بوبي.
"لا أدري ما بشأنكم يا رفاق، لكنني أفضل دوماً التراجع في الخارج".

مكتبة

t.me/soramnqraa

الفصل الثامن والثلاثون

أجفل الطياران لسماع صوت إنذار يخرق السكون. وأغمضا أعينهما، لقد فهما معنى صوت الإنذار نادر الحدوث في تلك اللحظة.

فك الرجلان حزاميهما واندفعا نحو وحدة التحكم المركزية.

اصطدم جسدهما فوق وحدة التحكم المركزية بينما امتدت يد بن اليسرى نحو مقبس المنع الذي كان تحتها، تمامًا على يمين حزام الأمان الخاص ببيل. لقد كانت الطريقة الوحيدة لمنع محاولة الدخول باستخدام الرمز. لو تمكن من قلب المقبس نحو الأسفل، فإن عارضة إلكترونية ستترلق خلف الأقفال المحملة بنوابض في أعلى ووسط وأسفل باب غرفة القيادة.

شعر ببيل أن الطائرة تميل نحو اليمين. وسرعان ما ضغط زر API ليصدر صوت ثلاث دقات معلنة أن الطائرة تحولت لوضع الطيار الآلي، وبذل قصارى جهده للوصول إلى مسدس بن، كان يحاول إبقاء بن بعيدًا عن مقبس الإغلاق بيده الأخرى. أمال ببيل جسده على الطيار المساعد، مستفيدًا من فرق الطول لصالحه، لكن بن كان أقوى وأكثر شبابًا.

تخلى ببيل عن محاولة الحصول على المسدس، وحاول إمساك رقبة بن. حذرًا من ضغط أي زر بالخطأ، وضع قدمه على حافة وحدة التحكم المركزية، ورفع نفسه عاليًا ليزيد من قوة الضغط على قصبه بن الهوائية. التوى بن بخفة، ورفع ساقيه لتلقي وزن ببيل. شعر ببيل بضغط ظهره على أزرار اللوحة فوقه وانخفض مسرعًا عند رؤيته ضوءًا أرجوانيًا ينعكس على وجه الطيار المساعد.

فترة الإغلاق كانت خمسًا وأربعين ثانية. وكان بيل يتساءل كم مر من الوقت، مدرّكًا أن عليه أن يكون مسيطرًا على الوضع قبل أن يفتح الباب. في تلك الأثناء كان وجه بن قد تحول للأزرق، وبدأت عيناه تدمعان. بينما خارت قوى بن، تمكن بيل من رؤية المسدس ينزلق شيئًا فشيئًا من أصابعه. لكن تمكن بن من توجيه ضربة أخيرة يائسة إلى جانب جمجمة بيل ما جعل قدمه تنزلق من فوق وحدة التحكم. مفلتًا إحكام قبضته، فسقط فوق أزرار التحكم. شهق بن، ومال إلى الخلف مواجهًا الكوة الأمامية. نهض بيل ببطء، وهو يعلم أن كل زر أو رافعة تم ضغطها أو رفعها قد تؤدي إلى حدوث كارثة جديدة. وكان يعلم أن بن يفهم ذلك أيضًا.

كان ذلك السبب الوحيد الذي منع مساعد الطيار من إطلاق النار. رصاصة طائشة واحدة كانت كفيلة بتدمير إلكترونيات الطيران. بل أسوأ من ذلك، كانت قادرة على ثقب هيكل الطائرة والتسبب في تخلخل الضغط. كان بيل يعلم أن بن يريد للطائرة أن تتحطم، ولكن وفقًا لشروطه الخاصة. عندما أصبح بن قادرًا على الحركة مجددًا، توجه باتجاه لوحة التبديل، وفي تلك اللحظة وصل بيل إلى مقعده، ممسكًا الأداة الوحيدة التي بقيت لديه، وهو القلم الذي كان في حجره طوال الرحلة، ليلتقطه ويلتف صارخًا ومطلقًا يده بحركة من الأعلى.

جحظت عينان بن، ثم أغمضتا بهدوء، وارتفعت يده الحرة لإمساك القلم الذي علق في حنجرته. سألت الدماء على رقبتة، محولة بذلته البيضاء إلى اللون الأرجواني. ودار في أرجاء الغرفة بخطوات متثاقلة قبل أن يتبته إلى المسدس في يده الأخرى. وجه المسدس نحو بيل وضغط الزناد بينما انقلبت مقلتا عينيه إلى الخلف.

•••

انبطح بيغ داداي، وأمسكت جو قناع الأوكسجين عند سماعهما صوت إطلاق النار. ألقى جو سيب نظرة خاطفة على زميله قبل أن يعود إلى المقصورة، كانت

العيون تلتفت يمنة ويسرة بكثير من الانتباه. وكانت مضيفات الطيران يصغين بدون إدراك لما يحصل. ولم يصدر صوت آخر من غرفة القيادة.

شدت جو حزام قناع الأوكسجين، ووقفت في مواجهة باب غرفة القيادة، كان قلبها يخفق بشدة كحيوان مفترس داخل قفص، مشت خطوة بيسراها إلى الأمام والمطرقة بيدها اليمنى، ووضعت أغلب ثقلها على قدمها اليمنى، وتحركت بقفزات خفيفة مستعدة للانقضاض على الباب حال ظهور الضوء الأخضر وانفتاح الباب.

سأل داداي: "كم تطول مدة الإغلاق؟ ثلاثين ثانية؟".
"خمس وأربعون".

همس من خلف قناعه: "يا إلهي".

لفت انتباهه جو حركة ما، ونظرت إلى الأسفل.

سال خيط رفيع من الدماء من تحت باب الغرفة.
"من يوجد هنا؟".

وضع أحد العسكريين ورقة أمام سوليفان. تراجع داستي إلى الخلف، ورمى سماعتي رأسه على الطاولة. ومشى إلى الطرف الآخر من الغرفة، ووقف بجانب جورج وبقية مسؤولي التحكم مشاهدين برجهم يتحول إلى مركز قيادة.
"تينك، ريدوود، بيكيس، وسويتشبلاید".

ممعناً النظر في جهاز الرادار، ضغط سوليفان زرًا.

"تينك، أظهري لي ما يحصل في غرفة القيادة".

صدر صوت ملاً أنحاء البرج: "حاضر، سيدي".

سرى ألم شديد عبر ذراع بيل، لقد اخترقت الرصاصة كتفه اليمنى مباشرة، واستقرت في أعلى ظهره. حاول تثبيت نفسه جيدًا على الكوة، لكن بصره تشتت، ودخل جسده مرحلة الصدمة الأولى.

سقط بن فوق وحدة التحكم المركزية. ومال بيل وهو يركز أسنانه محاولاً إزاحة جسد مساعد الطيار عن أزرار التحكم. أصبح دماغه مشوشاً، والدوار الذي شعر به منعه من القيام بأبسط الحركات، جلس خائفاً من احتمال أن يفقد الوعي. تحسس بيل كتفه المصابة ليجد يده قد تلوثت بالدماء.

كان بحاجة إلى إيقاف النزيف، وكان بحاجة للهبوط بالطائرة، كان عليه القيام بالكثير من الأمور. لكن جسده لم يسمح له.

استسلم دماغه للدوار، وهوى بجسده إلى الأمام ساقطاً على الأرض، كان آخر ما رآه قبل أن يسقط فاقدًا الوعي هو مقاتلة جوية تطير بمحاذاة طائرته.

"سيدي؟"

كان جميع من في البرج ينتظرون تقرير تينك.

"تبدو غرفة القيادة فارغة، لا أرى أحداً هنا."

ظهر ضوء أخضر على لوح الدخول، وفتح باب الغرفة.

دفعت جو الباب بقوة، وفتح الإطار المعدني المتين الذي يغلق بدقة باستخدام مغناطيسات. انتظرت بعينين واسعتين مترقبة ما سيحدث.

لم يحدث شيء.

دخلت بخطوات حذرة غرفة القيادة، ورأت حركة ما خارج الطائرة من الجهة اليسرى. رأت مقدمة المقاتلة الحربية تختفي عن الأنظار خلفهم.

"اللعنة."

نظرت جو إلى الأسفل معاينة المشهد.

كان بن ملقى على وجهه فوق وحدة التحكم المركزية، والدماء تسيل أسفل منه، وكان المسدس مرمياً على الأرض بعيداً عن متناوله. ركلت جو المسدس بعيداً عنه.

وضعت يديها تحت كتفيه وعلى محيط خصره ودفعته، ليتحول جسده إلى جثة مكومة أسفل المقعد.

قلبه جو على ظهره، ورفعت مطرقة الجليد، وهي تلهث، ولكنها علمت في الحال أن لا حاجة إلى ذلك. لقد كان مغطى بالدماء حتى حزامه بسبب جسم مغروز في رقبته. مالت جو إلى الأمام غير قادرة على تمييز الجسم بسبب فوضى الدماء والأشلاء.

ألقت مطرقتها أرضاً، والتفتت إلى المقعد الآخر.

كان بيل قد تكوّم على نفسه أسفل مقعده غير قادر على الحراك، فتقدمت جو على ركبتيها فوق المقعد، متسلقةً خلف قبطانها.

صرخت باسمه، حاولت أن تقلبه على جنبه، ورأت دماءه تسيل على الأرض، ولكنها علمت أنه يتنفس من حركة ظهره. صرخت باسمه بصوت أعلى محاولة إمساكه بشتى الوسائل. هزت جذعه لكنه لم يستجب. لم تمكنها زاوية جسده من صفعه، فقرصت ذراعه بشدة، ليصدر صوت أنين ضعيف من بين شفثيه. صرخت باسمه مجدداً، ففتح عينيه. مع عودة بيل إلى وعيه، عدّلت جو وضعيتها في محاولة لجعله يستقيم. كان حجمه ضعفي حجمها، لكن الأدرينالين المتدفق في عروقها مكّنها من تحريكه قليلاً. معاً، وبجهد أكبر من جو، تمكن بيل من العودة للجلوس في مقعده.

قالت عبر الميكروفون: "لم تنته بعد، أخبرني ما عليّ فعله".

تابعت الطائرة التجارية التقدم بينما كانت تينك مستمرةً في خفض سرعتها. أجاب صوت عبر السماعات: "للتقدم كل الوحدات إلى مواقع إطلاق النار، استعدوا لتنفيذ الأمر".

قالت تينك: "علم".

كانت كوة النافذة على باب الطائرة صغيرة جداً للتمكن من رؤية أي شيء. لكنها عادت إلى الخلف للتمكن من النظر عبر نوافذ المسافرين.

شعرت فجأة بصعوبة في البلع.

كانت تينك قادرةً من خلال الإضاءة الأرجوانية داخل المقصورة على رؤية المسافرين يرتدون أقنعة الأوكسجين، ملتصقين بالنوافذ لمشاهدتها. رفع أحد الرجال نظارته إلى الأعلى بعد أن انزلت على قناعه. وكانت امرأة جالسة في الصفوف الخلفية تضع يدها على النافذة، ممسكة منديلاً براحة يدها. في الصف الواقع خلفها مباشرة تمكنت تينك من رؤية طفل صغير يرتدي قناع الأوكسجين يحاول جاهداً رفع نفسه للنظر عبر النافذة.

لطالما كان منظور المدنيين للحرب شيئاً يصعب التصالح معه، ساحات الحروب هي مكان للجنود فقط ولا أحد سواهم. بالنسبة إليها استيقظت ليالٍ كثيرة والعرق يتصبب منها، ولطالما طاردها أعين الطفلة الصغيرة أو الرجل العجوز في كوايسها.

لكن تلك لم تكن ساحة حرب، كانت مجرد طائرة مليئة بالأبرياء الذين يحاولون الوصول إلى وجهتهم. كانت الشخص الغريب الوحيد هنا. وللمرة الأولى في مسيرة عملها شعرت بالتردد، عند وصولها للصف الأخير من مقاعد الطائرة رأت قطعة من الورق ملصقةً على النافذة، وقد كتب عليها بحروف كبيرة "ساعدونا".

الفصل التاسع والثلاثون

وقف ثيو بعيدًا عن المجموعة محدقًا إلى هاتفه، واتصل بكاري لتأتي إليه. كانت العائلة وطاقم التصوير متجمعين حول مركبة الأخبار، يتابعون تغطية الأحداث على الشاشة لحظة بلحظة. خرج بعض الجيران من منازلهم ليقدموا المياه والوجبات الخفيفة، لكن لم يملك أحد الشهية لتناول أي شيء. لذلك التف الجميع حول العربة وقد خدرهم الشعور بالعجز، متابعين مع يحصل في الشرق. تبعت كاري ثيو بعيدًا عن المركبة، وقال بصوت منخفض: "بدأت الرحلة 416 بالخروج عن مسارها".

نظرت كاري إليه نظرة خاوية: "كيف..."

"روسو يخبرني بالمستجدات. لقد كانت واشنطن فخًا. الهدف الحقيقي هو ملعب اليانكيز".

أدارت كاري رأسها ناظرة إلى الفراغ على الرغم من أنها لم تستوعب ما قاله ثيو. ليهتز هاتفه فجأة.

قرأ الرسالة مرتين قبل أن يُغض عينيه ويتنهد، لم يكن يريد إخبارها بمضمون الرسالة ولم يطق رؤيتها تتحرق لسماعها.

قالت له بعد برهة: "رجاءً ثيو، لا يمكن للأمر أن تسوء أكثر من هذا، أليس كذلك؟".

أخبرها بعينين مغمضتين أن إحدى مقاتلات أف-16 حاولت إلقاء نظرة على غرفة قيادة الطائرة لتجدها فارغة. وفقًا لما قاله طيار المقاتلة، لم يكن أحد يقود الطائرة.

لم تقل كاري شيئاً، وسمعها ثيو تجهش بالبكاء.

قال سكوت: "أمي؟". فتح ثيو عينيه ليرى الطفل الصغير يقترب منهما، حاملاً اخته الصغيرة على ذراعيه. كان مشهد الطفلين معاً قاسياً على ثيو. أولت كاري ظهرها للطفلين، ومسحت دموعها قبل أن تلتفت إليهما. بابتسامة صغيرة يملؤها الألم، أبعدت الشعر عن عيني ابنها، وحملت الطفلة الصغيرة من ذراعيه. أمسكت يده وعادا معاً إلى عربة الأخبار.

ابتعدت الإشارات على الرادار أكثر وأكثر عن المطار، متجهة نحو منطقة البرونكس. الصوت الوحيد الذي سُمع في البرج هو المحاولات العرضية للاتصال بغرفة قيادة الطائرة. لكن الإرسال أصبح مكرراً ويائساً، وفقد الجميع الأمل في الحصول على رد من الرحلة 416.

ضغط سوليفان زراً، وتحدث بوضوح.

"سيدي؟ إن الوقت ينفد منا. نحن بحاجة لاتخاذ قرار، سيدي الرئيس".

بدأت الأضواء أكثر سطوعاً، والعشب أكثر نضارةً، والنسيم عليلاً، والضجيج أخف وطأةً. شعر بوبي أن كل شيء في ملعب اليانكيز مبالغ فيه.

كان مع بقية اللاعبين في الميدان على أهبة الاستعداد، مصفقين بقفازاتهم. وباصقين على أرضية الملعب بينما كان الضارب يطرق مضربه على وجهه كل فردة من حذائه، وهو يُطلق زفيراً طويلاً من صدره قبل أن يدخل الصندوق ويمسح قدميه ليستقر الملعب، كرة سريعة، خارجاً.

أرسل الضارب الكرة خارج المنطقة، ساقطاً على ركبته بعد أن أخرجها. لقد علم بوبي كم كان يريدتها بشدة. تلك لم تعد بطولة، لقد أصبحت شيئاً مختلفاً تماماً. خرج الضارب من الصندوق، معدلاً قميصه من جهة الكتف، ورافعاً خوذته عدة مرات.

حول الميدان استمر المشجعون بالانسحاب، متدافعين فيما بينهم للاقترب من المخارج. ضم الآباء أبناءهم إلى صدورهم، والأزواج أمسكوا أيديهم. بقيت المخارج مسدودة والسلالم مكتظة.

صوت صراخ حاد صدر من المدرجات العليا على الجهة اليسرى.
نظر بوبي ليري امرأة تندرج على السلالم، وجسدها يسقط سقوطاً حراً
بسرعة متزايدة غير قابلة للسيطرة. حبس بوبي أنفاسه لرؤيتها تقترب من السور
أسفل القطاع، وعندها فقط أصبحت مباراة البيسبول الشيء الأقل أهمية في العالم.
لكن رجلاً ظهر فجأة في اللحظات الأخيرة مندفعاً لإسكاتها قبل السقوط من ارتفاع
مئة قدم.

في المدرجات السفلى من الملعب كانت الصفوف متراخمة حول شاشة
العرض، وتقترب شيئاً فشيئاً من خط الملعب، واختلطت ألوان الدودجرز الزرقاء
مع قمصان اليانكيز المقلّمة. وعندما عاد اللاعبون إلى مراكزهم في الملعب تبعهم
العديد من المشجعين. لم يكن شيئاً تمت مناقشته أو التخطيط له، بل كان وعياً
جماعياً.

لقد هتفوا وصاحوا لكلا الفريقين، وتجمعوا واعتمروا قبعاتهم مجددًا. هرول
أحد الرجال الضخام بنصف دزينة من علب البيرة المسروقة، وشجعه صديقه
واصفًا إياه بالبطل، ليقوما بتوزيع العلب ضمن قطاعهم، ما جعل الهتافات تتعالى.
جزء صغير من شاشة العرض الإلكترونية كان يظهر نتيجة المباراة، فيما كان
الجزء الأكبر من الشاشة يعرض الأحداث الجارية خلف تلك اليوتوبيا.

كانت كاري هوفمان تتوسل إلى الرئيس، وأحاطت فرق الإنقاذ بمدرج مطار
جون كينيدي، وكان المراسلون يشيرون إلى السماء السوداء، وكان المسافرون يرتدون
أقنعة الأوكسجين. وعدسة الكاميرا كانت تجول داخل الملعب ملتقطة ما تبقى من
وجوه الأشخاص الذين حصلوا على فرصة حضور المباراة السابعة من السلسلة.

صوت المضرب، والكرة التي ضُربت باتجاه المركز يسارًا.
لحق بها اللاعبون من خارج الخط، متوسط الميدان الأيسر يعود لسد الثغرة،
لكن بوبي أشار إليه للتوقف، لم تفارق عيناه مسار الكرة. عندما وصل بوبي إلى
الجدار قفز على قدميه لمحاولة تحقيق المستحيل.

نهض، ومدّ قفازه بهدوء في الهواء، وقد علت وجهه تعابير الدهشة. ما زال يشعر بالألم في باطن يده من تأثير اصطدام الكرة.

لقد خرجت الكرة الثالثة، انتهت المباراة. لقد فاز اليانكيز بالبطولة. لم يتحرك أحد من اللاعبين أو الجمهور، لقد اكتفوا بالتحديق إلى وسط الميدان، وفجأة صدر صوت ضرب الطبول عبر مكبرات الصوت مع انطلاق أبواق الانتصار.

ابدأوا بنشر الأخبار..

وقف بوبي واستند إلى الجدار. وقف ضارب الكرة في منتصف مسار القاعدة بين الأول والثاني، وهو يُحرق إلى خارج الميدان وهو يشعر بالفشل. حرق إليه بوبي. مرت لحظة قبل أن يستدير الخاسر ويمشي باتجاه المنتصر. كان الشخص الوحيد الذي تحرك ضمن الملعب، ولم ينطق أحد سوى فرانك سيناترا.

عند نقطة التجمع، وقف الضارب أمام الرامي، مدّ نفسه إليه ممسكًا كتفيه، وجذبه نحوه معانقًا إياه بقوة. ما جعل القفاز يخرج من يده، لتظهر أصابع الرامي بيضاء اللون بينما كان يشد على ظهر الضارب.

أفرغ الفريقان محتويات خزائهم بينما أسرع بوبي وبقيه اللاعبين بالدخول. عند التقاء اللاعبين في منتصف الملعب احتضنهما الجميع، وذرف العديد منهم الدموع، أمسكوا قبعاتهم، ورموها باتجاه الجماهير.

مع عزف نشيد اليانكيز في الملعب، تشبث كل لاعب ومشجع بزميله متصالحًا مع خيار البقاء داخل الملعب.

حاولت جو داخل غرفة قيادة الطائرة منع نفسها من النظر إلى المباني التي أصبحت قريبة من الزجاج الأمامي. كل شيء كان يهتز بقوة.

حاولت أن تنحني إلى الأمام، أمسك بيل بالمقبض الجانبي والدماء تغطي يده. وتنفس بعمق قبل أن يحرك الزناد إلى الأسفل.

•••

كان صوت الخط المفتوح يتردد في أرجاء البرج. لم يكن فقط صوت التشويش المعتاد من الاتصالات بين الطائرات، بل رافقه أيضًا صوت أزيز الأجهزة التكنولوجية المتطورة. المعلومات التي كانت تصل إلى الرئيس داخل البيت الأبيض كانت مسموعة من قبل الجميع. لم يتحرك أحد أو ينطق قبل أن يسمع القرار الأخير بشأن الرحلة 416.

سعل الرئيس كمقدمة لإعلان قراره.

بقي صوت فرانك سيناترا مسموعًا للحظة قبل أن يختفي تمامًا. نظر الجميع عاليًا إلى السماء، محدقين ومنتظرين ورافعين أيديهم بالدعاء.

بدأ يتصاعد صوت دمدمة من بعيد. وبدأ الخوف يزداد لدى اللاعبين والمشجعين الواقفين، ولكن لم يقدر أحد على الحراك. لقد كان صوتًا لا يمكن الشك فيه لطائرة تقترب منهم.

بدأ الرئيس كلامه: "حسنًا، أقول..."

عم الأجواء سكون رهيب بعد سماع صوت تنفس خشن تبعه صوت ضعيف خطف الأنفاس.

"هنا القبطان هوفمان، كل شيء تحت السيطرة".

الفصل الأربعون

ارتفعت الأنظار عاليًا عند مرور الطائرة فوق ملعب اليانكيز.

انبطح الجميع أرضًا، كان هيكل الطائرة فوقهم تمامًا، وكان الجناحان يهتزان بشكل جنوني. شعر الناس بالاطمئنان فقط عندما رأوا ذيل الطائرة يتجاوز نهاية الملعب. ضج الملعب بصرخات الابتهاج كما لو كان ممتلئًا. لتظهر فجأة أربع مقاتلات أف-16 على إثر الطائرة، وعندها هز الضجيج أركان الملعب بأكمله.

لقد كانوا آمنين.

صرخ سوليفان عبر الميكروفون: "أكرر! لا تهاجموا الطائرة! رافقوها فقط! ابقوا متأهبين، سنمنح تلك الطائرة فرصة أخيرة".

لم يكن هناك وقت للاحتفال. كان لدى مسؤولي التحكم عمل ليقوموا به. قال داستي: "انهض عن مقعدي يا هوك"، ووضع سماعتي الرأس بسرعة كادت أن تكسرها. "كوستال 416! عودة ميمونة! تملك تصريحًا بالهبوط".

...

قام طاقم تصوير وكالة سي أن بي بمعاينة بعضهم بعضًا بينما كان الجيران يحيون بعضهم بابتهاج. ركبتا كاري ارتختا من فرط الارتياح، ولكن ثيو التقطها قبل أن تسقط، نظرت بابتسامة دامعة إلى سكوت الذي بدأ يقفز فرحًا.

صرخ: "أبي!"، لكن صوته الطفولي ضاع في زحمة الضجيج.

رفع بييل المقبض الجانبي بكل ما لديه من قوة. وارتفعت الطائرة بشكل عمودي حتى ظهرت السماء السوداء من خلال النافذة. سقطت جو إلى الخلف،

متعثرة بباب الدخول. صرخ الركاب داخل المقصورة بسبب التغيير المفاجئ لاتجاه الطائرة، نهضت جو ونزعت قناع الأوكسجين عن وجهها ورمتها مع الخزان على جسد بن. وصرخت عبر الباب: "دادى! دع جوسيب يجلس في مقعده وتمسكاً جيداً".

عادت إلى بيل، وبدأت البحث عن مكان جرحه. كانت ذراعه مبتلة بالكامل، وبعد جهد جهيد، وجدت مكان الإصابة. كانت كتفه اليمنى تنزف بشدة. نظرت جو حولها ضمن الغرفة قبل أن تشق سترة بيل الرسمية، وتطويها على شكل كرة مشدودة، وتضغط الجرح به، وتشد كتفه بيدها الأخرى بعكس الاتجاه لخلق مزيد من الضغط، فصرخ بيل من الألم، وفجأة ضربت يده المقبض الجانبي فانعطفت الطائرة يميناً.

جو: "أعلم يا عزيزي ولكنني أتدبر أمرك، أخبرني ما عليّ فعله".

كان صوت بيل ضعيفاً. "أريدك أن تصيري يدي اليمنى".

كان الجميع داخل البرج يشاهدون إشارة المنارة على الرادار. لقد التفت مرة، ثم التفت مجدداً متجهة نحو الشرق حتى أصبح المسار واضحاً، لقد كانت على المسار المؤدي إلى مطار جون كينيدي. شعر داستي بالكثير من الارتياح يسري في جسده، وربت جورج على ظهره بابتهاج. مسؤول التحكم الذي كان بجوارهما انهار على كرسيه متنهداً.

في الخارج، بدأت الأضواء الوامضة لطواقم النجدة بالتحرك نحو مواقع الاستقبال.

قال داستي عبر الميكروفون: "كوستال، مصرّح لك الهبوط على المسار ثلاثة واحد يمين، أكمل باتجاه مستقيم".

أزال إصبغه عن الزر الجانبي لجهاز الإرسال، وتحدث إلى جورج: "مصرّح لهم الهبوط على المسار ثلاثة واحد يمين ولكنهم يطرون بمحاذاة المسار اثنان اثنان يسار. هل نبدل المدارج؟".

فكّر جورج بالأمر: "كلا. المسار ثلاثة واحد يمين بُرمج مسبقًا ليطابق خطة الهبوط الأصلية للطائرة، فلنجعل العملية أبسط ما يمكن بالنسبة إليهم، وفي كل الأحوال هم سيفعلون ما يشاؤون".

قام بيل بإرشاد جو لكيفية فتح المقعد الإضافي في غرفة قيادة الطائرة، فقامت بسحبه حتى سمعت صوت طقة، وسحبت الأحزمة بأوسع ما يمكن، وأسّرت باتجاه الكرسي، لقد أصبحت الآن خلف مقعد الطيار، وبدأت تظهر أمامها على النافذة منطقة كوينز. أزالّت السترة المضرجة بأكملها بالدماء، وعاودت الضغط على الجرح. جلّ ما كان يقلقها هو أن يغيب بيل عن الوعي.
جو: "حسنًا، ماذا أفعل أو لا؟".

قال بيل مشيرًا برأسه إلى الكوة: "ارفعي السرعة، علينا أن نخفض المقبض الذي كتب عليه ماخ. أديره بعكس اتجاه عقارب الساعة حتى تصلي إلى الرقم واحد ثلاثة صفر".

مالت جو إلى الأمام باحثة عن شاشات العرض.
"هذا؟".

هز بيل رأسه مكشّرًا.

عندما أدارت المقبض بدأت الأرقام بالانحدار، لتتوقف مع وصولها للرقم واحد ثلاثة صفر.

"اسحبّيه الآن".

سحبت جو المقبض لتشعر تلقائيًا بأن الطائرة بدأت تبطئ سرعتها: "ثم ماذا؟".

نظر بيل إلى شاشة الملاحه، ثم ألقى نظرة من النافذة.

حاول أن يشير بيده اليمنى، ولكن من دون جدوى. "تروس الهبوط. على الجانب الأيمن، أترين تلك الرافعة؟ لا، إلى الأسفل. عدة شاشات إلى الأسفل".
"لا. لا، أجل! تلك. اسحبها إلى الأسفل".

اهتزت الطائرة. وهبطت تروس الهبوط تحتهم ببطء نحو موضعها.
ألف.

أجفلت جو من الصوت الآلي المرتفع. لم تسمع قبلاً نداءً مرتفعاً من داخل
غرفة قيادة الطائرة، كل ما اعتادت سماعه هو صوت خافت عندما كانت تقف على
الجهة الأخرى من الباب.

"حسناً، فوق التروس.." مال جسد بيل إلى الأمام.

صرخت جو معيدةً إياه إلى الخلف: "كلا!". وصفعته على وجهه بقوة حتى
خافت أن تتسبب في فقدانه الوعي مجدداً.
"ابنّ صاحياً يا بيل."

أفاق بيل، ونظر إلى الغرفة من حوله مضطرباً، وحرك رأسه في كل اتجاه، فتح
عينيه وأغمضهما، كان يبدو ضعيفاً كضعف صوته.

"المكبّح الآلي. فوق تروس الهبوط، هناك. اضغطي الزر الذي كتب عليه
ميد".

ضغطت جو الزر ذا النابض لتضيء تحته علامة "فعال". بلون أزرق.

نظر بيل إلى شاشة الملاحة، ثم نظر إلى النافذة، وقلدته جو. وظهرت أضواء
مدارج مطار جون كينيدي لتعلمهم أنهم وصلوا إلى الوطن.

كانت الطائرة تشق طريقها باتجاه المدرج، وعندما أصبحت في مجال الرؤية،
اندلعت الهمسات داخل برج المراقبة، ومع مرور كل ثانية كانت أضواء الطائرة
تزداد لمعاناً، وكان الوقت المقدر للوصول دقيقة واحدة.

كل من كان يملك منظاراً حاول الحصول على مشهد لحالة الطائرة، ظهرت
تروس الهبوط، وتمددت العجلات نحو موضعها أسفل هيكل الطائرة.

مالت الطائرة إلى اليمين بشكل درامي، لكنها سرعان ما عدّلت وضعيتها
بإمالة أقصى الجناح الأيسر. كانت ليلة عاصفة، ولكن داستي علم أن الرياح لم
تكن سبب الحركة المضطربة.

ألقي نظرة على الرادار للتحقق من سرعة الطائرة، ليجدها مئة وخمسة وأربعين عقدة. تلك كانت سرعة عالية جداً بالنسبة إلى طائرة بهذا الحجم والوزن وفي تلك المرحلة. لم يكن الهبوط مستحيلاً. ولكنهم كانوا بحاجة للتقدم أرضاً مسافة طويلة.

تمتم داستي: "مهلاً يا فتاة، رفرقة، رفرقة، رفرقة".

لم يكذب داستي ينهي دعواته حتى امتدت الشرائح المعدنية للحافة الخلفية للأجنحة، لتقوم بإبطاء سرعة الطائرة إلى الحد المناسب ولتضعها بموازاة خطوط المدرج تمامًا. لم يكن الهبوط في مطار جون كينيدي صعباً، ولكن لم يكن لدى الطائرة هامش مسافة كافٍ للهبوط على المدرج.

كان الهبوط من جهة الغرب على المدرج ثلاثة واحد يمين يعني أن الطائرة ستهبط بالقرب من حظائر للطائرات، والفنادق، والطرقات، وكان يتوجب على الطائرة التقدم أرضاً مسافة قصيرة.

اتبعت جو تعليمات بيل، وبقيت تراقب خط الأفق الاصطناعي للطائرة على شاشة الطيران الرئيسية من دون أن يرف لها جفن.

كانت تشعر باهتزاز المقبض الجانبي تحت يدها، وكان توجيه الطائرة على الشاشة يستجيب لخطواتها.
خمسمئة.

ألقت نظرة على السرعة: "هل أقوم بالرفرفة مجدداً؟".

أوماً بيل برأسه، وسحبت جو رافعة الشرائح المعدنية، لتتنزل بها درجة أخرى. بيل: "الآن، أترين تلك الارتفاعات في المنتصف؟ ذوات الحجم الكبير بين العجلات المعلمة بالأبيض".

حامت يد جو فوقها: "تلك؟".

أوماً بيل بالإيجاب: "تلك رافعات الدفع، ضعي يدك عليهم وأبقها حتى أعطيك الإشارة. حالما نلمس الأرض، سأخبرك عندها، وستقومين بسحبها إلى

الخلف باتجاهك، قومي بذلك ببطء في البداية، وعندما أخبرك ستقومين بسحبها إلى حدها الأقصى".

"الحد الأقصى، حسنًا".

انخفضت مقدمة الطائرة. كان الهبوط حادًا مقارنة بالحالات الطبيعية، كل خفقة مضطربة للطائرة جعلت مسؤولي التحكم في البرج يحبسون أنفاسهم. خمس عشرة ثانية متبقية على الهبوط، عند هذا الحد كانوا يستطيعون الرؤية داخل غرفة قيادة الطائرة باستخدام مناظيرهم. ليظهر لهم بوضوح كل من بيل، وجو، ومقعد مساعد الطيار خاليًا.

عشر ثوانٍ متبقية على الهبوط.

داخل البرج لم يجرؤ أحد على التنفس أو الحراك، لم يرد أحد أن يقوم بخطأ يكلفه خسارة كل الجهود التي بذلت للوصول إلى الوضع الحالي.

خمس ثوانٍ متبقية على الهبوط.

مئة.

رأت جو الأضواء على مقدمة المدرج. كان أمامها شريطان ثخينان من أضواء التوجيه الحمراء والصفراء. تلاهما خط رفيع أخضر اللون، ثم شريط طويل أبيض يمثل بداية منطقة الهبوط. كان مسارًا وحيدًا في المنتصف.

خمسون. أربعون.

راقب بيل وجو منظور الأفق يميل، فعُدله بيل، مال مجددًا، وعدله مرة أخرى. كان يجاهد للحفاظ على ثبات يده.

ثلاثون. عشرون.

تلك كانت اللحظة المنشودة. أرادت جو إغماض عينيها، لكنها قاومت ذلك. "تأخير، تأخير، تأخير".

كان الصوت الآلي ينبههما بهدوء إلى أن الأرض أصبحت قريبة جدًا. في تلك اللحظة الأخيرة سمعت بيل يهمس لنفسه: "مئة وتسع وأربعون روحًا على متن الرحلة".

الفصل الحادي والأربعون

هبطت العجلات الخلفية على أرضية المدرج، وارتفعت مقدمة الطائرة كما لو أنها على وشك الانقلاب خلفًا. صدم ذيل الطائرة الأرض، وشعرت جو بنظام الكبح الآلي للطائرة يعمل على إبطاء السرعة.

صرخ بيل: "الآن!". جو اسحب رافعات الدفع إلى الخلف. اهتزت الطائرة، وانخفضت مقدمتها إلى الأمام بقوة. الاصطدام العنيف بالأرض جعل تروس المقدمة تتحطم وتشتعل، والدخان ينفث من أسفل الطائرة التي طحنت الإسفلت تحتها.

شاهدت جو بيل يضغط بقدميه على الدواسات بأقصى ما يملك من قوة، لكنه كان ضعيفًا جدًا لإحداث تأثير ملحوظ.

نقل قدميه يسارًا محاولًا توجيه الدفة بياس للحفاظ على الطائرة ضمن مسار المدرج. كان باستطاعة جو رؤية اللهب والشرارات من خلال النافذة، لقد خرجت الطائرة عن السيطرة.

ظهرت نهاية المدرج أمامهما، وكان خط من الأضواء الحمراء يحذرهما أن عليهما التوقف.

لم تعلم جو إن كان باستطاعتها ذلك فعلاً.

•••

أحاط الجميع بعربة البث الإخباري التابعة لوكالة سي أن بي غير مصدقين ما كانوا يشاهدونه، كانت الطائرة تتحرك بسرعة، ولم يكن ممكناً أن تتوقف في الوقت المناسب.

سرعان ما حصلت فرقة غير متوقعة، وسقطت مقدمة الطائرة إلى الأسفل وارتفع ذيلها عاليًا في الهواء. وتوقف الزمن مع توقف الطائرة. كانت لحظة سكون. وقفت الطائرة بوضعية غريبة، ثابتةً بلا حراك لفترة وجيزة. وبصوت صرير عالٍ، لتعاود السقوط خلفًا على بطنها. لم يتحرك أحد.

غيوم من الحطام والدخان تبعثرت بعد السقوط، وما تبقى كان أشلاء طائرة تجارية محطمة. مرمية في نهاية المدرج وقد ملأتها الرضوض والانبعاجات، ولكنها لا تزال قطعة واحدة.

كل من كان يتابع المشهد تفاعل معه في اللحظة نفسها. الجيران والإعلاميون؛ جميعهم انفجروا بالهتافات وتبادلوا العناق والأحضان. سقطت فينيسا على الرصيف مستندة على ركة واحدة وغطت وجهها، بينما كان المصور يربت على ظهرها.

لم يُدْ ثيو أو كاري أي رد فعل. بل اكتفيا بالوقوف جنبًا إلى جنب وهما يراقبان الطائرة دون أن يرمش لهما جفن، ولم يطمئن قلباهما حتى حصلًا على صورة واضحة لبيبل وجو.

بقي الجميع ثابتين من دون حراك لبضع ثوان. قبل أن يفتح الباب الأمامي بحركة آلية مضطربة ويمتد إلى الخارج. وتمتد معه مزلقة صفراء تدرجت نحو الأرض كيفما اتفق. البوابات الخلفية حذت حذو الباب الأمامي، وكذلك فعلت البوابات فوق الأجنحة.

ظهر المسافرون وهم يخرجون من الأبواب وينزلقون إلى الأسفل. وبقي شخصان عند نهاية كل مزلقة لمساعدة الآخرين على الهبوط. وتولى شخص آخر مهمة توجيه المسافرين إلى حيث يجب أن يذهبوا.

كان بيغ داداي واقفًا عند الباب الأمامي، نفسه الذي دخل منه المسافرون قبل ست ساعات من حيث جاؤوا. وكان بالإمكان رؤيته بوضوح أثناء خروج الركاب

من الطائرة، ملوحًا بيديه وصارخًا بالتعليمات للأشخاص الموجودين خارجًا. كانت يده ملفوفة بقماش طبي أبيض ويمسك بالقضيب المتصل بداخل جسم الطائرة. ليتمكن من تثبيت نفسه جيدًا.

في تلك الأثناء، وقفت كيلى عند الباب الخلفي وقد احمرّ وجهها من فرط الصراخ. تردد أحد الرجال في الانزلاق بعد رؤيته أثار الدماء التي تركها أحد المسافرين على المزلقة الصفراء. ما اضطر كيلى لدفعه بخفة حتى وصل بسلام إلى الأسفل، واقفًا على قدميه بعد تلقيه المساعدة.

تجمعت سيارات الطوارئ بأضوائها الحمراء والزرقاء حول الطائرة. وأحاط رجال الإطفاء بالمكان صارخين فيما بينهم بعد أن حددوا الخطوات والإجراءات الواجب اتباعها. ليظهر بعدها رجال الإنقاذ مرتدين بذلاتهم الواقية، خارجين من العربات الطبية بكامل العتاد والسترات الواقية. كانت بذلاتهم البيضاء تلمع وسط عتمة الليل. ذاك البياض الذي سيختفي حالما تشوبه بقايا الصراع مع الدخان، والقذارة، والعرق، والدماء.

تباطأ تدفق المسافرين. وسرعان ما انتهت عمليات الإخلاء، الشيء الذي مثل تطبيقًا عمليًا لنموذج الإجراءات المتبع تحت الظروف غير المسبوقة.

تدفق بعض المسافرين المتبثرين عبر المزلقة الخلفية، ولكن لم يخرج أحد من الباب الأمامي. ليظهر فجأة رجل طويل ضخم الجثة أمام الطائرة حاملاً على كتفه رجلاً آخر. وسرعان ما أنزله عن كتفه ووضع أعلى المزلقة كيما اتفق. ودفعه بقدمه دون مبالاة ليهبط إلى أسفل المزلقة، لتقوم الوحدات الطبية بتلقي الرجل البدين أحمر الوجه. ويتحققوا من الإصابات التي لحقت به، وسرعان ما استدعيت نقالة ليأخذه رجال الإنقاذ بعيدًا.

اختفى الرجل الضخم داخل الطائرة، وعاد حاملاً رجلاً كهلاً بين يديه بعناية كأنه طفل صغير. نظر الكهل إلى المشهد حوله ثم نظر إلى وجه حامله بكثير من الارتياح. جلس الرجل الضخم إلى جانب الكهل على طرف المزلقة، ممسكًا به بحرص

ومتحققاً من وضعية رأسه وقدميه. التفت إلى الخلف عند سماعه صوتاً من الداخل. ولم ينطق بكلمة، بل اكتفى بابتسامة حانياً رأسه. ومقرباً رأسه من طرف المزلقة بقليل من الجهد، ليمسك الكهل بإحكام ويضعه في حضنه وينزلقاً معاً إلى الأسفل. هناك حيث تمكن الكهل من الوقوف باتزان على قدميه، ممسكاً ذراعه المتجعدة.

عند تلك النقطة انتهت عملية الإخلاء بالكامل، لكن الطاقم كان داخل الطائرة. ومن حين إلى آخر كان يمكن رؤية المضيفين من خلال الباب المفتوح يتحركون ضمن الطائرة، ومن خلال النوافذ كان ممكناً رؤيتهم يتجولون في رواق الطائرة للتحقق من عدم وجود أي شخص آخر.

عندما تيقن المضيفون من خروج الجميع ركضوا سريعاً نحو المقدمة. ودخل بيغ داداي إلى غرفة الطيار. وانتظرته كيلبي خارجاً عند المطبخ. متمائلةً في محاولة لرؤية ما يحصل في الداخل. لتمر لحظة قبل أن تسارع الخطى أماماً ثم ترجع خطوة للخلف لتفسح المجال للحركة.

خرج بيغ داداي من الغرفة بظهرٍ منحنٍ وحركة بطيئة غريبة. حاملاً بيده أداة ثقيلة. تقدم خطوة إلى الأمام، ثم التفت يساراً لتخطو كيلبي يميناً. كان يجرب بيده جثة هامدة من ساقها بكثير من الجهد. ومع خروج الجثة سارعت كيلبي لإمساك الذراعين اللتين كانتا تتخبطان. حاولت إحكام قبضتها عليهما ممسكةً إياهما من تحت الإبطين، لتظهر جو ممسكة الجذع من الخلف، كانت ذراعاها القصيرتان بالكاد تحيطان بصدرين.

غطى ثيو فمه بينما أدارت كاري وجهه سكوت لتمنعه من رؤية ما يجري. وبدأت الطفلة الصغيرة بالبكاء، لتقوم كاري بهزها بقوة أكبر.

بذل المضيفون جهوداً عظيمة في محاولة إخراج الرجل الضخم من غرفة صغيرة جداً ومليئة بالعوائق التي لم يكن بالإمكان إزاحتها تحت ظروف اعتيادية. لينجحوا في نهاية المطاف بإخراجه بدفعة أخيرة قوية، وليسقطوا على ركابتهم تعباً بعد أن أوصلوه إلى الأسفل.

لم يوقفوا التحرك لحظة واحدة، وتشاوروا فيما بينهم بالإيماءات والإشارات بالأذرع والأيدي واضعين خطة للتنفيذ.

وقف بيغ دادي ونظر إلى الخارج باتجاه المزلقة والطواقم المتجمعة عند نهايتها. صرخ لهم بعبارة ما وأشار بيديه، لتستجيب طواقم الطوارئ لتعليماته وتتأقلا فيما بينها.

أحاط كل من بيغ دادي وكيلي ببيل من الجهتين بينما وقفت جو خلفه، رافعة تنورتها لتتمكن من إحكام قبضتها على ظهره، مثبتة جسده الضعيف إلى صدرها، ليقوم الثلاثة بتنظيم وضعياتهم بحيث يتمكن كل من ببيل وجو بالتزحلق تتابعًا. عندما وصلوا إلى الباب كان مشهدهم واضحًا بلا عوائق بصرية للمرة الأولى، الأمر الذي جعل العالم كله يشهق مصدومًا لرؤية اللون الأحمر يعطي قميص الطيار الأبيض بالكامل.

كان المشهد كفيلاً بجعل كاري تخبئ رأسها على كتف ثيو.

همس ثيو في أذنها: "لا تنظري، سأشاهد نيابةً عنك وأخبرك عندما تتوجب عليك المشاهدة".

أومأت بالإيجاب، وامتنعت عن النظر لمدة دقيقة واحدة قبل أن تعود مرة أخرى لمتابعة ما يحصل.

كانت الطواقم الطبية بانتظارهم في أسفل المزلقة يحملون نقالة. رجال آخرون وقفوا على جانبي المزلقة لالتقاط جو وببيل عندما يصلان إلى الأسفل. بدأ بيغ دادي عدًا تنازليًا بصوت عالٍ، ليهبط الطيار والمضيضة بصعوبة عند الرقم ثلاثة. وتم التقاطهما في الأسفل بحرص كما لو أنهما طفلان صغيران، وليقوم الطاقم الطبي بوضعه على النقالة ونقله بعيدًا.

شكرت جو الطاقم الذي ساعدها على النهوض، ولكنها منعتهم من إسعافها، بل عادت إلى المزلقة لتساعد كيلي التي تخبطت أثناء نزولها. ووقفت الاثنتان بانتظار دادي لتساعدها على الوقوف بعد وصوله.

وقف ثلاثتهم في دائرة مغلقة، وقالت جو لهما شيئاً فأوماً لها بالإيجاب. هزت جو رأسها، والتفتت مشيرةً بيدها للمضيفين اللذين لم يسمعا ما قالته. قال بيغ دادي شيئاً جعلهما تضحكان قبل أن تتقدم جو لمعانقة كيلبي التي انهمرت دموعها. ربت جو على ظهرها بلينٍ وهي تراقب الوحدات الطبية تسعف بيل. لتذرف الدموع هي الأخرى. التفت بيغ دادي ونظر عاليًا باتجاه الطائرة مغطياً فمه بيديه الملفوفتين بالقماش.

وقفوا هناك لدقيقة في محاولة لتناسي كل تلك الأحداث المؤلمة. ليقوموا أخيراً بالالتفات سويةً والتوجه ببطء نحو الوحدات الطبية التي كانت بانتظارهم. في الجهة المقابلة من البلاد كان حيٌّ بأكمله محاطًا بشريط مسرح الجريمة أصفر اللون، وكان الناس المتجمعون حوله يحاولون تناسي الفاجعة كذلك. لقد انتهى الأمر.

صدر صوت عذب مليء بالعاطفة. بدا للسامعين في غير مكانه، وبعيدًا عن المنطق، بالنظر لكون القائل شاهدًا بريئًا على أحداث مليئة بالرعب والخوف. "أمي؟"

نظرت كاري إلى ابنها قبل أن ترقع أمامه، بعينين حمراوين متفتحتين، محاولةً الابتسام بجهد جهيد.

"أجل يا بني؟"

"هل أبي بخير؟"

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الثاني والأربعون

كان صوت صافرةٍ متقطعٍ يصدر من أحد الأجهزة العديدة التي تحيط بالسرير. وكانت رائحة المعقمات النفاذة تملأ الغرفة بينما كانت جو تجلس على كرسي غير مريح. في الردهة خارجًا كان أحد الأطباء ينتقل إلى قسم آخر من المستشفى. قالت جو بهدوء: "لم أفكر بهم أبدًا، بيل".

بالكاد كان بيل يستطيع التنفس، وقد ملأت الكدمات الرمادية والأرجوانية جسده الساكن الملفوف بالقماش وأنابيب التروية. كانت عيناه مغمضتين، وكانت اليمنى منهما سوداء ومنتفخة. القماش الطبي الذي التف حول كتفه كان ناصع البياض، على عكس الغرزات التي تمت خياطتها لإغلاق الجرح الناتج عن الرصاصة.

استطردت وهي تسترجع في ذاكرتها أكثر الأحداث رعبًا على متن الطائرة: "يقولون إن شريط حياتك يومض أمام عينيك. لقد قرأت ذلك في كل قصص النجاة من الموت، وقصص من نجوا من الموت في اللحظات الأخيرة. كلهم يقولون كذلك".

أكملت بصعوبة: "كلهم قالوا إنهم في لحظاتهم الأخيرة كانوا يفكرون بعائلاتهم، وبأطفالهم، وبأزواجهم، وإنهم جميعًا لم يستطيعوا تخيل شيء آخر".

مشت جو باتجاه النافذة، وحدقت إلى السماء الزرقاء، لم تمنع نفسها من البكاء، فتدفقت الدموع من عينيها حتى رقبته، وقالت بصوت محطم: "حتى في ذلك الوقت لم أفكر بأحد منهم، زوجي أو أبنائي، والديّ أو أختي، ثيو أو أصدقائي، لا أحد منهم. أي نوع من النساء أنا؟ أي نوع من الزوجات؟ أي نوع من الأمهات تفعل ذلك؟".

انطلقت صافرة من أحد الأجهزة وتبعتها صافرة من جهاز آخر، أخفضت جو رأسها، وارتعش جسدها مع كل تنهيدة. وسمعت صوتاً ضعيفاً يقول: "شكرًا". دارت على قدميها.

"شكرًا لأنك آمنت بي حتى النهاية".

ملاً ارتياح كبير صدرها بعد شعور ثقيل بالذنب حملته منذ انطلاق الرحلة، تقدمت إلى الأمام وأمسكت بيده وذرفا الدموع معًا.

مسحت جو الدموع عن خديها قبل أن تمسك منديلاً، وتمسح الدموع عن خديه: "يفترض بك أن تكون نائمًا".

ارتفع خديل الأيسر بنصف ابتسامة: "متأسف لأنني خيبت آمالك، أين كاري؟".

"في المقهى مع ثيو والأطفال، يتناولون اللبن البارد".

"لقد سمعت أنه حصل على ترقية".

ابتسمت جو بفخر: "الأرجح أنه حصل عليها، وحصل أيضًا على إيقاف من العمل من دون أجر لمدة شهر، ولكنه سيرقى بعد ذلك".

"الجانب الإيجابي إذًا".

قالت جو بإشارة ساخرة إلى الباقية الضخمة من الورود الحمراء والأرجوانية الموضوعية على الطاولة في نهاية المكتب: "واحدة من كثر غيرها".

بييل: "خرج عناصر كوستال كلهم، إنني أكثر امتنانًا لإجازة الشهور الأربعة المدفوعة".

جو: "أنا وأنت نملك الشعور ذاته، هل وقع الرئيس أو مالي البطاقة؟".

تجهم وجه بييل: "يصعب توقعها من السجن".

طُرق الباب ثم فتح بهدوء، مد بيغ داوي رأسه ليرى إن كان بييل صاحبًا، وعند رآه صاحبًا فتح الباب على مده.

قال رافعًا زجاجة شمبانيا بيده عاليًا: "المجد للرب! لقد استفاق!". وتبعته

كيلي حاملةً باقة صغيرة من الورود التي علتها بالونات ملونة.

العلاجات الموضوعية والترياقات التي تم منحها للطاقم والمسافرين من قبل الأطباء وطاقم المستشفى بعد الرحلة كانت فحمة للغاية. عاد وجه بيغ دادي إلى لونه الطبيعي، وعاد لون بياض عينيه ناصعًا كالثلج بعدما أزال النظارة الشمسية المبالغ بحجمها.

لعلها كانت المرة الأولى التي ترى جو فيها بيل يتسم ابتسامة عريضة، حاول أن يحبس دموعه لكنه فشل، كيلى بدورها لم تستطع تمالك نفسها وانهمرت دموعها، الأمر الذي جعل جو تضحك معانقةً إياها، بدوره تظاهر بيغ دادي بالانشغال بفتح الشمبانيا، كي لا يراه أحد يذرف الدموع.

عم الجو مزيج من الحزن والاضطراب والغضب. وكانت جو تعلم أنهم ما زالوا في بداية عملية التعافي من الصدمة التي تعرضوا لها. ولكنهم كانوا أيضًا فرحين بكونهم مع بعضهم، وبكونهم جزءًا من المجموعة التي ذاقت مرارة ما حصل، كان كل منهم يشعر بانتمائه لهذا الفريق كأنه العائلة التي تعلم معدنه وتعلم ما مر به.

أخيرًا، تمكن بيغ دادي من فتح الزجاجاة، وأخرجت كيلى كؤوسًا بلاستيكية من حقيبتها، ورفع جميع أفراد طاقم الرحلة 416 نخب النجاة محيطين بسرير بيل. جو: "نخب ندوب المعركة".

ابتسم الجميع، وشربوا، وذرفوا الدموع.

•••

جلس بيل إلى طاولة مستديرة مع بن وسام. كان أمام كل منهم كأس شاي فارغة، وقد توسط إبريق الشاي الطاولة.

ملأوا كؤوسهم تواليًا، إذ سكب كل رجل لزميله، وفي كل مرة كان الإبريق يسكب مشروبًا مختلفًا. حصل سام على كوب من الشاي الإنكليزي. وحصل بن على قهوة مع الكريمة والسكر. بينما حصل بيل على قهوة سوداء. قرع الرجال كؤوسهم ببعضها وانتظروا السائل ليستقر حتى يشربوا. جلسوا بهدوء وهم يحدقون إلى بعضهم البعض بانتظار. ثم شربوا. لبيتسموا بعدها بهدوء. وسرعان ما تحولت

الابتسامات إلى ضحكات. لقد ضحكوا بشدة حتى دمعت عيونهم، وضربوا الطاولة ثم أعادوا رؤوسهم إلى الخلف بشعور مليء بالنشوة، وهنا استيقظ بيل. كان يتصبب عرقًا، وقد انتفخ صدره، حدق إلى مروحة السقف لبعض الوقت وانتظر لتتخفض ضربات قلبه، ولينهي الأدرينالين تدفقه في شرايينه.

كان حريصًا على عدم إيقاظ كاري، أنزل قدميه عن حافة السرير، ما جعل ألمًا باردًا يسري في كتفه المصابة، التي كانت تستشعر رطوبة وهمية، إذ أن الأعصاب لن تكمل عملية التعافي إلا بعد ثلاثة شهور. لقد علم أنه يحتاج إلى الوقت ليستعيد عافيته بالكامل. وأنه لن يوقع أي طبيب الآن تصريحًا بمزاولته للعمل. ولكنه سيتعافى، وسيخرج عاجلاً أم آجلاً.

مشى بهدوء داخل أروقة البيت المستأجر، وتفقد سكوت وأليز، ليجدهما نائمين بارتياح وهدوء. كان من المثير للعجب بالنسبة إليه ولكاري مقدار مرونة طفليهما، وعلى وجه الخصوص ابنيهما سكوت. لقد علما أن ما حدث سيبقى في ذاكرته إلى الأبد، ولكن آثار المأساة بدت طفيفة عليه، في أغلب الأوقات كان كأبي طفل يريد اللعب فقط.

أضاء بيل نور المصباح في المكتب أسفل الدرج، وحرك فأرة الحاسوب. لتضيء الشاشة مظهرة عدة تبويبات كانت مفتوحة على متصفح. التقط كتابًا من كدسة الكتب بجانب الشاشة، وفتح حيث وصل آخر مرة، كانت خطوط التحديد والدوائر الحمراء تملأ الصفحة.

مرت ساعة. وضع قلمه جانبًا وفرك عينيه.

انحنت كاري من خلف هيكل الباب مرتدية قميصًا واسعًا وجوارب بيضاء: "سأفعل أي شيء لقاء أن أراك هنا تدلك جسد امرأة أخرى".

عدل بيل جلوسه على كرسي المكتب: "احتمال حدوث ذلك أسوأ مما قد حدث بالفعل". ابتسمت كاري: "الإبريق مجددًا؟".
أوما بيل بالإيجاب.

عبرت الغرفة، وجلست في حضنه، وضعت رأسها على كتفه، فاهتز كتفاه معًا. نظرت إلى دفاتر الملاحظات المليئة بالخربشات، وإلى أكوام الكتب التي عُلِّقت عليها الملاحظات. وأشارت إلى أحدها قائلة: "هل وصلت إلى الجزء الذي نتحدث فيه عن أفعال صدام حسين؟".

مسح بيل شعره بيده متنهّدًا، مستذكّرًا الفظائع التي وصفها الكتاب. حيث قُتل نحو مئة وثمانين ألفًا باستخدام نفس الغاز الذي استُخدم على الطائرة، ودُمّرت أغلب قرى منطقة كردستان. أكملت كاري: "وكيف لم يحرك الرئيس ريغان ساكنًا".

حدقت كاري إلى غلاف الكتاب، واستطردت: "نحن لم نحرك ساكنًا أيضًا. في الحقيقة لم أعلم بما حصل حتى قرأت عنه. مئة وثمانون ألف شخص يا بيل". هزت رأسها: "أفكر بما نمر به اليوم. كم هو صعب أن نتعامل مع الألم، ومع الغضب. كم هو صعب التعامل مع الصدمة. ولكن بالنظر إلى النصف الممتلئ من الكأس فقد خرج كل من كان على متن الطائرة حيًّا".

نظر بيل إلى الجناحين الفضيين الموضوعين على المكتب بجانب الكتب، كان اسم بن ميرو منقوشًا تحت شعار فريق كوستال. بيل: "ليس الجميع".

لفت كاري يديها حول عنقه. وشعر برطوبة أنفاسها الحارة على جلده. بيل: "أتمنى لو كان حيًّا".

"أعلم".

"أشعر أنني أحاول إصلاح شيء لا يمكن إصلاحه".

عدلت كاري جلوسها وضحكت فسألها بيل باستغراب: "ما المضحك في كلامي؟".

وضعت يدها على وجنته: "بيل، لقد ترعرعت في أرياف إلينوي والآن تعيش في لوس أنجلوس، ولديك حساسية من فرط اللاكتوز، وتذهب بسيارتك كل سبت

إلى مغسلة سيارات فخمة، وتخبرني الآن أنك تعتقد أنك ستجد طريقة لإصلاح الأمور؟".

أشارت إلى كدسة الأبحاث، وذكرها بيل بالعهد الذي قطعه على بن. كاري: "أنت لم تعاهده على إصلاح الأمور، ولو فعلت كان سيسخر منك، لقد عاهدته أنك ستبذل كل ما في وسعك للمساعدة. وذلك تمامًا ما سنقوم بفعله، سنواصل التعلم والاستماع، وعندما نعتقد أننا نعلم ما يكفي - الشيء الذي لن يحصل - سنبحث عن الأشخاص الذين يعرفون حقًا كيف يتم إصلاح الأمور. وسنساعدهم بكل ما نستطيع".

نظر بيل إليها بدهشة، لقد كانت محقة. تلك الأثى العفوية والحساسة والواضحة التي كان محظوظًا جدًا لكونها مرشدته في الحياة. لم يكن واثقًا أنه يستحق وجودها.

سألها: "هل تكرهيني؟".

اختفت ابتسامتها، وأزاحت بصرها عنه لبرهة.

فكر بيل بتلك الليلة التي عاد فيها إلى المنزل، عندما استلقى على السرير مع زوجته واحتضنها بينما كانت تبكي محدثةً إياه عما واجهته مع طفليها. ظلت صورة سام وهو ينظف أنف ابنه عالقة في مخيلته، وكيف كانت كاري ترفع كمي ذلك الإرهابي.

كاري: "أكره ما فعلاه، ولكنني لا أكرههما، هل تكرههما؟".

نظر بيل إلى الجناحين. وقال: "لم أقرر بعد".

أمسك بيديها، وقبل بلطف رؤوس أصابعها واحدة تلو الأخرى قبل أن يقبل راحة يديها، وغطى وجهه بيدها وظل ساكنًا لفترة طويلة. وعندما أزالها عن وجهه قال: "أنا آسف يا كاري".

سألت بتجهم: "آسف على ماذا؟".

"لكوني أنا، لو أنني لم اختر الذهاب في تلك الرحلة. لو أنني بقيت في المنزل..."

وضعت رؤوس أصابعها على فمه. وقالت: "لقد علمتُ تمامًا ما كنت سأحصل عليه عندما اخترت أن أمضي حياتي معك، وقد كان أفضل قرار اتخذته في حياتي".

احمرّ وجهه خجلًا: "كيف لك أن تقولي ذلك الآن؟".

ابتسمت: "أقول ذلك الآن على وجه الخصوص".

غمرت نفسها بجسده أكثر، وطوت ساقها حتى صدرها، بوضعية تشبه وضعية سكوت عندما ينام في حضنها، فقام بيل بهزها بالطريقة نفسها التي كانت تهز بها ابنها.

بيل: "هل تعتقدين أننا سنكون بخير؟".

"نحن بخير فعلاً".

مكتبة
t.me/soramnqraa

بيل هوفمان قبطان مخضرم، استدعي ليحل مكان قبطان آخر في رحلة داخلية، للوهلة الأولى يبدو كل شيء طبيعياً، ولكن ما أن تحلّق الطائرة، حتى يتبين أنها رحلة لا سبق لها من حيث التحديات والمواقف التي سيواجهها القبطان ومساعدته، وطاقم الطائرة، والركاب، وعائلة هوفمان، ومكتب التحقيقات الفدرالي، وحتى البيت الأبيض.

يتلقى بيل اتصالاً عبر الفيس تايم، فيرى زوجته وطفليه وقد احتجزوا رهائن، الخاطف يرتدي سترة ناسفة، ويضع بيل أمام خيار صعب إما قتل مساعده، وشن هجوم بالغاز السام على الركاب ثم تحطيم الطائرة، وإلا سيفجّر الخاطف نفسه ويقتل عائلة بيل.

ما يبدو للوهلة الأولى خياراً صعباً، يقود إلى خيارات أخرى أصعب.

ماذا سيختار بيل الطائرة أم عائلته؟ هل سيقتل مساعده ليمتص غضب الخاطف؟ هل سيشن هجوم الغاز السام؟ هل سيخضع للخاطف؟ هل سينفذ المخطط المرسوم له بصمت؟ هل سيستعين بأحد؟ وما هو دور طاقم الطائرة؟ وإن قرر الرفض فما هي خطته؟ الخيار الصعب رواية كفاح من أجل البقاء، تصف لحظات الذعر والخوف، تلك اللحظات التي لا يكون فيها مفر من المواجهة.

المؤلفة:

تي جي نيومان، مضيضة طيران سابقة، عملت في شركة فيرجن أمريكا وألاسكا إيرلاينز من 2011 إلى 2021. تعيش في فينيكس، أريزونا. الخيار الصعب هي روايتها الأولى.



telegram @soramnqraa

ISBN: 978-614-01-3450-8



9 786140 134508

بنلا وقرات كوم

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات، كوم

www.nwf.com



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

